المملكة

التي

فتنت المسكونة

ديفيد دبليو بيركوت

المملكة التي فتنت المسكونة

بقلم

ديفيد دبليو بيركوت

«وَلَمَّا لَمْ يَجِدُوهُمَا جَرُّوا يَاسُونَ وَأُنَاسًا مِنَ الإِخْوَةِ إِلَى حُكَّامِ الْمَدِينَةِ صَارِخِينَ:

إِنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمَسْكُونَةَ حَضَرُوا إِلَى هَهُنَا أَيْضًا»

(أعمال ١٧: ٦)

© David Bercot, English edition 2003. The book can be obtained in the English language from: Scroll Publishers Co., P.O. Box 122, Amberson, PA 17210.
© Grace Press, Inc., Arabic edition, 2018.
contactus@thewordsoftruth.info

المحتويات

الجزء الأول: مملكة القيم المقلوبة رأسًا على عقب

١. **أكانت حرباً مقدسةً؟!** ٧

٢. **مملكة قائمة في الوضع الصحيح**........ ١٥

٣. **مملكة من نوع مختلف**........ ١٩

٤. **هل قطعتَ عهد الملكوت؟**........ ٢٧

٥. **تغيير نظرتنا للمال**........ ٣٧

٦. **معيار جديد للصدق**........ ٤٩

٧. **قوانين المملكة بشأن الزواج والطلاق**........ ٦١

الجزء الثاني: حجر العثرة العظيم

٨. **أحب أعدائي؟!**........ ٧٥

٩. **لكن ماذا لو...؟**........ ٨٥

١٠. **لكن، ألا يقول الكتاب المقدس ...؟**........ ٩٩

١١. **ماذا عن ممالك العالم؟**........ ١٠٩

١٢. **الحياة في ظل مملكتين**........ ١١٥

١٣. **هل أنا من هذا العالم؟**........ ١٢٣

١٤. **هل هذا يجعل منا نشطاء سلام وعدل؟**........ ١٣١

١٥. **هل صنع أحدهم هكذا على أرض الواقع؟**........ ١٣٥

١٦. **لكن هل هذه هي المسيحية التاريخية؟**........ ١٤١

الجزء الثالث: ما هي بشارة الملكوت؟

١٧. **طريق يسوع للخلاص**........ ١٥١

١٨. كيفية دخول الملكوت ١٦٣
١٩. غير مسموح للفريسيين بالدخول.................. ١٧٣
٢٠. لا يمكن أن يبقى الملكوت سرًا ١٧٩
الجزء الرابع: مولد هجين
٢١. ماذا حدث لبشارة الملكوت؟............................ ١٨٥
٢٢. ملكوت اللاهوت... ١٩٣
٢٣. هل كان الله يغير قواعده؟............................. ٢٠٣
٢٤. كيف اختفت تعاليم المسيح ٢٠٩
٢٥. العصر الذهبي الذي لم يأتِ قط....................... ٢١٥
٢٦. أغسطينوس - المدافع عن الهجين...................... ٢٢٥
٢٧. تزوير باسم المسيح ٢٣٧
الجزء الخامس: عندما كان من غير القانوني أن تكون مسيحيًا يعيش بحسب الملكوت
٢٨. الملكوت السري... ٢٤٥
٢٩. الفلدانيون ٢٥١
٣٠. التيار البديل ٢٦٣
٣١. الفلدانيون يتقابلون مع المصلحين السويسريين ٢٧١
٣٢. صهيون الجديدة في جنيف................................ ٢٧٧
٣٣. راية الملكوت ترتفع من جديد ٢٨٥
٣٤. الكرة الآن في ملعبنا...................................... ٢٩٩
المراجع ٣٠٥
الهوامش ٣١٣

الجزء الأول

مملكة القيم المقلوبة رأساً على عقب

١

أكانت حربًا مقدسةً؟!

وقعت الأحداث التالية يوم الجمعة الثامن من يوليو عام ١٠٩٩. كانت شمس الصحراء الحارقة تتوهج فوق رؤوس موكب من رجال الإكليروس في ملابس كهنوتية رثة يحملون صلبان كبيرة الحجم وتوابيت تحوي رفات لبعض القديسين يطوفون بها حول أسوار أورشليم الخارجية، يتبعهم ١,٢٠٠ فارس حفاة الأقدام من فرسان الحملات الصليبية وحوالي ١,١٠٠٠ من الجنود والبحارة والحرفيين الذين كانوا على وشك الموت جوعًا وعطشًا. أخذ حماة المدينة من المسلمين يضحكون استهزاءً بهذا الموكب ويسخرون من أفراده وهم يطوفون حول الأسوار. وإمعانًا في الاستهزاء بهم إذ رأوهم زمرة بالية من المسيحيين فاقدي العقول، علقوا العديد من الصلبان على الأسوار منتهكين قدسية الصليب بطرق شتى.

وعلى الرغم من صيحات الاستهزاء والسخرية، لم يتوقف الموكب بأفراده حفاة الأقدام عن مسيرته حتى وصل إلى جبل الزيتون حيث توقف. هناك أخذ أحد الأساقفة يحثّهم ويشجعهم قائلاً: "نحن نقف الآن على البقعة التي انطلق منها الرب صاعدًا إلى السماء ولا يمكننا أن نفعل شيئًا إضافيا لتطهير أنفسنا. لذلك دعونا نسامح بعضنا البعض. ليغفر كل واحد زلات أخيه حتى يغفر لنا

الرب زلاتنا"[١]. ثم ذكَّرهم الأسقف بنبوته عن أورشليم وكيف ستقع في أيديهم يوم الجمعة القادم لو تواضعوا واستمروا في تطهير أنفسهم.

لو كان أيًا من المسلمين قد سمع حديث الأسقف، ما كان القلق ليصيبه. أيُعقل أن تسقط أورشليم في سبعة أيام! لا يمكن بالطبع. كيف وقد حرص "افتخار"، الحاكم المسلم للمدينة، على سد وتسميم كل آبار المياه خارجها قبل أن يقترب الصليبيون إليها فلم يتبق لهم أي مصدر للمياه سوى نبع وحيد متقطع وكان الكثيرون منهم على وشك الموت عطشًا؟ كما حرص على نقل كل الحيوانات الداجنة إلى داخل المدينة مؤمنًا بذلك مخزونًا وفيرًا من الطعام لأهلها. أما الصليبيون فقد هزلوا جوعًا. وهكذا كان بإمكان أورشليم أن تصمد فترة طويلة من الحصار. ولكي يحافظ "افتخار" على مخزون الطعام ولكي يتجنب التعرض للخيانة قام بطرد كل المسيحيين من المدينة التي غادرها الكثير من اليهود أيضًا.

هكذا غفا "افتخار" وجنوده قليلاً عالمين أن لديهم وفرة من المياه والطعام وأسلحة أفضل. كما كان هناك ٦٠,٠٠٠ جندي مسلح يحرسون أسوار المدينة التي رأوا أنها حصينة وقادرة على حمايتهم. وفوق ذلك كله كانت هناك قوة إغاثة من الجنود المصريين في طريقها لرفع الحصار عنهم. أما الصليبيون فلم يكن لديهم سوى ١,٢٠٠ فارس يحملون عددًا قليل من الأسلحة ومعهم زمرة ضعيفة رثة قوامها ١١,٠٠٠ من الجنود والبحارة والحرفيين. أي كان هناك أقل من ١٣,٠٠٠ من الصليبيين في مقابل ٦٠,٠٠٠ من المسلمين المسلحين. بالإضافة إلى ذلك كان الصليبيون يحاربون في أرض غريبة، غير معتادين على حر الصحراء التي لا تشبه إطلاقًا موطنهم فرنسا. لقد كانوا حقًا مجموعة مثيرة للسخرية.

إلا أن السخرية توقفت بعد خمسة أيام إذ - ولدهشة المسلمين- دفع الصليبيون عدة أبراج حصار خشبية ضخمة على عجلات نحو أسوار أورشليم. كان الصليبيون قد شيدوا هذه الأبراج العملاقة سرًا من خشب قاموا بجمعه. وكان كل برج مُعَدّ بكل ما قد يحتاجه جيش من جيوش العصور الوسطى: منجنيق، مدكّ للحصون، جسر متحرك، وبرج عظيم للهجوم يحتمي به الجنود ويستطيعون من خلاله إمطار المدافعين عن المدينة بالسهام. والأكثر من ذلك كان بداخل كل برج جيش صغير من الفرنجة متحمسين للتدفق داخل المدينة بمجرد اختراق الأسوار.

بمجرد أن رأي المسلمون مشهد هذه الأبراج المروعة ـ بدأوا في بناء دفاعاتهم على أجزاء الأسوار المقابلة لأبراج الصليبيين. لكن وقبل الليلة المحدّدة للهجوم، قام الصليبيون بفك بعض الأبراج وأبعدوها نحو ميل إلى أقسام من السور أقل تحصينًا. كان هذا عملاً لا يصدق تحت أي ظرف من الظروف. لكنه كان عملاً فوق مستوي البشر في ظل ما كان الصليبيون يعانونه من وهن. عندما غمر ضوء الصباح مدينة أورشليم يوم الخميس الموافق ١٤ يوليو، أصيب المسلمون بالذهول والصدمة غير مصدقين أن بعض الأبراج قد نُقل أثناء الليل.

كان الكثير من المهاجمين الصليبيين قد أصابهم الإنهاك من العمل طوال الليل. ومع ذلك صلوا في هذا الصباح واثقين أن الله سيمنح أجسادهم الواهنة ما ستحتاجه من قوة. بعد الصلاة بدأ الصليبيون هجومهم على أورشليم، وأخذوا وهم يصيحون مسبحين الله في تقريب الأبراج الثقيلة من الأسوار. وفيما كانت الأبراج تقترب، كانت المجانق تقذف أسوار المدينة والبيوت القريبة منها بالجلمود. وعندما اقتربت بعض أبراج الحصار من الأسوار أخذت آلات الدك في سحق الأسوار القديمة. ومن فوق قمم أبراجهم أخذ الصليبيون يطلقون قذائف

خشبية مشتعلة مغموسة في القطران والشمع والكبريت على المدينة مما أدي إلى إشعال النيران في التحصينات الخشبية داخل الأسوار.

رد المسلمون على هذا الهجوم برمي قذائفهم المشتعلة على الأبراج في محاولة لإشعال النيران بها. قاموا برمي الأبراج بصخور من مجانقهم طوال اليوم. ظلت القذائف والسهام تُطلق من الجانبين طوال ذلك اليوم. قاتل الصليبيون بشجاعة لكنهم عجزوا عن تأمين موقع يتقدمون منه أكثر داخل المدينة إذ انهارت بعض أبراجهم بل وأتت النيران على أحدها. وبحلول الليل توقف الجانبان عن القتال.

جدَّد الصليبيون هجومهم في صباح الجمعة ١٥ يوليو. كان هذا هو اليوم الذي تنبأ الأسقف بسقوط المدينة فيه. إلا أن الأوضاع على الأرض كانت تُنبئ بعكس ذلك. كان الصليبيون منهكون من الليالي التي لم يذوقوا فيها النوم ومن قتال الأمس، ومع حلول الظهيرة ذهبت همتهم وأصابهم اليأس. كانوا في غاية الإرهاق غير قادرين على إحراز أي تقدم. كيف يحرزون تقدمًا والعدو يفوقهم عددًا والأسوار تبدو منيعة غير قابلة للسقوط؟

أخيرًا أوقف الصليبيون عملياتهم القتالية وعقدوا اجتماعًا للمشاورة. كان نصفهم مستعدًا للتخلي عن ذلك الحصار الذي بلا طائل ولشنق الأسقف صاحب النبوات الكاذبة. لكن وفيما هم يتشاورن، أخذ فارس من على جبل الزيتون في التلويح بترسه مشيرًا للآخرين بالتقدم. أعادت أشارته الحماس للجنود وجددوا هجومهم بعزم قوي. عادت آلات دك الحصون للعمل بل وبدأ بعض الجنود في تسلق الأسوار بالسلالم والحبال.

كان حماة المدينة من المسلمين قد كدّسوا أكوامًا من القش والقطن داخل أسوار المدينة كحماية إضافية لهم. إلا أن بعض رماة الصليبيين، تحت قيادة

جودفري حاكم مدينة بولون، نجحوا في إشعال النيران فيها بسهامهم الملتهبة. وعندما غيَّرت الرياح اتجاهها صعدت سحب كثيفة من الدخان حجبت الرؤية عن المسلمين وأصابتهم بالاختناق، وأخيرًا أجبرتهم النيران وسحب الدخان على الابتعاد عن الأسوار.

اقتنص جودفري الفرصة، وقام سريعًا بمد الجسر المتحرك من برجه إلى الأسوار، فتدفق رجاله فوقها بكل جسارة. وفي دقائق معدودة نجح الصليبيون في تأمين ذلك الجزء من السور مما سمح للجنود رفاقهم من تسلق الأسوار بسلالمهم. كما نجح بعض الجنود في الوصول إلى أحد بوابات المدينة وفتحها، فاندفعت منها موجات من الصليبين إلى داخل المدينة.

انسحب المسلمون مرتبكين وغير مصدّقين لما حدث على الرغم من أنهم كانوا يفوقون الصليبين عددًا. منذ ساعات قليلة مضت كانت الأوضاع تقول بهزيمة الصليبيين، لكن ها هم يتدفقون داخل المدينة. ومن ذهولهم لما حدث انسحب المسلمون أمام الصليبيين يتخبطون في فوضي. وهكذا غرقت المدينة على حين غرة في رعب جماعي وكان كل من فيها يحاول الهروب من وجه الغزاة. كانت النساء تصرخن والأطفال يبكون حيث ذبح الصليبيون كل شخص في طريقهم[٢].

رأي الصليبيون أنفسهم جيشًا من القرون الوسطى كالملك ياهو وجيشه الذي ذبح عباد البعل في زمانه. ترك لنا أحد الصليبيين شهادة عيان عما حدث في تلك المذبحة المروعة يقول فيها:

> امتلأت شوارع المدينة بأكوام من الرؤوس والأيادي والأقدام. وكان على الشخص أن يقطع طريقه فوق جثث الرجال والخيول. إلا أن هذا كان أمرًا هينًا مقارنة بما حدث في هيكل سليمان، حيث كانت الصلوات

الدينية عادة ما تتلي. ماذا جري هناك؟ لو نطقت بالحقيقية لما استوعبتها قدرتكم على تصديق الأمور. لكن دعوني أخبركم على الأقل بأن الرجال كانوا يسيرون في هيكل ورواق سليمان وهم على ظهور خيولهم وقد وصلت الدماء إلى مستوي ركبهم ومستوي لجام الخيول. في الواقع كان هذا حكمًا عادلاً وعظيمًا من الله أن يمتلئ هذا المكان بدماء غير المؤمنين إذ قد عانى كثيرًا من تجديفهم. لقد امتلأت المدينة بالجثث والدماء.[٣]

ربما نتوقع أن الصليبيين شعروا بالندم على ذبحهم لما يقرب من ١٠٠,٠٠٠ شخص في ذلك اليوم كان أكثرهم من الأطفال. لكن لا، إذ كانوا واثقين أن الرب يسوع المسيح هو من منحهم ذلك النصر وأنه كان يبتسم لملكهم السعيد. كان البابا نفسه هو من دعا كل كاثوليكي أمين للذهاب من أجل تحرير الأرض المقدسة من سيطرة غير المؤمنين، مؤكدًا أن الله سيمنح الغفران الكامل للخطايا لكل شخص ينضم للحملات الصليبية. وعليه يكمل شاهد العيان قائلاً:

الآن وقد وقعت المدينة في أيدينا كان من الرائع - بعد كل ما مررنا به من كد وصعوبات- أن نري ونسمع صلوات الحجاج عند القبر المقدس، أن نراهم مبتهجين يتهللون بترنيمة جديدة للرب. وإذ كانوا يشعرون بالظفر فرحين بنصرهم، كانت قلوبهم بانتصار ترفع صلوات حمد للرب تعجز الكلمات عن النطق بها. كان ذلك يومًا جديدًا، فرحًا جديدًا، وسرورًا جديدًا دائمًا. لقد أنتج إتمامنا لعملنا وتكريسنا كلمات جديدة وترنيمة جديدة في قلب كل واحد فينا.

أؤكد لكم أن هذا اليوم لن تنساه أبدًا الأجيال التالية لأنه حوَّل تعبنا وحزننا إلى فرح وابتهاج. أقول لكم أن هذا اليوم هو يوم تبرير لكل

المسيحية ويوم إذلال للوثنية ويوم تجديد لإيماننا. هذا هو اليوم الذي صنعه الرب لنفرح ولنتهلل به، لأن الرب في هذا اليوم أظهر نفسه لشعبه وباركهم.[٤]

لكن هل رأي يسوع المذبحة كعمل يبعث على الفرح والابتهاج؟ هل نصر الصليبيون حقًا مملكة الله ودعموها أم ألحقوا بها ضررًا عظيمًا؟

قبل نحو ١,١٠٠ عام من هذه الأحداث كان يسوع قد غرس مملكة المحبة التي يتميز رعاياها بمحبتهم لبعضهم البعض بل وبمحبتهم لأعدائهم كذلك. وصف ملكهم نفسه بأنه وديع ومتواضع القلب. وقد فتن الرعايا الأوائل لهذه المملكة الخاصة المسكونة وقلبوا كل العالم رأسًا على عقب ليس بالسيف لكن بكلمات الحق وأعمال المحبة. وعليه ما هذا الذي فعله هؤلاء الأشخاص الذين ادعوا أنهم رعايا مملكة المحبة والوادعة في تلك الأرض البعيدة عندما قاموا بذبح سكان أورشليم؟

تلك قصة طويلة، لكننا بحاجة لأن نرويها؛ هذا لأن مصيري ومصيركم الأبدي إنما هو قائم على قصة المملكة التي فتنت المسكونة.

٢

مملكة قائمة في الوضع الصحيح

سيتضح لنا فيما يلي أن المملكة التي فتنت المسكونة أو قلبت العالم رأسًا على عقب هي مملكة متفردة من نوعها إذ تنتهج قيمًا مغايرة.

في عام ١٩٧٨ كتب دونالد كريبل (*Donald Kraybill*) كتابًا بعنوان "المملكة معكوسة الأوضاع" (*The Upside-Down Kingdom*) تناول فيه بعضًا من تلك القيم المغايرة التي تنتهجها مملكة الله. إلا أننا كي نفهم جيدًا الأوضاع المعكوسة لهذه المملكة، علينا أن نلقى أولاً نظرة على مملكة كانت قائمة في الوضع الطبيعي.

يحدثنا الكتاب المقدس عن هذه المملكة في سفر الخروج حيث تحدث الله إلى شعب إسرائيل قائلاً «فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً» (خروج ١٩: ٥-٦)*.

كان هذا هو العرض الذي قدّمه الله لشعب إسرائيل: يمكنهم أن يكونوا مملكة كهنة خاصة لله. وقد قبل الشعب العرض ودخلوا في عهد مع الله في سيناء. وكمعظم العهود، كان لعهد الله مع شعب إسرائيل طرفان: لو أطاع الشعب صوت

---

* ما لم يُذكر غير ذلك، فجميع الاقتباسات من الكتاب المقدس هي من ترجمة سميث فاندايك العربية.

الله وسمعوا له فسيكونون له «مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً». وشأنها شأن كل الممالك، كان يجب أن تحظي بحاكم وقوانين. إلا أن حاكم مملكة شعب إسرائيل وواضع قوانينها وقاضيها هو الله ذاته (إشعياء ٣٣: ٢٢). كانت قوانين المملكة هي تلك التي نص عليها ناموس موسى المعطى مباشرة من الله.

لكن على الرغم من كل هذه المميزات التي اختصت بها مملكة شعب إسرائيل، إلا أنها كانت لا تزال مملكة أرضية. كما كانت في معظم جوانبها مشابهة لكثير من ممالك العالم، فقد كانت أراضيها ذات أبعاد مادية جغرافية، وشعبها له خصائصه العرقية المميزة. وقد عينوا جنودًا أرضين مسلحين بسيوف ورماح وأقواس لحماية مملكتهم. كما عملوا على توسيع رقعة مملكتهم بالسيف. وكل ما كان يميزهم في نظر الأمم المحيطة بهم هو شريعتهم التي تحرم عبادة الأصنام.

بل إن البركات التي وعدهم الله بها كانت بركات مادية أرضية: «وَإِنْ سَمِعْتَ سَمْعًا لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ... مُبَارَكَةً تَكُونُ ثَمَرَةُ بَطْنِكَ وَثَمَرَةُ أَرْضِكَ وَثَمَرَةُ بَهَائِمِكَ نِتَاجُ بَقَرِكَ وَإِنَاثُ غَنَمِكَ... يَأْمُرُ لكَ الرَّبُّ بِالبَرَكَةِ فِي خَزَائِنِكَ... وَيَزِيدُكَ الرَّبُّ خَيْرًا فِي ثَمَرَةِ بَطْنِكَ وَثَمَرَةِ بَهَائِمِكَ وَثَمَرَةِ أَرْضِكَ... يَفْتَحُ لكَ الرَّبُّ كَنْزَهُ الصَّالِحَ السَّمَاءَ لِيُعْطِيَ مَطَرَ أَرْضِكَ فِي حِينِهِ وَلِيُبَارِكَ كُل عَمَلِ يَدِكَ فَتُقْرِضُ أُمَمًا كَثِيرَةً وَأَنْتَ لا تَقْتَرِضُ» (تثنية ٢٨: ١-١٢).

إلا أن البركات لم تكن هي الشيء الوحيد المادي. لو خان شعب إسرائيل عهد الله معه فسيكون عقابه كذلك مادي أرضي: «وَيَجْعَلُ الرَّبُّ مَطَرَ أَرْضِكَ غُبَارًا وَتُرَابًا يُنَزِّلُ عَليْكَ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّى تَهْلِكَ. يَجْعَلُكَ الرَّبُّ مُنْهَزِمًا أَمَامَ أَعْدَائِكَ... بِذَارًا كَثِيرًا تُخْرِجُ إِلى الحَقْلِ وَقَلِيلاً تَجْمَعُ لأَنَّ الجَرَادَ يَأْكُلُهُ. كُرُومًا تَغْرِسُ وَتَشْتَغِلُ وَخَمْرًا لا تَشْرَبُ وَلا تَجْنِي لأَنَّ الدُّودَ يَأْكُلُهَا» (تثنيه ٢٨: ٢٤، ٢٥، ٣٨، ٣٩).

باختصار كانت مملكة شعب إسرائيل القديمة مملكة قائمة في الوضع الصحيح لذلك كانت نموذجًا ذا تفاصيل مفهومة واضحة للشعوب والأمم الأخرى. بل إنها كانت في الواقع قائمة على مثال هذه الأمم في الكثير من جوانبها. الفارق الرئيس بينها وبين تلك الأمم هو أن شعوب العالم كانت تظن أن آلهتها هي التي أوجدتها وأسستها كشعوب، وأن تلك الآلهة هي التي تمنحها النجاح والازدهار حين تقدم لها العبادة وتعاقبها بالجفاف والمجاعات حين تغضبها. لقد كان تصور أمم الأرض عن العالم مماثلاً لتصور شعب إسرائيل في الكثير من الأمور. كان الفارق الرئيسي بين الفريقين يتعلق بأمور تخص الدين والأخلاقيات وليس بأمور تخص وجودهم كدول.

ومع ذلك لم تكن مملكة إسرائيل القديمة، التي كانت مملكة أرضيه في المقام الأول، هي غاية في حد ذاتها، إذ قامت كي تسير بشعب إسرائيل نحو أمر أعظم بكثير، نحو مملكة ليست بحق من هذا العالم.

٣

مملكة من نوع مختلف

لم تكن بداية عام ٣٠ ميلاديًا بداية مختلفة عما سبقها من أعوام. كان كل شيء كعهده: الكهنة اليهود يقدمون الذبائح اليومية في الهيكل، والمزارعون يفلحون حقولهم، والنساء يغسلن ملابسهن في جداول المياه، والصيادون يعلقون شباكهم على شواطئ بحر الجليل حتى تجف. لكن فجأة ظهر في المشهد نبي اسمه يوحنا، يرتدي لباسًا من وبر الإبل مطوقًا بحزام من جلد. كانت هيئته أخاذة ورسالته التي أعلنها مروعه: لقد اقترب ملكوت الله.

لقد اقترب ملكوت الله! ما معنى هذا؟ بالنسبة لليهود كانت الرسالة تعنى أن المسيا على وشك أن يأتي وأن روما ستسقط، وأنهم قريبا سيحصلون على استقلالهم. لذلك لم يكن من المستغرب أن تلفت رسالة يوحنا انتباه الجميع، فيتوافد عليه جمهور كثير كي يعرفوا كيف يستعدون لهذا الملكوت.

لكن عندما أعلن يوحنا أن يسوع هو المسيا المنتظر خبا حماس الكثيرين من اليهود. يسوع الناصري!؟ إنه لا يشبه أبدًا المسيا الذي ينتظرونه؛ فهو ليس محاربًا ولا يبدو أنه يسعى لتكوين جيش حتى يحرر اليهود من سيطرة الرومان. بل إنه في الواقع لا يتحدث ضد الرومان في عظاته.

ما الذي كان يسوع يعظ عنه؟ هذا السؤال موجه لك أيها القارئ العزيز. ماذا

كانت الفكرة الرئيسية في عظات يسوع؟ أهي احتياج الإنسان للخلاص أم محبة الله للبشر أم ضرورة الولادة الثانية أم حقيقية أن يسوع كان سيموت فدية عنا؟

لقد تحدث يسوع بالفعل عن كل هذه الأمور التي هي جميعًا حقائق أساسية إلا أنها ليست محور رسالته. يسجل الكتاب المقدس مرة واحدة فقط ذكر فيها يسوع الولادة الثانية وكانت في حديثه الخاص مع نيقوديموس. كما ذكر موته فدية عنا مره واحدة فقط. أما الخلاص، فهناك خمس أو ست نصوص فقط تسجل استخدامه لكلمة "خلاص".

ملكوت الله كان هو محور رسالة يسوع. هناك حوالي مائة إشارة إلى ملكوت الله في البشائر الأربعة. كما أن معظم أمثال يسوع تدور حول ملكوت الله. بل إن يسوع نفسه أعلن أن سبب إرساله إلى الأرض هو أن يبشر بملكوت الله: "إِنَّهُ يَنْبَغِي لِي أَنْ أُبَشِّرَ الْمُدُنَ الأُخَرَ أَيْضًا بِمَلَكُوتِ اللهِ لأَنِّي لِهَذَا قَدْ أُرْسِلْتُ" (لوقا ٤: ٤٣). هذا ليس ما اعتدت سماعه قارئي العزيز، أليس كذلك؟ كلنا أخذنا انطباعًا ما بأن الهدف الرئيس من قدوم يسوع إلى أرضنا هو أن يخلصنا من خطايانا. بالطبع كان هذا أحد الأسباب لكنه لم يكن السبب الوحيد.

كان يسوع أينما يذهب يتحدث عن ملكوت الله: «مِنْ ذَلِكَ الزَّمَانِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَكْرِزُ وَيَقُولُ: "تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ"... وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ كُلَّ الْجَلِيلِ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْبِ... فَالْجُمُوعُ إِذْ عَلِمُوا تَبِعُوهُ فَقَبِلَهُمْ وَكَلَّمَهُمْ عَنْ مَلَكُوتِ اللهِ وَالْمُحْتَاجُونَ إِلَى الشِّفَاءِ شَفَاهُمْ... وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ الْمُدُنَ كُلَّهَا وَالْقُرَى يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهَا وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ فِي الشَّعْبِ» (متى ٤، ١٧، ٢٣ – لوقا ٩: ١١ – متى ٩: ٣٥).

المفارقة هنا هي أنه على الرغم من أن ملكوت الله كانت هي الفكرة الرئيسية

في عظات يسوع، إلا أنها تغيب اليوم تمامًا عن البشارة التي يعظ بها الكثيرون. ما هي الفكرة الرئيسية في عظات اليوم؟ إنها خلاص الإنسان الشخصي، أليس كذلك؟ إنها ليست ملكوت الله.

ما الذي كرز به الرسل؟

ربما تقول لنفسك قارئي العزيز: "حسنًا، لقد وعظ يسوع عن الملكوت. لكن لعل الأمر كان مختلفًا مع تلاميذه. ربما أخبرهم يسوع أن يعظوا عن الولادة الجديدة والخلاص وليس عن الملكوت، أليس كذلك؟" خطأ. عندما أرسل يسوع تلاميذه أخبرهم أن يعظوا بصفة خاصة عن الملكوت.

لاحظ التعليمات التي أعطاها يسوع لهم عما ينبغي أن يكزوا به: «وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ اكْرِزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ... وَأَرْسَلَهُمْ لِيَكْرِزُوا بِمَلَكُوتِ اللهِ وَيَشْفُوا الْمَرْضَى... وَاشْفُوا الْمَرْضَى الَّذِينَ فِيهَا وَقُولُوا لَهُمْ: قَدِ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ» (متى ١٠: ٧ – لوقا ٩: ٢ – ١٠: ٩). لتفهم قارئي العزيز أن هذه ليست مجرد بضعة نصوص متفرقة. في كل نص تحدث فيه يسوع لتلاميذه عن الكرازة، أخبرهم أن يكرزوا بالملكوت.

تعرفون بالطبع قصة التلميذ الذي أراد أن يتبع يسوع بعد أن يذهب أولاً ويدفن أبيه. هل تذكرون ما قاله يسوع لهذا التلميذ؟ «دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ وَأَمَّا أَنْتَ فَاذْهَبْ وَنَادِ بِمَلَكُوتِ اللهِ» (لوقا ٩: ٦٠).

لكن أرجو ألا تسيئوا فهمي. أنا لا أقلل هنا من شأن حاجتنا للولادة الثانية وللخلاص فهذه من أساسيات البشارة. إلا أنها وسيلة لغاية ألا وهي: دخول ملكوت الله. لم يشأ يسوع أبدًا أن يكرز تلاميذه بالخلاص والولادة الجديدة بالانفصال عن الملكوت إذ أن الملكوت هو أساس البشارة. عندما نكرز للناس بالخلاص دون أن

نذكر شيئًا عن الملكوت فنحن حينها لا نكرز ببشارة يسوع المسيح.

ما هي البشارة التي قال يسوع إنه سيُكرز بها في كل العالم قبل أن تأتي النهاية؟ قال يسوع: «وَيُكْرَزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هَذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الأُمَمِ. ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى» (متى ٢٤: ١٤). هناك بشارة يُكرز بها في كل العالم اليوم، لكن هل هي بشارة الملكوت؟

ما هو ملكوت الله؟

كل مملكة لها أربعة مكونات أساسية: (١) حاكم أو حكام (٢) رعايا (٣) نطاق يمتد فيه حكمها (٤) قوانين. لا يختلف ملكوت الله عن هذا إذ له حاكم ورعايا ونطاق خاضع لسلطانه وقوانين. لكن لأن مملكة الله هي مملكة من طراز ثوري فأن لهذه المكونات خصائص متفردة.

بدايةً، ملكوت الله ليس له حاكم أرضي، فحاكمه هو يسوع المسيح الذي يحكم من السماء. الممالك الأرضية تغير حكامها سياساتها بصفة دورية. أما يسوع فهو حاكم أبدي وسياساته لا تتغير مطلقًا: «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ» (عبرانيين ١٣: ٨).

ماذا عن رعايا المملكة؟ هل هم اليهود؟ لا. أخبر يسوع اليهود بكل وضوح قائلاً: «إِنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ» (متى ٢١: ٤٣). أية أمة تلك التي سيُعطي لها الملكوت بحسب قول يسوع؟ هل هم الرومان أم البريطانيين أم الأمريكيين؟ ليس أحدًا من هؤلاء. إذ يخبرنا الكتاب المقدس إنه «لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ فَأَنْتُمْ إِذًا نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ» (غلاطية ٣: ٢٨، ٢٩).

معنى هذا أن كل من ينتمي للمسيح، كل من وُلد ثانية حقًا هو من بين رعايا المملكة. هؤلاء أصبحوا وارثين لموعد الله ومواطنين في أمته الجديدة. كتب بطرس إلى المسيحيين من الأمم في عصره قائلاً: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ. الَّذِينَ قَبْلاً لَمْ تَكُونُوا شَعْبًا، وَأَمَّا الآنَ فَأَنْتُمْ شَعْبُ اللهِ. الَّذِينَ كُنْتُمْ غَيْرَ مَرْحُومِينَ، وَأَمَّا الآنَ فَمَرْحُومُونَ» (١ بطرس ٢: ٩، ١٠).

بناء على هذا النص نقول إن رعايا ملكوت الله مدعوون إلى أن يكونوا أمة مقدسة ومملكة كهنة، تمامًا كما دعي شعب إسرائيل في القديم (خروج ١٩: ٥، ٦). إلا أن الملكوت أُخذ من إسرائيل وأُعطي لأمة من شأنها أن تصنع أثمار البر، أمة مكونة من مؤمنين نالوا الولادة الثانية.

من الخاصيات التي يتفرد بها ملكوت الله هي أن رعاياه لا يشغلون منطقة بعينها من الأرض بل هم منتشرون في كل أنحاء العالم وبين جميع أمم الأرض. دائمًا ما تسببت هذه الخاصية في صراع دائم لرعايا ملكوت الله إذ هم يعيشون تحت لواء مملكتين: مملكة العالم ومملكة الله.

قال يسوع للمرأة السامرية: «يَا امْرَأَةُ صَدِّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ لاَ فِي هَذَا الْجَبَلِ وَلاَ فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ» (يوحنا ٤: ٢١). ليس لملكوت الله عاصمة أرضية ولا ضريح مقدس.

فاقت كل هذه الأمور خبرة اليهود والأمم في أيام يسوع، فمملكة الإسرائيليين كان لها نطاق جغرافي معين شأنها في ذلك شأن كل ممالك البشر. ودائمًا ما تقيد الإسرائيليون بموضع معين هو موضع خيمة الاجتماع أو الهيكل. وكان هذا الموضع لألف عام هو أورشليم. بالمثل لكل مملكة أرضية عاصمتها. أما مملكة الله فليست مثل ذلك في شيء.

ملكوت الله داخلكم

لو أن ما ذكرناه حتى الآن فيما يختص بالملكوت لا يدهشنا كفاية، فإن يسوع أخبر الفريسيين، لبالغ دهشتنا، بأمر مذهل: «وَلَمَّا سَأَلَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ: "مَتَى يَأْتِي مَلَكُوتُ اللهِ؟" أَجَابَهُمْ: "لاَ يَأْتِي مَلَكُوتُ اللهِ بِمُرَاقَبَةٍ وَلاَ يَقُولُونَ: هُوَذَا هَهُنَا أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ لأَنْ هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ"» (لوقا ١٧: ٢٠، ٢١).

مملكة داخلنا؟ أي مملكة هذه؟ لقد كان يسوع يقدم بالفعل شيئًا جديدًا يدعو للعجب، شيئًا ثوريًا. لم تكن مملكة الله مجرد مملكة جديدة بل كانت نوعًا جديدًا من الممالك، طرازًا يختلف كلية عن أي مملكة عرفها أو سمع عنها اليهود أو الأمم من قبل. إنها مملكة "داخلكم."

أسمع بعضكم يقول: "نفهم أن يسوع يتحدث هنا عن ملكوت روحي وليس عن مملكة حقيقية." لا. لقد كان يسوع يتحدث عن مملكة حقيقة. كانت مملكة الإسرائيليين القديمة مملكة حقيقية بكل تأكيد، أليس كذلك؟ كان لها ملوك ورعايا فعليين وقوانين فعلية. ملكوت الله هو ملكوت حقيقي بقدر ما كانت مملكة إسرائيل القديمة، إذ له هو أيضًا ملك حقيقي ورعايا حقيقيين وقوانين حقيقية. كما يمتد نطاقها الجغرافي ليشمل كل الأرض على الرغم من أن أغلب سكان الأرض ليسوا مواطنين بها.

ما الذي قصده يسوع إذًا حين قال إن ملكوت الله داخلكم؟ علق ترتليان - وهو أحد الكتاب المسيحيين الأوائل - على هذه العبارة قائلاً: "من منا لا يفهم عبارة داخلكم على أنها تعني في متناول يدك أو في مقدورك؟ أي لو سمعت ونفذت وصايا الله"[١]. أي واحد فينا يمكنه أن يصبح مواطنًا في ملكوت الله لو أراد فقط إن كان على استعداد أن يقطع عهد المملكة. لا يحتاج الشخص إلى أن يسافر إلى أي مكان

أو أن يدفع أي مال كي يحصل على حق المواطنة في المملكة.

يقول الكثير من علماء اليونانية إن لوقا ١٧: ٢١ يجب أن يُترجم كالآتي: «ملكوت الله في وسطكم» وليس «داخلكم.» بعبارة أخري، الملك وبعض رعاياه كان يقفون بالفعل في وسط القادة الدينين الذين سألوا يسوع عن ميعاد قدوم الملكوت. لقد كان الملكوت في وسطهم لكنهم لم يدركوا ذلك.

أيًا كانت الدلالة التي قصدها يسوع بعبارة «داخلكم» أو «في وسطكم» يبقي المبدأ واحدًا. ليس لملكوته حدودًا قومية أو ملك أرضي أو قوة عسكرية. رعاياه يعيشون وسط شعوب العالم ومع ذلك لا يستطيع العالم رؤية مملكته. التمتع بالمواطنة في ملكوته هو أمر في استطاعة كل شخص. في الواقع، ما يجعل شعب الله رعايا في ملكوته هو أمر داخلهم إلا وهو سكنى الروح القدس فيهم.

اقترب ملكوت الله

يعتقد الكثير من المسيحيين أن ملكوت الله هو أمر مستقبلي. إلا أن هذا اعتقاد خاطئ؛ إذ أن ملكوت الله هو هنا والآن. كتب بولس إلى أهل كولوسى قائلاً: «الَّذِي انْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ وَنَقَلَنَا إلى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ» (كولوسي ١: ١٣). يتحدث بولس هنا مستخدمًا الزمن الماضي. لقد نقلنا يسوع بالفعل إلى ملكوته. لن ينقلنا يسوع إلى ملكوته بعد موتنا لكنه ينقلنا إليه بمجرد أن نولد ثانية.

من الغريب أن معظم المسيحيين لا يدركون أن ملكوت الله هو حقيقة حاضرة على الأرض. بل إن معظمهم لا يعرفون ما هو ملكوت الله كما لا يرونه، مثلهم مثل الفريسيين. وهذا يعني أنهم لم يقطعوا أبدًا عهد الملكوت.

٤

هل قطعتَ عهد الملكوت؟

عندما يرغب أجنبي ما في أن يصبح مواطنًا أمريكيًا يتوجب عليه أن يقطع قسم الولاء التالي:

> أعلن بموجب هذا القسم أن أتخلي تمامًا وكلية عن كل إخلاص وولاء لأي أمير أو عاهل أجنبي كنت حتى اليوم واحدًا من رعاياه. أو لأي دولة أجنبية ذات سيادة كنت حتى اليوم واحدًا من مواطنيها. أعلن بموجب هذا القسم أن أدعم وأحمى دستور وقوانين الولايات المتحدة الأمريكية ضد كل أعدائها في الخارج والداخل، وأن أخلص لدستورها وقوانينها وأحمل لها الولاء والإيمان. أقسم أن أحمل السلاح نيابة عن الولايات المتحدة الأمريكية عندما يوجب القانون، وأن أخدم في قواتها المسلحة الخدمة المدنية التي يوجبها القانون، وأن أؤدي كل عمل ذي فائدة قومية في إطار التوجيه المدني عندما يكون ذلك مطلوبًا منى بالقانون. ها أنا أقطع هذا القسم بمحض أراداتي دون أي تحفظ وبدون أي نية في التهرب. ليكن الله في عوني[١].

الولايات المتحدة شأنها في ذلك شأن الكثير من الحكومات لا تسمح لمن يرغبون في أن يحملوا جنسيتها أن يقفوا موقفًا ملتبسًا واضعين قدمًا فيها

وقدمًا في دوله أخري، إذ أن الشخص الذي يُمنح حقوق المواطنة لا يستطيع أن يعلن ولائه للولايات المتحدة محتفظًا في الوقت ذاته بولائه لحكومة أجنبية. حكومتنا لا تسمح بهذا الأمر أبدًا. فهي تريد ولاءً كاملاً من الشخص الذي يريد أن يكون مواطنًا بها.

لذلك ليس من المستغرب أن يطالب يسوع الملك بنفس الولاء من هؤلاء الذين يرغبون في أن يكونوا مواطنين في مملكته. في واقع الأمر يطالب يسوع بدرجة أكبر من الولاء: «مَنْ لَيْسَ مَعِي فَهُوَ عَلَيَّ وَمَنْ لاَ يَجْمَعُ مَعِي فَهُوَ يُفَرِّقُ... مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي وَمَنْ لاَ يَأْخُذُ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعُنِي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي. مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيعُهَا وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا.... فَكَذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لاَ يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا» (متى ١٢: ٣٠، ١٠: ٣٧-٣٩، لوقا ١٤: ٣٣).

لا تطالب الولايات المتحدة الشخص بالتخلي عن كل ما يملك حتى يتسنى له أن يصبح مواطنًا بها، إلا أن يسوع يطلب ذلك. لا يسمح يسوع بالولاء المزدوج في مملكته ولا يقبل أن يأتي في مرتبة تالية لأي شخص أو شيء، إذ هو يريد أن يمتلك إما كل شيء أو لا شيء. لذلك يخبرنا يسوع أن نحسب الكلفة قبل أن نقرر الدخول إلى مملكته: «وَمَنْ مِنْكُمْ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بُرْجًا لاَ يَجْلِسُ أَوَّلاً وَيَحْسِبُ النَّفَقَةَ هَلْ عِنْدَهُ مَا يَلْزَمُ لِكَمَالِهِ؟ لِئَلاَّ يَضَعَ الأَسَاسَ وَلاَ يَقْدِرَ أَنْ يُكَمِّلَ فَيَبْتَدِئَ جَمِيعُ النَّاظِرِينَ يَهْزَأُونَ بِهِ قَائِلِينَ: هَذَا الإِنْسَانُ ابْتَدَأَ يَبْنِي وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُكَمِّلَ» (لوقا ١٤: ٢٨-٣٠). لا يريدنا يسوع أن نبدأ شيئًا ولا نستطع أن نكمله: «لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ» (لوقا ٩: ٦٢).

لو أدركنا الماهية الحقيقية للملكوت وفهمنا كنهها، ستصبح قيمتها لدينا أغلي من أي شيء نملكه: «أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ كَنْزًا مُخْفىً فِي حَقْلٍ

وَجَدَهُ إِنْسَانٌ فَأَخْفَاهُ. وَمِنْ فَرَحِهِ مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَى ذَلِكَ الْحَقْلَ. أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا تَاجِرًا يَطْلُبُ لآلِئَ حَسَنَةً فَلَمَّا وَجَدَ لُؤْلُؤَةً وَاحِدَةً كَثِيرَةَ الثَّمَنِ مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَاهَا» (متى ١٣: ٤٤-٤٦).

في الواقع حتى الحكومات الأرضية تطالب مواطنيها في أوقات الحرب بوضع ولاءهم للبلاد فوق كل ولاء أخر حتى الولاء للأسرة. يحدث في وقت الحرب أن يحارب الآباء والأبناء ضد بعضهم البعض وأن يقتل جنديًا أخاه. كما تطالب الحكومات الأرضية في وقت الحرب أن يضحي المواطن بنفسه من أجل صالح البلاد إذا اقتضي الأمر. أي حكومة حقيقية تتوقع هذا النوع من الولاء من مواطنيها.

لا يتوقع يسوع أقل من هذا؟ لماذا؟ لأن مملكته هي مملكة حقيقية ولأن مملكة الله على خلاف الممالك الأرضية هي في حالة حرب دائمة (أفسس ٦: ١٢). قال يسوع: «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا. فَإِنِّي جِئْتُ لِأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ» (متى ١٠: ٣٤-٣٦).

يطالب يسوع مواطني مملكته بنفس القدر من الولاء والمحبة والالتزام الذي يمنحه الوطني المتحمس لبلاده في وقت الحرب، إن لم يكن يطالب بدرجة أكبر. أن يكون الشخص مواطنًا في مملكة الله ليس بالأمر الهين أو بالأمر الذي يحتمل اللهو: «مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (يوحنا ١٢: ٢٥).

الطاعة

في أثناء الحرب العالمية الثانية اقتصدت حكومة الولايات المتحدة في

استهلاك الكثير من السلع كان أولها المطاط وتبعه الجازولين. وكانت قبل ذلك بكثير قد بدأت تقتصد في استهلاك السكر والبن واللحوم والزبد والمنتجات المعلبة والفاصوليا والبازلاء المجففة وغيرها من السلع الأخرى. وفي النهاية اقتصدت البلاد في استهلاك أشياء مثل الأحذية والملابس بل وقيدت استهلاكها.[٢]

إن ادعى أحدهم أنه وطني غيور ثم قُبض عليه وهو يسرق الجازولين من معمل تكرير محلي حتى يتجنب وطأة قرار اقتصاده في وقت الحرب. كيف سيري الناس مثل هذا الشخص؟ وماذا لو ضُبط وهو يخالف العديد من قوانين وقت الحرب؟ هل سيستمر الناس في وصفه بالوطني الغيور؟ بالطبع لا بل سيصفونه بالمنافق أو المخادع أو حتى بالخائن.

لا يختلف الأمر كثيرًا في مملكة المسيح. لقد أصدر يسوع العديد من القوانين والوصايا وجميعها قوانين وقت الحرب. عندما نكسر هذه القوانين نظهر أنفسنا كخائنين وأنه ليس لدينا محبة حقيقة لوطننا الجديد الذي نريد أن نتمتع بمزايا العيش تحت لوائه لكننا لا نريد أن نتحمل أية صعاب أو مشقات في سبيله. إن يسوع يفحص كل وطنية زائفة وكل حب مصطنع لشخصه.

هل للملكوت قوانين حقًا؟

لكن ربما سمعت من أحدهم أنه ليس هناك قوانين أو شريعة للمسيحيين. يقول بعض الوعاظ: "ليس عندنا وصايا. كان ذلك تحت ناموس موسي. نحن الآن تحت النعمة وليس تحت الناموس." لو أن هذه هي الحقيقية، فهل تتفضل بشرح الأقوال التالية التي نطق يسوع بها:

«إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ... اَلَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ

الَّذِي يُحِبُّنِي وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي... إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كلاَمِي وَيُحِبُّهُ أَبِي وَإِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً. اَلَّذِي لاَ يُحِبُّنِي لاَ يَحْفَظُ كلاَمِي. وَالْكلاَمُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي... أَنْتُمْ أَحِبَّائِي إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أُوصِيكُمْ بِهِ... إِنْ حَفِظْتُمْ وَصَايَايَ تَثْبُتُونَ فِي مَحَبَّتِي كَمَا أَنِّي أَنَا قَدْ حَفِظْتُ وَصَايَا أَبِي وَأَثْبُتُ فِي مَحَبَّتِهِ» (يوحنا ١٤: ١٥، ٢١، ٢٣، ٢٤؛ ١٥: ١٤، ١٠).

نحن غير مطالبين بوصايا؟! ونعيش بالنعمة فقط؟! ليس هذا ما يقوله يسوع. وما يقوله يسوع هو فقط ما نستند إليه. حيث لا توجد قوانين ولا توجد وصايا لا توجد مملكة. وحيث لا توجد مملكة لا يوجد يسوع. إن أي لاهوت أو نظام تأويل ينفي كلمات يسوع الواضحة هو ليس من المسيح. لم يقضِ يسوع ليلته الأخيرة قبل موته مع تلاميذه يحثهم مرارًا وتكرارًا على حفظ وصاياه حتى يقول لهم فيما بعد أنه في واقع الأمر ليس لديه أيّة وصايا لهم.

البناء على الصخر

يحذرنا يسوع قرب نهاية موعظته على الجبل قائلاً: «كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: يَا رَبُّ يَا رَبُّ أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!» (متى ٧: ٢٢، ٢٣). يقول يسوع إذًا إنه سيرفض أي شخص يدعى الإيمان في حين لا يلتزم بقوانينه. يعرف القاموس الشخص الذي يخالف القانون بأنه الشخص الذي لا يلتزم بسلطة القانون.[٣] المخالفون للقانون هنا هم مسيحيون يصرحون بإيمانهم لكنهم إما يرفضون الاعتراف بقوانين يسوع ووصاياه أو يرفضون العيش بها.

يختم يسوع موعظته قائلاً: «فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا أُشَبِّهُهُ بِرَجُلٍ عَاقِلٍ بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ. فَنَزَلَ الْمَطَرُ وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ

وَوَقَعَتْ عَلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ فَلَمْ يَسْقُطْ لأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّسًا عَلَى الصَّخْرِ. وَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَلاَ يَعْمَلُ بِهَا يُشَبَّهُ بِرَجُلٍ جَاهِلٍ بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الرَّمْلِ. فَنَزَلَ الْمَطَرُ وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ وَصَدَمَتْ ذَلِكَ الْبَيْتَ فَسَقَطَ وَكَانَ سُقُوطُهُ عَظِيمًا!» (متى ٧: ٢٤-٢٧).

أليست هذه كلمات واضحة وصريحة؟ الطريقة الوحيدة التي يمكننا أن نبني بها على الصخر هي أن ننفذ تعاليم يسوع. لأننا إن لم ننفذ ما علمنا إياه نكون كمن يبني على الرمل. الأمر بسيط وواضح. لذلك أجده أمرًا لا يُصدق أننا يا من نعلن إيماننا بالكتاب المقدس نلقي بكلمات يسوع في وجهه بل ونسخر منها عندما نسبح بكل جراءة في صباح الآحاد قائلين:

رجاء نفسي وحده   دم يسوع واسمه
ليس خلاصٌ بسواه   إذ موته معطى الحياة

مسيحي صخري لا يُزال   وغيره الكل رمال

فحينما الجو يغيم   نُعماه ربي لي يديم
وفي اشتداد العاصفة   مرساة نفسي ثابتة

وإذ بنفسه يعود   تتم لي كل الوعود
وبرُّ ربي لا سواه   يبقى لباسي في سماه[٤]

إن النص الوحيد في الكتاب المقدس الذي يتحدث عن البناء على الصخر بدلاً من الرمل هو ذلك النص الذي أشرنا إليه أعلاه من الموعظة على الجبل. في هذا النص يقول يسوع صراحة إن الطريقة الوحيدة للبناء على الصخر هي أن ننفذ ما قاله في الموعظة على الجبل. نعمة يسوع بالطبع لا تتغير لكنه يمنحها فقط لمن يحبونه ويطيعون وصاياه.

إلا أن هذه الترنيمة تتجاهل تمامًا كلمات يسوع، وتعلم بدلاً من ذلك أننا نبني على الصخر فقط عندما نثق أن نعمة يسوع وبره إنما يغطياننا بغض النظر عن كيف نحيا. ولتخمن قارئي العزيز فيمن يثق معظم المسيحيون: يسوع أم كاتب هذه الترنيمة وغيره ممن يعظون ببشارة سهلة التصديق؟

قيم الملكوت

في حقبة الخمسينيات التي كبرت وترعرعت فيها كثيرا ما سمعتهم يتحدثون عن "النهج الأمريكي" والذي كانوا يقصدون به مجموعة القيم الأمريكية المغايرة للقيم الشيوعية والتي من بينها الإيمان القوي بالحرية الدينية وحرية الحديث وحرية الصحافة وسيادة القانون وانتخاب ممثلين يتحدثون نيابة عن الشعب.

هناك بالمثل "نهج الملكوت" حيث مملكة يسوع وقيمها الخاصة بها. سنناقش في الفصول التالية بعضًا من قوانين المملكة المؤسسة على هذه القيم والتي ستبدو للكثيرين قيمًا مقلوبة رأسًا على عقب. إذ هي على النقيض تمامًا من القيم البشرية. لكن أهم شيء علينا تذكره بشأن هذه القيم هي أنها متأصلة في الأبدية، والأمور في ضوء الأبدية تبدو مختلفة تمامًا.

يبدو الأمر مثل التغيير الذي يطرأ على صفات المركب الكيميائي (H_2O) مع تغيير درجات الحرارة. عندما يكون هذا المركب في درجة حرارة فوق ٣٢ درجة فهرنهيت (وتحت ٢١٢ درجة) نسميه ماء. وهو سائل يمكنه أن يتدفق في أنبوب وبإمكان الشخص أن يشربه أو يسبح فيه. لكن عندما تقل درجة الحرارة عن ٣٢ درجة فهرنهيت تتغير صفات هذا المركب كلية وتنقلب رأسًا على عقب. ما كان بإمكانك أن تشربه يصبح بإمكانك أن تأكله، وما كان بإمكانك أن تسبح فيه

يصبح بإمكانك أن تسير عليه.

ينطبق نفس الأمر على الأبدية. كل شيء من ممتلكات ومواهب وأنشطة وقيم يتغير تمامًا عندما ننظر إليه بعين الأبدية. الأشياء التي تعتبر بركات من المنظور الأرضي غالبًا ما تتحول إلى لعنة من منظور الأبدية. الأبدية في الملكوت ليست هي الشيء الأساسي بل هي الشيء الوحيد. كل شيء عداها لا وجود ولا قيمة له.

ولهذا السبب نتوقع أن تكون قوانين وقيم الملكوت مختلفة بل وثورية. هذه هي قوانين وقيم الأبدية وهي تختلف بالطبع عن قوانين وقيم الأرض.

النقلة الكبرى في الهيكل الفكري

الحياة والعمل في ملكوت الله إنما يتطلبان تغييرًا جذريا في الهيكل الفكري للفرد. الكلمة المترجمة هيكل فكري (*paradigm*) هنا تعني في الأساس نموذج أو منوال. وهي تعني أيضًا فكرتنا أو مفهومنا الكلي أو مجموع افتراضاتنا التي تمكنا من فهم (أو إساءة فهم) حدث ما، أو الحياة بصفة عامة. إننا نقوم بنقلة فكرية عندما يكون لدينا تصور معين عن حقيقة أمر ثم نكتشف فيما بعد أن حقيقته مختلفة تمامًا.

على سبيل المثال واحدة من النقلات الكبرى في الهيكل الفكري في مجال العلوم حدثت عندما قال كوبرنيكس إن الأرض والكواكب الأخرى تدور حول الشمس. بمجرد أن قبل العلماء نموذج كوبرنيكس الذي يقول بمركزية الشمس، كان عليهم أن يغيروا الكثير من افتراضاتهم السابقة عن حركة الأرض. بالمثل حين اكتشف لويس باستير وعلماء آخرون أن الجراثيم تسبب الأمراض، أحدث هذا تغييرًا جذريًا في ممارسة الطب.

يعطينا الكاتب فرانك كوك (*Frank Koch*) مثالاً رائعًا عن تغيير الهيكل الفكري في قصة رواها على حلقات في مجلة المعهد البحري الأمريكي (*United States Naval Institute*):

كانت هناك بارجتان حربيتان ضمن بوارج أسطول التدريب. وقد اشتبكت كلاهما في مناورات عسكرية في عرض البحر في ظل طقس سيء لعدة أيام. كنت على متن البارجة الرئيسية وكنت في نوبة حراستي على منصة الربان عندما حل الليل. كانت الرؤية ضعيفة بسبب الضباب ولذلك ظل الربان على منصته مراقبًا كل ما يدور. بعد حلول الظلام بفترة قصيرة، أعلن الحارس على جانب المنصة أن هناك مصدر ضوء يتوهج على مقدم البارجة الأيمن. سأله الربان: "هل هو ثابت أم يتحرك نحو مؤخر البارجة؟" أجابه الحارس: "ثابت أيها الربان". وكان معني هذا أننا على وشك اصطدام خطر بالسفينة مصدر الضوء. استدعي الربان عامل الإشارة وقال له: "أرسل هذه الإشارة إلى تلك السفينة: نحن على وشك الاصطدام. غيروا مساركم عشرون درجة". فجاء الرد: "ننصحكم بتغيير مساركم عشرون درجة." قال الربان لعامل الإشارة: "أرسل التالي: هنا الربان غيروا مساركم عشرون درجة". فجاء الرد: "هنا جندي بحري من الدرجة الثانية. من الأفضل لكم أن تغيروا مساركم عشرون درجة". عندها استشاط الربان غضبًا وقال لعامل الإشارة: "أرسل التالي: هنا بارجة حربية. غيروا مساركم عشرون درجة" وعندها جاءت الرسالة المفاجئة: "هنا المنارة". وعليه غيرنا مسارنا.[٥]

إن النقلة الفكرية التي يجب علينا أن نقوم بها كي ندخل الملكوت ونبقى به لهي جوهرية جذرية بنفس هذا القدر. نكتشف كمواطنين جدد في الملكوت أن

الكثير من الأشياء التي ظنناها سفنًا هي في الواقع منارات. فإذا كنا مواطنين حقيقيين؛ فستتغير كل نظرتنا للعالم.

هذه ليست مجرد أفكار يومية لطيفة

بقي لدي تعليق أخير قبل أن ننتقل إلى مناقشة بعض قوانين الملكوت الثورية وقيمه المقلوبة. سمع الكثيرون منا تعاليم يسوع هذه مرارًا لدرجة أننا أصبحنا عمليًا فاقدي الحس بما تقوله. لقد تحولت تعاليم يسوع الثورية إلى أقوال معتادة متكررة وبالية وأفكار يومية لطيفة، فنحن نتحدث عن "التطوبيات" و"القاعدة الذهبية" و"السير ميلاً إضافيًا" كأمور لطيفة وليس كأمور نأخذها على محمل الجد أو ننفذها حرفيًا.

في نسختي الشخصية من الكتاب المقدس ترد الآيات السبعة الأولي من الموعظة على الجبل (التطوبيات) مطبوعة في شكل شعري كما لو كانت مجرد كلمات جميلة ليس المقصود بها أن تُؤخذ على محمل الجد. شعر؟ لم يكن يسوع يقرأ شعرًا على مسامع الجموع التي أتت لتسمعه في ذلك اليوم. لم يرد يسوع أن يذهب كلاً منهم إلى بيته متحدثًا عن الكلمات الجميلة التي سمعها. ما أراده يسوع هو أن يخاطب أعماقهم ويتحداها. أراد أن يعطيهم قيمًا جديدة وقوانين جديدة لحياة جديدة.

سنناقش في الصفحات التالية مجموعة من قيم الملكوت الجديدة وقوانينه الصعبة. إلا أننا لن نغطي كل هذه التعاليم بشرحنا لها بل سنتناولها مباشرة كما هي. هل سننزعج من هذه التعاليم؟ نعم بكل تأكيد.

٥

تغيير نظرتنا للمال

دعونا أولاً نلقي الضوء على واحد من أكثر ما يتحدانا من قوانين يسوع ثورية. يتعلق هذا القانون بأكثر شيء يطلبه البشر ويسعون ورائه ألا وهو: الثروة والرخاء. نادرًا ما تمنع الحكومات الأرضية رعاياها من تخزين كنوز أرضية. إلا أن حكومة يسوع تمنع هذا الفعل تمامًا. يأمرنا ملكنا قائلاً: «لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ» (متى ٦: ١٩، ٢٠).

ماذا؟! لا يمكنني أن أكنز لنفسي هنا على الأرض؟ ولما لا؟ يجيب يسوع قائلاً: «لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا» (متى ٦: ٢١). رأينا في الفصل السابق كيف أن يسوع لا يسمح لرعاياه بوضعه في مرتبة ثانوية في حياتهم. لذلك يكمل قائلاً: «لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ» (متى ٦: ٢٤).

باختصار يجب أن يكون يسوع هو سيدنا الأوحد. الكثير من الحكومات الأرضية لا تمانع أن يخدم رعاياها المال أو أيًا من الأمور المادية طالما يلتزمون

بما عليهم من واجبات. لكن في وقت الحرب، حتى الحكومات الأرضية تتوقع منهم أن يقدموا بلدهم على اهتماماتهم المادية. تفرض الدولة التجنيد الإلزامي على الرجال بغض النظر عن تأثير هذا على أعمالهم أو ثرواتهم. في مثل هذه الأوقات تأتي المصالح الوطنية مقدمة على المصالح المادية.

أيضًا لا تختلف مملكة الله عن الممالك الأرضية في هذا الشأن فيما عدا أنها تطالب بالمزيد. وكما قلت مملكة الله هي في حالة حرب دائمة. ومساعينا المادية ستتعارض دائمًا مع الالتزامات التي تفرضها المملكة علينا.

هل هذا يعني أن نترك أعمالنا ونستقيل من وظائفنا. بالطبع لا. يقول يسوع شارحًا:

> «لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ؟ اُنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَلاَ تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ وَأَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا؟ وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعًا وَاحِدَةً؟
>
> وَلِمَاذَا تَهْتَمُّونَ بِاللِّبَاسِ؟ تَأَمَّلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو! لاَ تَتْعَبُ وَلاَ تَغْزِلُ. وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ وَلاَ سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا. فَإِنْ كَانَ عُشْبُ الْحَقْلِ الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ وَيُطْرَحُ غَدًا فِي التَّنُّورِ يُلْبِسُهُ اللَّهُ هَكَذَا أَفَلَيْسَ بِالْحَرِيِّ جِدًّا يُلْبِسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ؟
>
> فَلاَ تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ فَإِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا الأُمَمُ. لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ كُلِّهَا. لَكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ وَهَذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ» (متى ٦: ٢٥-٣٣).

لا يقول يسوع هنا أنه ليس باستطاعتنا أن نوفر الأمور المادية لأنفسنا

ولأسرنا. لكنه يقول إن علينا أن نطلب الملكوت أولاً. علينا أن نضع أعمالنا ووظائفنا في المرتبة الثانية لو أردنا أن نظل مقيمين في مملكته.

وبماذا يعدنا يسوع إذا طلبنا ملكوته أولاً؟ هل يعدنا بالرخاء المادي؟ لا. إنه فقط يعدنا بأن الله سيسدد احتياجاتنا الأساسية من طعام ولباس ومسكن.

النقلة الكبرى في هيكل القيم

عندما يتعلق الأمر بالممتلكات المادية، لا يقدم لنا ملكوت الله قوانين مختلفة فقط، لكنه يعطينا مجموعة قيم مغايرة تمامًا. يقول يسوع: «طُوبَاكُمْ أَيُّهَا الْمَسَاكِينُ لأَنَّ لَكُمْ مَلَكُوتَ اللهِ» (لوقا ٦: ٢٠). أصبحت التطوبيات للكثيرين منا عديمة النكهة وبلا بريق لدرجة أننا لا ندرك التصريح الثوري الذي يعطيه يسوع في هذه العبارة.

طوبي للفقراء؟! كم واحد منا يصدق هذا؟ أعنى يصدقه بالفعل؟ عندما نمر بجوار بيت شخص مسيحي فقير، هل نقول في قلوبنا: "يا لها من بركة. يا لبركة الله لهذه الأسرة." دعونا نكون صرحاء ونقول إن قليلون جدًا هم من ينتابهم هذا الشعور. هذا لأننا لا نؤمن حقًا أن الفقر بركة.

لكن في المقابل كثيرًا جدًا ما أراني مسيحيون بيوتهم الجميلة وممتلكاتهم الوفيرة قائلين: "أنظر ماذا أعطانا الرب." إن قال لي أحدهم هذا الكلام ثانية، فربما أرد متسائلاً: "حقًا؟ ولماذا يفعل الرب ذلك؟ هل تعرف لماذا يُنزل الله بك مثل هذا البلاء؟" متى سنستيقظ ونصدق يسوع؟ لقد أخبرنا «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الأَغْنِيَاءُ لأَنَّكُمْ قَدْ نِلْتُمْ عَزَاءَكُمْ» (لوقا ٦: ٢٤). إن الرخاء شرك وليس بركة أما الفقر من يد الرب فبركة وليس لعنة.

تدعونا هذه الحقيقة إلى نقلة جذرية في هيكلنا الفكري. نقلة تشبه

اكتشافنا لحقيقية أن ما ظنناه سفينة هو في الواقع منارة. يقول الكتاب المقدس: «وَأَمَّا التَّقْوَى مَعَ الْقَنَاعَةِ فَهِيَ تِجَارَةٌ عَظِيمَةٌ، لأَنَّنَا لَمْ نَدْخُلِ الْعَالَمَ بِشَيْءٍ، وَوَاضِحٌ أَنَّنَا لاَ نَقْدِرُ أَنْ نَخْرُجَ مِنْهُ بِشَيْءٍ. فَإِنْ كَانَ لَنَا قُوتٌ وَكِسْوَةٌ فَلْنَكْتَفِ بِهِمَا. وَأَمَّا الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ فَيَسْقُطُونَ فِي تَجْرِبَةٍ وَفَخٍّ وَشَهَوَاتٍ كَثِيرَةٍ غَبِيَّةٍ وَمُضِرَّةٍ تُغَرِّقُ النَّاسَ فِي الْعَطَبِ وَالْهَلاَكِ، لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ، الَّذِي إِذِ ابْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الإِيمَانِ، وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ» (١تيموثاوس ٦: ٦-١٠).

فقراء الملكوت مقابل فقراء العالم

هل معنى هذا أنني لو كنت فقيرًا أكون تلقائيًا في علاقة جيدة مع المسيح؟ لا، لأنه لا يكفي أن يكون الشخص فقيرًا. ليس معنى أننا فقراء أننا نطلب أولاً ملكوت الله. في الموعظة على الجبل استخدم يسوع تعبير مختلف عن ذلك الذي استخدمه في الموعظة على السهل المدونة في لوقا ٦. يقول يسوع في الموعظة على الجبل: «طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ» (متى ٥: ٣). لا يرد تعبير "المساكين بالروح" في أي نص أخر في الكتاب المقدس. ويقول معظم المفسرين أنه يعني "المحزون" أو "المتواضع". ربما يكون هذا صحيحًا.

إلا أن شيخ مسيحي من القرن الثاني وهو كليمنت السكندري يفسر التعبير بصورة مختلفة. فهم كليمنت كلمات يسوع على أنها تعني: "طوبي لمن هم فقراء في نفوسهم"[١] بمعنى أنه بصرف النظر عما يملكونه سواء كان قليلاً أو كثيرًا، فإن نفوسهم منفصلة عن الأشياء المادية. غير أنه يمكن أن يكون الشخص فقيرًا حرفيًا لكنه يشتهى في نفسه ما لغيره. إن الغالبية العظمى من فقراء هذا العالم

هم في الواقع ليسوا "مساكين بالروح" إذ أن أرواحهم لا تتجه إلى الملكوت بل إلى المال والثروة.

الفقر الدنيوي ليس اختياريًا. وقلوب الكثيرين من فقراء العالم مشغولة بكيفية الحصول على المزيد من الأشياء المادية، فتجدهم يحسدون الأغنياء وأبناء الطبقة الوسطى. كما أن رغبتهم في الحصول على المال قوية جدًا لدرجة أنهم يستدينون لشراء ما لا يمكنهم الحصول عليه. والبعض منهم يسلك بعدم أمانه وربما يسرق. وعندما يستدينون يعجزون عن السداد فيغادرون المدينة خلسة دون أن يسددوا ما عليهم من فواتير. أو ربما يصرحون بعدم قدرتهم على السداد ويطالبون بإسقاط الدين أو تقليصه، ملقين اللوم على الدائنين. فقراء العالم يضاهون أغنياءه في بعض الأحيان من حيث استهلاكهم للأشياء المادية، فهم يريدون ارتداء ملابس أنيقة وقيادة سيارة لافتة للنظر. وهم في الواقع محبون للمال مثلهم مثل الأغنياء تمامًا.

هناك نوع أخر من فقراء العالم يمثله الأشخاص الكسالى أو غير المسؤولين. ربما يكرس هؤلاء القليل من الوقت لكسب المال وهو ربما يكون أمر جدير بالثناء. إلا أن هؤلاء يتحولون إلى عبء على الآخرين سواء كنائسهم أو آبائهم أو أصدقائهم أو الحكومة. (لا أتحدث هنا عن الأشخاص غير القادرين على العمل مثل كبار السن أو المرضي أو ذوي الاحتياجات الخاصة). في بعض الأحيان لا يملك هؤلاء ما يكفي من مال لأنهم ينفقون ما معهم على المشروبات الكحولية أو المقامرة أو السجائر أو المخدرات وما إلى ذلك من أشياء. مثل هؤلاء الفقراء في العالم والذين يعلنون مسيحيتهم لا ينفعون الملكوت بشيء. هم لا يعملون من أجل المال ولا يعملون كذلك من أجل المسيح.

على عكس كل ذلك، فقر الملكوت هو فقر اختياري. بعض فقراء الملكوت

هم أغنياء سابقون لكنهم أعطوا ثروتهم لمساعدة المحتاجين. ومنهم من هو فقير في الأصل واختار أن يظل فقيرًا. الفقراء الأتقياء ليسوا فقراء من الخارج فقط بل من الداخل أيضًا، إذ أن أهداف قلوبهم موجهة نحو الملكوت وليس نحو الحصول على المزيد من المال. فقراء الملكوت لا يحسدون غيرهم من الأغنياء إذ هم يؤمنون حقًا أن في الفقر بركة. وإن كان هكذا، فلماذا يحسدون الأغنياء الذين يفتقدون مثل هذه البركة التي لهم؟

فقراء الملكوت ليسوا كسالى بل مجتهدين في أعمالهم. ربما يحتاج البعض منهم نظرًا لظروفهم أن يعملوا بدوام كامل كي يوفروا احتياجات أسرهم. وهم يعلمون جيدًا أن الكتاب المقدس يقول: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُرِيدُ أَنْ يَشْتَغِلَ فَلاَ يَأْكُلْ أَيْضًا» (٢تسالونيكي ٣: ١٠). لكن سواء كان يعملون بدوام كامل أو دوام جزئي، فهم يعملون بجد كذلك من أجل الملكوت.

فقراء الملكوت لا يشتهون ما لغيرهم، فلا يشترون ما ليس بمقدورهم كما لا يشترون السلع الاستهلاكية بالدين. فقراء الملكوت يلتزمون بما عليهم من مديونيات إذ أن قولهم "نعم" يعني حقًا "نعم" وقولهم "لا" يعنى حقًا "لا". فقراء الملكوت ربما يعيشون من الإنجيل، وهذا مكرم أمام الله طالما يجتهدون في خدمة ملكهم. إلا أن فقراء الملكوت لا يعيشون عالة على آبائهم أو أصدقائهم أو هيئات الخدمة الاجتماعية. فقراء الملكوت لا يمثلون عبئًا على أحد.

هل يمكن أن يكون هناك شخصًا غنيًا "مسكينًا بالروح"؟

من الناحية النظرية يمكن أن يتمتع الشخص بغني نسبي ومع ذلك يكون "مسكينًا بالروح"، أي يكون المال خادمه وليس سيده. لنا في شخص بولس مثال جيد لإنسان "مسكين بالروح." كتب بولس لأهل فيلبي قائلاً: «لَيْسَ أَنِّي

أَقُولُ مِنْ جِهَةِ احْتِيَاجٍ، فَإِنِّي قَدْ تَعَلَّمْتُ أَنْ أَكُونَ مُكْتَفِيًا بِمَا أَنَا فِيهِ. أَعْرِفُ أَنْ أَتَّضِعَ وَأَعْرِفُ أَيْضًا أَنْ أَسْتَفْضِلَ. فِي كُلِّ شَيْءٍ وَفِي جَمِيعِ الأَشْيَاءِ قَدْ تَدَرَّبْتُ أَنْ أَشْبَعَ وَأَنْ أَجُوعَ، وَأَنْ أَسْتَفْضِلَ وَأَنْ أَنْقُصَ» (فيلبي ٤: ١١، ١٢). كان بولس، سواء كان لديه الكثير أو القليل، منفصلاً عن ممتلكاته المادية ولم يتردد أبدًا في التخلي عنها كلما دعت الحاجة.

إلا أنني أشك في أن بولس كان غنيًا حتى في وقت الوفرة. وعلينا أن ندرك أنه من الصعب جدًا أن يكون الشخص غنيًا حرفيًا ويكون في الوقت عينه "مسكينًا بالروح"، فكما قال يسوع: «حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا.» لو أننا نملك كنزًا هنا على الأرض فسيكون قلبنا على هذا الكنز. سنهتم بشأن الحفاظ عليه وسنقلق أيضًا من فقده بأي شكل. لذلك قال يسوع في مناسبة أخرى: «إِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ» (متى ١٩: ٢٤).

أشرت في الفصل السابق إلى قول يسوع الواضح: «كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لاَ يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا» (لوقا ١٤: ٣٣). وبالطبع كلما كان لدينا الكثير لنتركه كلما كان من الصعب علينا أن نتخلى عنه. يمكننا أن نخدع أنفسنا بأننا "مساكين بالروح" ونحن أغنياء لكننا لا يمكن أن نخدع يسوع إذ هو يعلم أين نضع كنزنا حتى وأن كنا نحن لا نعلم.

إن تعاليم يسوع الثورية عن الثروة والمال يجب أن تهز قلوب كل الأمريكيين المسيحيين. لماذا؟ لأنهم أغنى شعب على وجه الأرض. في عام ٢٠٠٢ كان دخل الأمريكيين كأمة يوازي ٣٦,٣٠٠ دولار لكل رجل وامرأة وطفل في أمريكا.[٢] ونصف العائلات فيها لها دخل سنوي يقدر بـ ٥٦,٠٠٠ دولار على الأقل.[٣] ومع ذلك لا تشعر الأسرة الأمريكية التقليدية أنها غنية بشكل خاص هذا لأنها تري

أن مستوى معيشتها لا يختلف عن مستوى معيشة الأسر التي تعيش حولها. في الواقع يشتكي هؤلاء من مرورهم بأيام عصيبة وينتحبون من صعوبة تسديد احتياجاتهم.

إلا أن رحلة واحدة إلى دولة من دول العالم الثالث من شأنها أن تفتح عيونهم على الثروة الهائلة التي يمتلكونها، وعلى أنهم أغنياء بالفعل سواء أدركوا ذلك أم لم يدركوه. إي عائلة في أي مكان من العالم يصل دخلها السنوي إلى ٥٦,٠٠٠ دولار تعتبر غنية إلى أبعد حد.

أما في رومانيا فيصل دخل الفرد في السنة إلى ٦,٨٠٠ دولار أي أقل من خُمس دخل الفرد في أمريكا.[٤] ومع ذلك دخل الفرد في رومانيا هو أعلى بكثير من معظم دول العالم، فهو يصل إلى أكثر من ضعف دخل الفرد في هندوراس الذي يبلغ ٢,٦٠٠ دولار في العام[٥]، وهذا أكثر من ضعف دخل الفرد في أوغندا والذي يبلغ ١,٢٠٠ دولار في السنة.[٦] أما دخل الفرد في الصومال وهو ٥٥٠ دولار في السنة فهو أقل من نصف دخل الفرد في أوغندا.[٧] بعبارة أخرى هناك من يكسب في خمسة أيام ونصف ما يكسبه آخرون في السنة

والأن كيف يكون وضعنا إن كنا أغنياء بالنسبة لملكوت الله؟ قال يسوع: «إِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ.» على عكس ما يظن معظم المسيحيين ليس الغنى بركة من الله. فاعتبار الرخاء المادي بركة من الله من آثار نظام القيم في العهد العتيق، وهو دليل على عدم انتقالنا النقلة اللازمة لمنظومة القيم. في ملكوت الله الفقراء مباركون والأغنياء عليهم أن يصارعوا للحصول على بركة كما الجمل الذي يحاول الدخول من ثقب.

والأن هل فقد المسيحيون الأغنياء الرجاء؟ كلا! يسوع أعطاهم بصيصًا من الأمل. وعندما سمع تلاميذ يسوع كلماته عن صعوبة دخول الأغنياء إلى ملكوت

الله تساءلوا: «إِذًا مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ يَسُوعُ وَقَالَ: "هَذَا عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ وَلَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ"» (متى ١٩: ٢٥، ٢٦).

هناك إذًا رجاء للأغنياء بفضل تدخل الله. لكنهم يخدعون أنفسهم لو ظنوا أنهم جميعًا سيمرقون من خلال هذا الاستثناء الضيق. لو أراد أحدهم أن يشمله هذا الاستثناء فعليه أن يتأكد بلا أي ريب أنه في مقدمة من ينفذون ما قال يسوع أنه مركزي لما يدعو إليه من قيم:

«ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي... فَيُجِيبُ الْمَلِكُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي فَعَلْتُمْ» (متى ٢٥: ٣٤، ٣٥، ٤٠).

هناك إذًا استخدام واحد صالح للمال وهو استخدام له قيمة أبدية: توفير الطعام والكساء والمسكن للمرضى والفقراء والمسجونين وزيارتهم. وأن أراد المسيحيين الأغنياء أن يظلوا داخل ملكوت الله، فيجب أن يكون تقديم هذه الخدمات لسد احتياجات الآخرين هو أمر أساسي في حياتهم كما كان أساسيًا في حياة يسوع.

أتعجب كثيرًا عندما أجد أن المسيحيين الذين يؤمنون بالكتاب المقدس يعتبرون أن خدمة الفقراء هي خدمة من الدرجة الثانية. يعتبر البعض أن خدمتك لو لم تتعلق بخلاص النفوس فهي بلا قيمة. لكن في الملكوت يسوع وحده هو من يقرِّر قيمة الخدمة من عدمها. وهو قد قال إن مساعدة الفقراء هي خدمة أساسية. بل قال إنها ستكون المحدِّد الأساسي لمن سيرث الملكوت ومن لن يرثه. إن خدمة الفقراء هي على نفس قدر أهمية الكرازة ببشارة يسوع.

فحص الذات

سيدعى معظم المسيحيين أن الملكوت يحتل حقًا المقام الأول في حياتهم. ربما يقول أحدهم: "أملك بالطبع كنزًا وفيرًا هنا على الأرض. إلا أنه لا يعني شيئًا لي. قلبي موجه نحو يسوع وليس نحو كنزي الأرضي." هذا ما يقوله معظمنا. أليس كذلك؟

ربما هذا ما تقوله لنفسك عزيزي القارئ. وربما تكون صادقًا. لكن قلب الإنسان يخدعه. ولذلك علينا أن نفحص أنفسنا كي نقرر أين يستقر قلبنا. إليك بعض الأسئلة البسيطة التي تساعدك على اكتشاف الأمر:

لو أنك تعمل لتكسب عيشك، خذ ورقة وقلم واكتب الآتي:

١. عدد الساعات التي تقضيها كل أسبوع في عملك بما في ذلك الوقت الذي تقضيها في الذهاب إلى والإياب من العمل

٢. عدد الساعات التي تخصصها كل أسبوع للتنظيف وشراء ما يلزم والاعتناء بمقتنياتك المادية

٣. عدد الساعات التي تخصصها كل أسبوع لأمور الملكوت؛ وأقصد هنا أعمال مثل الشهادة وزيارة المرضى وتقديم الطعام والملبس للفقراء ودراسة الكتاب والصلاة والشركة وغيرها من الأعمال التي من خلالها تهتم بأمور عائلتك الروحية وتعزز من الملكوت.

الآن قارن بين عدد الساعات التي تقضيها كل أسبوع في عمل الملكوت بعدد الساعات التي تقضيها كل أسبوع لتحقيق مكاسبك المادية والاهتمام بمقتنياتك المادية. إلى أيهما يذهب معظم وقتك؟ نحتاج بالطبع إلى بعض العمل الدنيوي كي نسدد احتياجات الحياة. لكن هل نظن حقًا أنه يمكننا أن

نقنع يسوع أننا نعمل فقط لتسديد احتياجات الحياة وليس للحفاظ على أسلوب الحياة الأمريكي المريح؟

عندما تتعارض التزامات الوظيفة مع التزامات الملكوت، أيهما يأتي أولاً؟ هل تتطلب وظيفتنا أن نفوِّت حضور الكنيسة دائمًا أو كثيرًا؟ هل تتركنا وظيفتنا في غاية التعب لدرجة أننا لا نقدر على فعل شيء مفيد للملكوت؟ هل نشعر أننا أدينا ما علينا من التزامات نحو الملكوت لو تحدثنا إلى الملك وأبيه لمدة عشر دقائق في اليوم؟

لو كنتِ ربة منزل، يمكنك أن تسألي نفسكِ الأسئلة التالية:

١. هل سأكون راضية لو أن زوجي يربح ما يكفي فقط لسد ضروريات الحياة أم عليه أن يجنى المزيد حتى أكون سعيدة؟

٢. هل أنفق مالاً أكثر مما يكسبه زوجي؟

٣. هل اشتكي لزوجي من عدم توافر المال؟

٤. ما هي نسبة المقتنيات المادية في البيت التي أتمسك به وليس التي يتمسك زوجي بها؟

غالبًا ما يتحمل الزوج العبء الأكبر لنزعة زوجته المادية. هذا لأن هذه النزعة المادية ستدفعه للعمل ساعات أطول. أو لتغيير وظيفته بآخري ذات راتب أعلى من شأنها أن تدمر حياته الروحية. ربما تشكو الزوجة من ساعات عمل زوجها الطويلة. لكن ما تنفقه وما تريد الحصول عليه هو ما يدفعه للعمل كل هذه الساعات الطويلة.

وعليه إن كنتِ زوجة مسيحية فاحرصي على أن تضعي اهتمامات الملكوت في المقدمة. لو إنكِ مسيحية تعيش حقًا بحسب الملكوت فاحرصي على أن

يعرف زوجك أنك سعيدة بتسديد ضروريات الحياة. لا تظهري له هذا بالكلمات فقط بل بالطريقة التي تعيشين بها وتنفقين بها وبما تطلبينه منه.

هذه مجرد البداية

يتطلب هذا التعليم الواحد من تعاليم يسوع نقلة كبيرة في الهيكل الفكري. أليس كذلك؟ إن قيمة الأمور المادية في الملكوت هي عكس قيمتها في العالم. إلا أن التحول في أفكارنا بشأن المال هو مجر البداية. هناك الكثير من التغييرات الأخرى التي علينا أن نجريها فيما نؤمن به من قيم حتى نؤهَّل لملكوت الله.

لكن لا تيأس عزيزي القارئ، فيسوع لا يطلب منا أبدًا إلا الأمور التي يعلم أننا نقدر على فعلها بقوته.

٦

معيار جديد للصدق

«أَيْضًا سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَحْنَثْ بَلْ أَوْفِ لِلرَّبِّ أَقْسَامَكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَحْلِفُوا الْبَتَّةَ لاَ بِالسَّمَاءِ لأَنَّهَا كُرْسِيُّ اللَّهِ وَلاَ بِالأَرْضِ لأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ وَلاَ بِأُورُشَلِيمَ لأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ. وَلاَ تَحْلِفْ بِرَأْسِكَ لأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَجْعَلَ شَعْرَةً وَاحِدَةً بَيْضَاءَ أَوْ سَوْدَاءَ. بَلْ لِيَكُنْ كَلاَمُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ لاَ لاَ. وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ الشِّرِّيرِ» (متى ٥: ٣٣-٣٧).*

يخبر يسوع تلاميذه هنا بما لا يدع أي مجال للالتباس ألا يقسموا أو يحلفوا البتة، إذ أن القسم قد يعرضنا للنطق باسم الرب باطلاً وهذه خطية خطيرة. إلا أن النطق باسم الرب باطلاً ليس هو السبب الوحيد وراء منع القسم. كان يسوع يقدم لتلاميذه معيارًا ثوريًا للصدق في مقابل القَسَم الذي كان أحد العلامات المميزة للمجتمع القديم سواء اليهودي أو الأممي. كان الناس في القديم يلجأون كثيرًا إلى القسم وخاصة في أمور التجارة والدين والحكم.

لماذا كان الناس يلجأون كثيرًا إلى القسم؟ لانعدام الثقة فيما بينهم. على سبيل المثال، دعونا نتخيل أن لاوي بار يوسف وهو يهودي في القرن الأول ذهب

* هذا التعليم الخاص بالقسم يكرره يعقوب في رسالته «وَلكِنْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ يَا إِخْوَتِي، لاَ تَحْلِفُوا، لاَ بِالسَّمَاءِ، وَلاَ بِالأَرْضِ، وَلاَ بِقَسَمٍ آخَرَ. بَلْ لِتَكُنْ نَعَمْكُمْ نَعَمْ، وَلاَكُمْ لاَ، لِئَلاَّ تَقَعُوا تَحْتَ دَيْنُونَةٍ» (يعقوب ٥: ١٢).

إلى السوق كي يبتاع خاتمًا. وهناك رأي خاتمًا جميلاً أعجبه فقرر أن يشتريه لكن الخاتم كان كثير الثمن وهو يستحق ما يطلبه فيه التاجر من مال لو كان حقًا من الذهب الخالص.

سأل لاوي التاجر: "هل هذا ذهبًا خالصًا؟"

فأجابه التاجر: "نعم من الذهب الخالص."

سأل لاوي وهو يتحسس الخاتم بأصابعه مفكرًا: "هل أنت واثق؟"

أجاب التاجر: "نعم أنا واثق."

فسأل لاوي ثانية: "لكن هل أنت واثق بكل تأكيد؟"

فأجاب التاجر بهدوء مطمئنًا لاوي: "نعم متأكد بلا ريب، فأنا أعرف شخصيًا الصانع الذي شكله وهو كان قد أكد لي أنه من الذهب الخالص."

إلا أن لاوي ما زال يشك في الأمر وهو يعلم أنه ليس بمقدوره أن يثق حتى في مواطنه اليهودي. لذلك حمل الخاتم في يده برفق محاولاً أن يحدد وزنه. وفحصه جيدًا كي يري إن كان به أي خدش من شأنها أن يكشف عن معدنه الأساسي. وفي النهاية شعر بالثقة إلى حد ما أنه ذهب خالص. لكنه ليس واثقًا ثقة كلية.

وأخيرًا قال للتاجر: "أريدك أن تقسم بالهيكل أن الخاتم مصنوع من الذهب الخالص وليس مطليًا بالذهب فحسب." أقسم التاجر بناء على طلب لاوي الذي أصبح باستطاعته الآن شراء الخاتم دون المزيد من القلق إذ لا يوجد يهودي يخاف الله يتجرأ على أن يقسم بالهيكل لو أنه يتفوه بالكذب.

كان هذا هو شكل الحياة اليومية في العالم القديم حيث القليل من الناس هم

فقط الجديرون بالثقة. لم يكن هناك نيابات عامة ولا مؤسسات حكومية مثل لجنة التجارة الفيدرالية كي تقاضي التجار إن ادعى أحدٌ منهم أمرًا بالكذب. لذلك لجأ المجتمع إلى القسم هذا لأن الناس كانوا يخشون أن يقسموا باطلاً. وحتى الأمم كان لديها احترام للقسم لأنها كانت تخشى عقاب الآلهة للقسم الكاذب. ونتيجة لذلك أصبح القسم عادة متبعة في التجارة والأمور القانونية والحكومة. باختصار كان القسم يساعد على سريان الحياة في المجتمع.

ومع ذلك أقر نظام العمل بالقسم وجود معيارين للصدق. المعيار الأول يستخدمه الناس في محادثاتهم العادية ونوع أخر يستخدمونه عندما يكونون تحت القسم.

لكن يسوع لا يسمح بوجود معيار مزدوج للصدق في ملكوته. عندما نهى يسوع رعاياه عن القسم، كان يقدم معيار جديد للصدق. لرعايا يسوع معيار واحد للصدق. ليكن قولكم "نعم" يعني "نعم" وقولكم "لا" يعني "لا." كلمة المسيحي الحقيقي تعوض عن القسم.

محبو الحق

إلا أن الصدق والحق لا يقتصران على التجارة والقانون والحكومة. قال يسوع لبيلاطس: «لِهَذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا وَلِهَذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي» (يوحنا ١٨: ٣٧). لا يسمح يسوع بدخول ملكوته إلا لمن هم "من الحق." يجب أن تخترق محبة الحق كل نسيج في أرواحنا. وستنجح في هذا لو كنا مولودين من الروح حقًا ونستمر في السير بالروح، إذ أن يسوع يشير إلى الروح القدس على أنه «روح الحق» (يوحنا ١٤: ١٧).

لكن كم مسيحي* تعرفه يتبع معيار الصدق المعمول به في الملكوت؟ كم مسيحي تعرفه كلمة "نعم" من فمه تعني "نعم" وكلمة "لا" من فمه تعني "لا"؟ هل عندما يخبرك أخ مسيحي بشيء، تثق دائمًا أنه يمكنك أن تعوِّل بالكامل على صدق ما يقول، أي تكون متأكد تمامًا من أن ما يقوله ليس كذب أو مبالغة أو مجرد شائعة يرددها؟ عندما يخبرك مسيحي أنه سيفعل هذا الشيء، هل تعتمد على قوله هذا (إلا في حالة وقوع حادث غير متوقع مثل حادث سيارة) أم هل قوله "نعم" يعني "ربما"؟

الأمانة في العمل

عندما يكون هناك عمل لاً يملكه مسيحي، يجب أن يعلم العالم كله أنه عمل يدار بالعدل والصدق. هذا ما يجب أن يكون عليه الأمر. لكن لو كان لك مثل تجاربي، فستعلم أن الوضع ليس هكذا. الحقيقة المؤلمة هي أن معظم المسيحيين الذي يشهدون بمسيحيتهم ليسوا مسيحيين حسب الملكوت. ولا تختلف أمانتهم كثيرًا عن أمانة أهل العالم.

يغش المسيحيون فيما يتعلق بالضرائب، ويكذبون على موظفيهم، ويكتبون شيكات بلا رصيد، ويفرون من المدينة دون دفع ما عليهم من فواتير. أنا محام وقد كنت امتلك مكتب محاماة في الشارع الرئيسي في مدينتنا اجتهدت فيه دائمًا في خدمة عملائي. جميعهم كانوا يدفعون لي أتعابي المستحقة من غير تأجيل. لكنني أتذكر أربعة عملاء احتالوا على وتهربوا من الدفع وكان أربعتهم مسيحيين. لا أقصد مسيحيين بالاسم بل مسيحيين يجاهرون بمسيحيتهم.

* عندما أتحدث عن "المسيحيين" في هذا الكتاب فأنا أشير إلى الأشخاص الذين يعترفون بمسيحيتهم. وهؤلاء ربما يكونوا مسيحيون حقيقيون أو لا. لكنني استخدم مصطلح "مسيحيو الملكوت" عندما اقصد المسيحيين الذين يعيشون حقًا بحسب تعاليم ملكوت يسوع.

عدم الأمانة في الأدب المسيحي

لا تظهر عدم أمانة المسيحيين في ممارستهم لأعمالهم فحسب، بل تظهر كذلك فيما يؤلفونه من كتب روحية. علينا أن نكون واثقين ونحن نختار كتاب ألفه مسيحي أن ما سنقرأ فيه من معلومات هي معلومات صحيحة. إلا أن هذا ليس هو الوضع دائمًا.

كان مايك ورنيك (*Mike Warnke*) وربما لا يزال ممثل كوميدي مسيحي مشهور. ألف ورنيك كتاب بعنوان "بائع الشيطان" (*The Satan Seller*) نُشر للمرة الأولي عام ١٩٧٢. باع الكتاب الملايين من النسخ وأصبح ورنيك شخصية مسيحية شهيرة، كما أصبح يحل ضيفًا على برامج مثل: *Focus on the Family* (أي نظرة على العائلة) و*The 700 Club* (أي النادي رقم ٧٠٠). يخبرنا ورنيك في كتابه كيف كان مدمنًا للمخدرات وعضو في جماعة لعبادة الشيطان، وكيف ارتقي في هذه الجماعة حتى أصبح رئيس كهنة يقود طقوس غربية وأعمال عربدة. ويقول إنه ككاهن في هذه الجماعة كان له ١٥٠٠ تابع في ثلاث مدن، هي جزء من الشبكة السرية لعبادة الشيطان. الكتاب رائع فعلاً.

لكن في عام ١٩٩٢ نشرت مجلة *Cornerstone* (حجر الزاوية) وهي مجلة إنجيلية مقالاً في صفحتها الأولي بعنوان: "المتاجرة بالشيطان: التاريخ المأساوي لمايك ورنيك" يفضح المقال بالمستندات ادعاءات ورنيك، ويكشف زيف شهادته وارتكابه لكل أشكال الخطية. على سبيل المثال جمع ورنيك تبرعات لمشروعات لم تتحقق على أرض الواقع كما كان متورطًا في أعمال لا أخلاقية خطيرة أثناء ممارسته للكرازة العلنية.[١] ومما يدعو للحزن أن أشخاص كثيرين في مجال صناعة الموسيقي المسيحية المعاصرة كانوا على علم بهذه الأمور لكنهم لم يتخذوا أي خطوات كتابية لحلها.

ربما نعتقد أن كل المسيحيين كانوا ممتنين لمجلة كورنرستون وفضحها لهذا الاحتيال الجريء. كتب بعض المسيحيين بالفعل للمجلة وشكروها على ما قامت به من تحريات. لكن المجلة ومحرريها تسلموا فيض من خطابات المسيحيين التي تؤنبهم على كشفهم لهذه الحقائق. قال الكثيرون من كُتاب هذه الخطابات: "إن شهادة مايك – مهما كان زيفها – قادت آلاف الناس إلى المسيح."

إليكم أمثلة على بعض الخطابات (وقد اختصرتها لكم) التي تسلمتها كورنرستون تعليقًا على تحرياتها التي نشرتها في المقال:

"لم أتأثر بمقالتكم عن مايك ورنيك فما فعلتموه لا يختلف عما تفعله الصحافة المدنية. ما حدث في حياة مايك ورنيك سيء بما فيه الكفاية لكنكم تماديتم كثيرًا. ماذا عن النص الكتابي الذي يقول لا يهم إن كانت دوافع الكرازة خاطئة أم صحيحة. ما يهم هو أن المسيح كُرز به؟

تحدثتم عن إدانة الرجل وعن كشفكم له كمحتال أكثر مما تحدثتم عن مساندته والصلاة من أجله. المسيح لم يدِن المرأة التي أُمسكت في ذات الفعل. هل الخطية هنا مختلفة لأن الرجل ذو مكانة مرموقة؟ وماذا عن حياتكم أنتم؟ هل نظرتم إليها [قبل أن تدينوا حياة الآخرين]؟ نعم أيها السادة أشعر بالغضب مما كتبتم. هناك أمور تغضبني مع أنني راع في الكنيسة. لم تتحدثوا عن الغفران. لماذا لم تركزوا عن مساندة الأخ بدلاً من إدانته؟ فكروا في الأمر. هل أدانكم الله الآن إذا أفسدتم الأمر؟"[٢]

كتب قارئ أخر:

"لماذا تحاولون القضاء على مايك ورنيك؟ لقد تسبب في خلاص أشخاص كثيرين أكثر مما تتوقعون. ربما لا تكون حياته كلها كما تظنون. لقد حضرت ثلاثة من حفلاته الموسيقية هنا في كنيسة

(*Pismo Nazarene*) وقد عرفت المسيح أنا واثنين من أصدقائي من خلاله. تعلمون أن إبليس سيثير الأكاذيب حول مايك لأنه يخاف منه. أرجو أن تشرحوا لي لماذا فعلتم هذا."[٣]

رد فعل المجتمع المسيحي هذا صدمني أكثر من احتيال مايك ورنيك. أين محبة الصدق ومقت الزيف؟ بالطبع علينا أن نغفر لمايك لو تاب حقًا. لكن هذا لا يعني أن نخفى عدم أمانته تحت البساط، فالحادث هنا ليس مجرد شخص "أفسد الأمر" لكنه خداع متعمد جنى مايك ورنيك من خلاله مئات الآلاف من الدولارات. وهو ليس حالة متفردة.

في منتصف ثمانينات القرن العشرين قضيت أنا وزوجتي عدة سنوات في إدارة مكتبة مسيحية لا تهدف للربح. أتذكر أحد الكتب التي كنا نسوقها في المكتبة وكان بعنوان "الريح الصارخ" وهو رواية رائعة عن امرأة أمريكية من السكان الأصليين أصبحت مسيحية. المشكلة الوحيدة هي أن الناشر توصل إلى أن شهادتها لم تكن صادقة وبالتالي أوقف نشر الكتاب. وفي النهاية عرفت أن بعض الشهادات الرائعة والمعجزات التي توردها القصة إما كاذبة كلية أو مبالغ فيها.

على سبيل المثال تروى لورين ستراتفورد (*Lauren Stratford*) في كتابها "جماعة إبليس السرية" (*Satan's Underground*) شهادتها عن كيف تركت جماعة لعبادة الشيطان وأصبحت مسيحية. وتصف في هذا الكتاب ما تدّعى أنه تجاربها أثناء عضويتها في هذه الجماعة. تدعي مثلاً أنه تم الاعتداء عليها جنسيًا أكثر من مرة وأنها أنجبت عددًا من الأطفال تم التضحية بهم جميعًا في إطار طقوس الجماعة. إلا أن الأشخاص الذين حققوا في روايتها استطاعوا الوصول إلى والدتها (التي كانت ادعت أنها توفيت) وأختها المفترض أنها غير

موجودة وزوجها السابق وأقاربها ومدرسيها وجميعهم أكدوا أن الكتاب خداع وتزوير.[٤] وبناء على ذلك قامت دار النشر المسيحية التي نشرت الكتاب بسحب نسخه من المكتبات وبعدها نُقلت حقوق النشر إلى دار أخرى.

هذه الأمثلة هي مجرد قمة جبل الجليد الظاهرة، إذ يبدو أن الخداع والكذب أصبحا متداخلين في كل أنسجة الكنيسة الرسمية من هامة الرأس إلى أخمص القدم. ربما لا احتاج هنا إلى أن أشير إلى مبشري التلفاز إذ أن احتيالهم وشرورهم معروفة جيدًا. لكن يبدو أنه حتى المبشرين على المنابر قبلوا استخدام الكذب كوسيلة لتعزيز رسالة المسيح.

على سبيل المثال أحيانًا يقوم الوعاظ ومن بينهم من هم على درجة كبيرة من الاحترام بزرع أعضاء من فريق عملهم بين المصلين. ثم عندما ينادى الواعظ من على المنبر طالبًا ممن يرغبون في قبول الإيمان بالتقدم إلى الإمام، يتقدم هؤلاء الأعضاء متظاهرين بأنهم قبلوا الإيمان لتوهم. يفعل الوعاظ هذا معتقدين أن تقدم هؤلاء الأعضاء من شأنه أن يشجع الراغبين الحقيقيين في قبول الإيمان على أن يتقدموا هم أيضًا. بعبارة أخري الغاية تبرر الوسيلة.

لكن هذا هو نظام القيم الذي يتبعه العالم. أما في الملكوت، الوسيلة التي نصنع بها الشيء هي في نفس أهمية الغاية التي نصل إليها. لا يمكننا أبدًا أن نستخدم طرق العالم لإتمام مقاصد الملكوت. هل تعتقد أن يسوع زرع تلاميذ مزيفين بين جمهوره؟

لقد ازدهرت ثقافة الكذب في المسيحية الرسمية في كل مكان. يستخدم العديد من المبشرين كل أنواع الخدع حتى يتمكنوا من إعطاء داعميهم تقارير عن عدد كبير من "القرارات." كما يزين المسيحيون العلمانيون شهادتهم حتى تناسب نموذج متصور قبلاً.

الشفاء المزيف

لكن ربما يكون مجال الشفاء المعجزي هو أكثر المجالات التي تنتشر فيها ثقافة الكذب. كان يسوع ورسله يشفون المرضى وكان شفاء المرضى مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا برسالة الملكوت. وأؤمن أن يسوع لايزال يشفي المرضي اليوم. إلا أن خدمة شفاء المرضى جذبت أيضًا عددًا كبيرًا من الأشخاص غير الأمناء.

تخيل معي هذا المشهد: مبشر له خدمة شفاء يقف أمام جمع غفير في قاعة اجتماعات عامة ثم يسير نحو سيدة عجوز جالسة على كرسي متحرك وبصوت عالي يأمرها قائلاً: "قفي وامشي." تنهض السيدة ببطء من على كرسيها وتقف على رجليها الضعيفتين المرتجفتين مستندة إلى الكرسي. وأخيرًا تترك الكرسي وتقف على قدميها بقوتها. يتطلع الجمع في انبهار وتعلو صيحات التسبيح والتهليل في القاعة. ثم يحدث أمر أكثر إبهارًا. تخطو السيدة خطوة بطيئة ثم خطوة ثانية فثالثة. هنا يلوح كل الجمع بالأيادي وتعلو أصوات التسبيح للرب. لقد حدثت معجزة. !

هل حدثت معجزة؟ ما لا يعلمه معظم الناس هو أن الكثيرين ممن يستخدمون الكرسي المتحرك وإن لم يكن غالبيتهم يمكنهم أن يسيروا. أمي في الثمانينات من عمرها وهي قادرة على السير لكن ببطء. وعندما نكون في مستشفى أو في متجر كبير يكون عليها أن تسير فيه كثيرًا، غالبًا ما نجلب لها كرسي متحرك. وبهذا نجنبها أي تعب قد يترتب على السير الكثير. لو رأي أحدهم أمي تقوم من على الكرسي المتحرك وتسير، ربما يعتقد أنه شهد معجزة في حين أن ما حدث أمامه ليس كذلك.

لا يختلف الأمر في حملات الشفاء. عندما يأمر واعظ يشفي بالإيمان شخصًا على كرسي متحرك أن يقوم ويمشي فهذا تظاهر وادعاء إلا إذا كان

الواعظ يعلم يقينًا أن هذا الشخص لا يستطيع حقًا أن يمشي.

لكن بعض وعاظ الشفاء بالإيمان المرموقين خطوا بحيلة الكرسي المتحرك خطوة إلى الإمام. في ثمانينات القرن العشرين قام اثنان من هؤلاء الوعاظ - وهما دبليو في جرانت (*W. V. Grant*) وبيتر بوبوف (*Peter Popoff*) - بتكليف من يقومون بخدمة إرشاد الحضور إلى أماكنهم في قاعة الاجتماع بإعطاء كرسي متحرك لكل شخص عجوز دخل القاعة على رجليه. كان لكل هذه الكراسي المتحركة نفس اللون والشكل. ثم دفع المرشدون هؤلاء الأشخاص بالكراسي المتحركة إلى مقدمة القاعة وبهذا عرف كلاً من جرانت وبوبوف أن أصحاب هذه المجموعة من الكراسي المتحركة يمكنهم السير إذ كانوا قد دخلوا القاعة على أقدامهم. لكن بكذب وعدم أمانة بالغين طلب جرانت وبوبوف منهم أن يقوموا من على الكراسي المتحركة ويسيروا متظاهرين أنهم قاموا بمعجزة. بل وجعل جرانت بعضًا ممن "شفاهم" يدفعونه على كرسي متحرك وسط هتافات وابتهاج الحضور.[٥]

لم يكتف بوبوف بهذه الحيلة بل جعل زوجته اليزابيث تجلس مع بعض الأفراد من الحضور وتتحدث معهم قبل أن يبدأ البرنامج. وبعد أن تأخذ ملاحظاتها تترك قاعة الاجتماع وتختفي في عربة سفر قريبة من القاعة. كانت العربة مزودة بدائرة تلفزيونية مغلقة وجهاز إرسال. أما زوجها فكان يرتدي سماعة استقبال صغيرة جدًا في أذنيه لا يراها الحضور. كانت اليزابيث تشاهد الدائرة التلفزيونية المغلقة وتشير لزوجها على أشخاص بعينهم وتخبره بأسمائهم وأين يسكنون والمرض الذي يعانون منه. يتظاهر بوبوف بأنه يأخذ إعلان من الله بينما يسير بين الحضور وينادي بأسماء وعناوين الأشخاص الذين سيشفيهم الرب الليلة. وأخيرًا تم فضحه علنًا على التلفزيون المحلي. لكن هذا لم يوقف حملته الشفائية.[٦]

أكثر جزء محزن في احتيال جرانت – بوبوف هو أن أشخاصًا من اللاأدريين هم من كشفوا زيف هذين المحتالين المرموقين. كان يجب أن يقوم المسيحيون لا اللاأدريون بهذا الأمر. لكن كما قلت سابقًا أصبحت المسيحية الحديثة ترعى ثقافة الكذب. لا يريد المسيحيون أن يرفعوا القناع عن المعجزات المزيفة، إذ هم يتوقون بشدة إلى تصديق أن هذه المعجزات حقيقية وخاصة أن صانعي العجائب المعاصرين هؤلاء يكرزون ببشارة الرخاء والإيمان السهل، ويفترض أن "معجزاتهم" هي دليل على صدق بشارتهم.

صانعو العجائب هؤلاء ومؤيدوهم هم بكل تأكيد من سيقولون ليسوع في يوم الدينونة: «يَا رَبُّ يَا رَبُّ أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!» (متى ٧: ٢٢، ٢٣).

نفهم من كلام يسوع هنا أن غياب أو وجود المعجزات ليس له أي قيمة فيما يتعلق بإثبات انتماء الشخص للمسيح. المسيحيون الحقيقيون صنعوا معجزات حقيقية. والمسيحيون المزيفون صنعوا كذلك معجزات حقيقية. إلا أنه لا يوجد مسيحي حقيقي صنع معجزة مزيفة. المعجزات الحقيقية لا تثبت أن صانعها ينتمي للمسيح. إلا أن المعجزات المزيفة تثبت بكل وضوح أن المسيح لا يقف وراء خدمة الشخص الذي يصنعها. المسيح لا يعمل أبدًا من خلال الفساد والخداع.

٧

قوانين المملكة بشأن الزواج والطلاق

قال يسوع «طُوبىَ لِمَنْ لاَ يَعْثُرُ فِيَّ» إذ كان يعلم أن الكثيرين ممن سيستمعون إلى تعاليمه سينزعجون منها. عندما يتعثر شخص ما في تعاليم يسوع نجده يسلك أحد طريقين: إما يعود ويرجع إلى العالم إذ يقرر أنه لم يعد يريد إتباع يسوع، أو يذهب ليجد لنفسه كنيسة تقوم على قيم دنيوية فينضم إليها. في الحالة الثانية نجده يبحث بين الكنائس حتى يستقر على واحده تنادي بأن يسوع لم يكن يعني ما قاله. وكم من اليسير أن تجد مثل هذه الكنيسة اليوم. بل من الصعب ألا تجد كنيسة ما لا تبطل تعاليم يسوع.

تعاليم يسوع بشأن المال والطلاق هي من أكثر التعاليم التي تسبب إزعاجًا للكثيرين اليوم. لقد ناقشنا بالفعل تعاليمه عن الغنى والمال، لنناقش إذا في هذا الفصل تعاليمه عن الطلاق. فيما يتعلق بالطلاق قال يسوع: «وَقِيلَ: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلاَقٍ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ لِعِلَّةِ الزِّنَى (باليونانية *porneia*) يَجْعَلُهَا تَزْنِي وَمَنْ يَتَزَوَّجُ مُطَلَّقَةً فَإِنَّهُ يَزْنِي» (متى ٥: ٣١، ٣٢).

المعنى واضح ومباشر، أليس كذلك؟ من يطلق زوجته لأي سبب غير الزنا (باليونانية *porneia*) يكون مسؤولاً عن ارتكابها لفعل الزنا في حالة إن تزوجت من أخر بعد طلاقه لها إذ أنه في حالة زواجها من أخر تكون هي وزوجها الجديد مرتكبين لفعل الزنا.

الطلاق في ناموس موسى

كي نفهم جيدًا معنى قانون الملكوت الذي سنه يسوع عن الطلاق، علينا أن نفهم أولاً كيف كان الطلاق يتم تحت ناموس موسى. بدأ يسوع حديثه عن الطلاق بعبارة "قِيلَ: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلاَقٍ" وهو هنا يشير إلى سفر التثنية الذي ينص على الآتي: «إِذَا أَخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَتَزَوَّجَ بِهَا فَإِنْ لمْ تَجِدْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْهِ لأَنَّهُ وَجَدَ فِيهَا عَيْبَ شَيْءٍ وَكَتَبَ لهَا كِتَابَ طَلاقٍ وَدَفَعَهُ إِلى يَدِهَا وَأَطْلقَهَا مِنْ بَيْتِهِ وَمَتَى خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهِ ذَهَبَتْ وَصَارَتْ لِرَجُلٍ آخَرَ فَإِنْ أَبْغَضَهَا الرَّجُلُ الأَخِيرُ وَكَتَبَ لهَا كِتَابَ طَلاقٍ وَدَفَعَهُ إِلى يَدِهَا وَأَطْلقَهَا مِنْ بَيْتِهِ أَوْ إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ الأَخِيرُ الذِي اتَّخَذَهَا لهُ زَوْجَةً لا يَقْدِرُ زَوْجُهَا الأَوَّلُ الذِي طَلقَهَا أَنْ يَعُودَ يَأْخُذُهَا لِتَصِيرَ لهُ زَوْجَةً بَعْدَ أَنْ تَنَجَّسَتْ. لأَنَّ ذَلِكَ رِجْسٌ لدَى الرَّبِّ» (تثنية ٢٤: ١-٤).

نفهم إذاً أن الله في ناموس موسى سمح للزوج أن يطلق زوجته إن وجد فيها "عيب شيء". لكن ما الذي قصده الله بعبارة "عيب شيء"؟ يقول بعض معلمي الناموس أن أي شيء قد يندرج تحت هذه العبارة. إلا أن يسوع سمح للرجل أن يطلق زوجته لسبب واحد فقط وهو الزنا (باليونانية *porneia*)*.

لكن ماذا عن تطليق الزوجة لزوجها؟ الحقيقة هي أن الله لم يسمح أبدًا للزوجة أن تطلق زوجها. ولو أن هذه الحقيقية جديدة عليك، من فضلك انظر باب الطلاق في فهرس سترونجز (*Strongs*) أو أي فهرس أخر مختصر ستجد أن كل إشارات العهد القديم للطلاق تخص طلاق الزوج لزوجته بلا أي استثناء لهذه القاعدة.

* اختلف المسيحيون الغربيون على مدار القرون حول معنى كلمة زنا (*porneia*) في هذا النص. فسرت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية الكلمة تفسيرًا تاريخيًا قائلة إنها تشير إلى الزيجات التي تخالف قوانين اللاويين بشأن القرابة. أما المسيحيون الأوائل ففهموا أنها تعني ممارسة الزنا بالمباينة مع ارتكابه مرة واحدة (انظر هرماس الكتاب الثاني التعليق الرابع الفصل الأول).

في هذا الشأن يقول اليهودي إسرائيل إبراهامز (*Israel Abrahams*) وهو أستاذ بجامعة كامبريدج: "الطلاق في الشريعة اليهودية هو فعل الذي يقوم به دائما هو الزوج. الكلمة الشائعة المستخدمة للطلاق في الكتاب المقدس هي "*شيلوخ إيشاها*" (*shilluach 'ishshah*) بمعني إرسال الزوجة بعيدًا. لا نقرأ أبدًا عن إرسال الزوج بعيدًا. كما أن الكلمة المؤنثة "*جروشاها*" (*gerushah*) بمعني "المرأة التي أُخرجت" هي الكلمة التي تصف المرأة المطلّقة. ولا يوجد صيغة تذكير لهذه الكلمة."[١]

هل وسَّع يسوع نطاق شريعة الله عن الطلاق؟

والآن دعوني أسأل سؤالاً ليس الغرض منه الخداع. عندما قال يسوع ما قاله للفريسيين، هل كان يوسع من نطاق شريعة الطلاق أم يضيقه؟

اعتقد أنه بإمكاننا جميعًا أن نري إنه كان يضيق نطاق الطلاق، أليس كذلك؟ فبدلاً من أن يسمح للرجل بأن يطلق زوجته "لأَنَّهُ وَجَدَ فِيهَا عَيْبَ شَيْءٍ" سمح له أن يطلقها فقط لسبب الزنا. إلى جانب ذلك في حين يسمح ناموس موسى للمرأة المطلقة أن تتزوج ثانية، يمنع يسوع ذلك بتاتًا بقوله: «وَمَنْ يَتَزَوَّجُ مُطَلَّقَةً فَإِنَّهُ يَزْنِي» (متى ٥: ٣٢).

هذا يعني أن يسوع لم يوسع من نطاق ما سمح به موسى بشأن الطلاق بل ضيقه إلى حد كبير. لذلك أجد من الغريب جدًا أن تعلم الكنيسة اليوم أن يسوع توسع في شريعة الطلاق. حقًا؟ وكيف ذلك؟ هذا لأن كل كنيسة تقليدية أعرفها تعلم أن الرجل يمكن أن يطلق زوجته لعلة الزنا والمرأة كذلك يمكنها أن تطلق زوجها لعلة الزنا. لكن هل هذا ما قاله يسوع؟ هل توسع حقًا في شريعة موسى فأصبح الآن من حق الزوجات تطليق أزواجهن؟ لا لم يفعل هذا. لم يفتح باب الطلاق على مصراعيه هكذا. بل أغلقه تقريبًا تاركًا مخرجًا ضيقًا للزوج فقط.

النساء والطلاق

لكنك ربما تفكر: "ربما يسمح يسوع للزوجة أن تطلق زوجها لو كانت تعيش في ثقافة مختلفة تسمح للنساء بتطليق أزواجهن." في الواقع ليس علينا أن نفكر هكذا. هذا لأن الزوجة بحسب القانونين اليوناني والروماني يمكنها أن تطلق زوجها. وكان هناك الكثير من الرومان واليونانيين في اليهودية والجليل وكان بعضهم من المهتدين لليهودية.

لهذا السبب وفي مناسبة أخري تناول يسوع قضية تطليق المرأة لزوجها حيث قال: «وَإِنْ طَلَّقَتِ امْرَأَةٌ زَوْجَهَا وَتَزَوَّجَتْ بِآخَرَ تَزْنِي» (مرقس ١٠: ١٢). لا يوجد استثناءات عند يسوع.

لماذا هذه نقطة هامة؟ لأن غالبية قضايا الطلاق اليوم مرفوعة من قبل الزوجات[٢] وليس الأزواج. في الولايات المتحدة نجد أنه من ٦٧% إلى ٧٥% (حسب الولاية) من كل قضايا الطلاق مرفوعة من قبل النساء. وفي إنجلترا ٧٠% من كل قضايا الطلاق مرفوعة أيضًا من قبل الزوجات.[٣]

تنطبق هذه الإحصاءات على كل حالات الطلاق سواء كان هناك أطفال قُصر أم لا. لكن عندما ننظر إلى حالات الطلاق التي تتضمن أطفال قصر سنجد أن نسبة القضايا المرفوعة من قبل النساء للحصول على الطلاق هي أكثر بكثير.

مارستُ قانون حقوق الملكية على مدارا لاثنين وعشرين عامًا الأخيرة وفي سياق فحصي لسندات ملكية الأراضي، قرأت أوراق عدة ألاف من قضايا الطلاق ولاحظت أن تسعة من كل عشر قضايا طلاق إنما هي مرفوعة من قبل الزوجات. لماذا كانت نسبة الزوجات الرافعات لقضايا طلاق ضد أزواجهن مرتفعة مقارنة بمتوسط الدخل؟ السبب هو أنني راجعت فقط قضايا الطلاق التي يرفعها أشخاص لديهم ممتلكات. وأصحاب تلك الممتلكات تجاوزوا منتصف

العشرينات من العمر وأغلبهم لديهم أطفال قصر.

في مقال لها بعنوان "هذا الحذاء مصنوع للمشي: لماذا النساء هم الأكثر رفعًا لقضايا الطلاق؟" (*These Boots Are Made for Walking: Why Most Divorce Filers Are Women*) كتبت مارجريت برينينج (*Margaret Brining*): "الأطفال هم أكثر شيء ثمين في الزواج. والطرف الذي يتوقع أن يحصل على حضانة الأطفال هو الطرف الأكثر إقدامًا على طلب الطلاق."[٤] النساء هن الأكثر استعدادًا لطلب الطلاق لأنهن لا تخشين فقد حضانة أطفالهن.

ومع ذلك أغمضت الكنيسة الرسمية عينيها عن هذا الخطأ. منذ عدة سنوات تلقيت خطابًا مرسلاً لأكثر من طرف من راعى كنيسة تكساس يتحدث فيه عن قوانين الطلاق في الولاية والتي لا تلقي باللوم على أيًا من الزوجين. كنت سعيدًا لأن هناك راعي كنيسة يتحدث ضد الطلاق، حيث إن الكثير من الكنائس التي توصف بأنها تؤمن بالكتاب المقدس صامتة تمامًا فيما يتعلق بالأمر. لكنني وجدت الخطاب يقول إن قوانين الطلاق السهلة مجحفة ضد النساء والأطفال.

كيف تميز ضد النساء والأطفال؟ دون كيشوت العصر الحديث هذا يتخيل أن آلاف النساء المطلقات في كنائسنا هن هكذا لأن أزواجهن هم من قاموا بتطليقهن. وبدون أي بحث وتدقيق تعامل مع الموقف كما لو كان ما يحدث هو أن ألاف الرجال يتركوا زوجاتهم ويرحلوا في طريقهم سعداء.

لكن يبدو أن هذا هو الموقف العام لمعظم الكنائس من الطلاق، إذ تتجاهل تمامًا حقيقة حالات الطلاق اليوم. سمعت رعاة يوبخون الآباء الذين "يتركون زوجاتهم وأولادهم" كما لو أن الآباء هم من يبدأون الطلاق. وعلى العكس من ذلك يعاملون "الأمهات المنفردات" كشهيدات، وكضحايا بطلات، وأرامل روحيات. هذا كله في حين أنهن من طلقن أزواجهن.

الطلاق ليس خطية بلا ضحايا. ولا تختلف الخطية عندما يأخذ الأزواج الأطفال من زوجاتهم. الملايين من الآباء والأمهات اليوم يشعرون بالحزن الشديد على أطفالهم الذين أُخذوا منهم. ومع ذلك لا تمتلك الكثير من الكنائس الشجاعة لتتحدث ضد هذه الثمرة الشريرة للطلاق.

هل ناقض بولس يسوع؟

يقول بعض مفسري الكتاب المقدس إن بولس على عكس يسوع سمح بالطلاق. بل ويؤكدون أن بولس توسع في الطلاق عن شريعة موسى وسمح للزوجات بتطليق أزواجهن ويبرهنون على ذلك بما ورد في ١كورنثوس ٧: ١٠-١٥

> وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُونَ فَأُوصِيهِمْ لاَ أَنَا بَلِ الرَّبُّ أَنْ لاَ تُفَارِقَ الْمَرْأَةُ رَجُلَهَا. وَإِنْ فَارَقَتْهُ فَلْتَلْبَثْ غَيْرَ مُتَزَوِّجَةٍ أَوْ لِتُصَالِحْ رَجُلَهَا. وَلاَ يَتْرُكِ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ. وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَأَقُولُ لَهُمْ أَنَا لاَ الرَّبُّ: إِنْ كَانَ أَخٌ لَهُ امْرَأَةٌ غَيْرُ مُؤْمِنَةٍ وَهِيَ تَرْتَضِي أَنْ تَسْكُنَ مَعَهُ فَلاَ يَتْرُكْهَا. وَالْمَرْأَةُ الَّتِي لَهَا رَجُلٌ غَيْرُ مُؤْمِنٍ وَهُوَ يَرْتَضِي أَنْ يَسْكُنَ مَعَهَا فَلاَ تَتْرُكْهُ.

هل يقول بولس هنا أي شيء يتناقض مع يسوع؟ بالطبع لا. كما علينا أن نلاحظ الأفعال المختلفة التي يستخدمها النص مع الرجل والمرأة. يقول النص عن الرجل أنه "يترك" (*"putting away"* في ترجمة كينج جيمس) زوجته أما حين يتحدث عن المرأة يقول "تفارق" (*"leaving"* في ترجمة كينج جيمس) زوجها.

أدرك أن بعض الترجمات الحديثة للكتاب المقدس تعطي انطباعًا للقارئ أن بولس يتحدث هنا عن الطلاق. لكن عدد أخر من الترجمات ومعهم ترجمة كينج جيمس يوضح جليًا أن بولس يتحدث عن ترك الزوجة أو الزوجة وليس عن الطلاق. وحتى في أمر كهذا يقول بولس إن الطرف المسيحي لا ينبغي أن يترك شريكه.

الكلمة اليونانية التي يستخدمها بولس هنا هي (*aphiemi*) وهي عادة ما تُترجم "يترك" في نصوص أخري لكنها لا تترجم أبدًا إلى "يطلق." تختلف هذه الكلمة تمامًا عن كلمة (*apoluo*) التي يستخدمها يسوع في متى ٥: ٣٢ عندما تحدث عن الطلاق. ليس هناك أي مسوغ كتابي أو تاريخي لترجمة كلمة (*aphiemi*) إلى "طلاق" في هذا النص الذي كتبه بولس.

في العدد الأخير من هذا النص يقول بولس: «وَلَكِنْ إِنْ فَارَقَ غَيْرُ الْمُؤْمِنِ فَلْيُفَارِقْ. لَيْسَ الأَخُ أَوِ الأُخْتُ مُسْتَعْبَدًا فِي مِثْلِ هَذِهِ الأَحْوَالِ. وَلَكِنَّ اللهَ قَدْ دَعَانَا فِي السَّلاَمِ» (١كورنثوس ٧: ١٥). هل يسمح بولس هنا للشريك المسيحي بتطليق الشريك غير المسيحي؟ لا إذ لا يقول شيء هنا عن الطلاق. في كل هذا النص يتحدث بولس عن ترك الزوج أو الزوجة والبقاء بلا زواج. لكنه يقول إن الشريك المؤمن لا ينبغي أن يكون هو/هي من يترك. يختتم بولس النص بقوله إن فارق الطرف غير المؤمن فليفارق وليس على الطرف المؤمن في هذه الحالة أن يلاحقه.

في ملكوت الله يسوع هو الملك، وهو صاحب الشريعة. ورسله لم يخالفوا أبدًا الوصايا التي أعطاها الملك لهم. سمح يسوع باستثناء وحيد للأزواج. وهو ما علم به الرسل.

يصبح الاثنان جسدًا واحدًا

عندما يعطينا يسوع قوانين فهو غير ملزم بأن يشرح لماذا أعطانا إياها. لكن في أحد المرات التي ناقش فيها أمر الطلاق شرح لنا يسوع سبب تعليمه الصارم في هذا الشأن: «أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟» وَقَالَ: «مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونُ الاِثْنَانِ جَسَدًا

وَاحِدًا. إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللَّهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ»» (متى ١٩: ٤-٦).

الكثير من الكتب المسيحية التي تتناول موضوع الزواج تتحدث عن "الشراكة في الزواج." لكن يسوع لم يصف الزواج أبدًا بأنه شراكة بل أشار إليه بــتعبير "الجسد الواحد"، وهناك فارق بين الوصفين. بحسب القانون، الشخصان اللذان في شراكة تظل لكل منهما هويته المنفصلة. لو حدث وأصيب شخص ما داخل حدود ملكية الشريكين يمكن للشخص المصاب أن يقاضي كل شريك على حده. الشراكة في نظر القانون هي مجرد شخصين يعملان معًا.

لكن لو اندمج شخصان في شركة، فالأمر يختلف. أمام القانون عندما ينشئ شخصان شركة تتلاشي الهوية الفردية لكلاً منهما [إذ يندمجا معًا في هذه المؤسسة]. ولو حدث وأُصيب شخص على أرض مملوكة للشركة لا يمكنه أن يقاضى كلاً منهما بمفرده بل يقاضي الشركة ذاتها. يري القانون الشركة كشخص جديد. وعندما يرفع أحداهما قضية ضد الشركة يرفعه ضدها ككيان مستقل. كذلك عندما ترفع الشركة قضية ضد أحد ترفعه بصفة هذا الكيان المستقبل.

الزواج هو مثل الاندماج في شركة وليس مثل الشراكة. يتكون كيان جديد عندما يتزوج رجل وامرأة. الرجل والمرأة في الزواج ليسا شريكين لكنهما اندمجا في "جسد واحد." يمكن للعالم أن ينظر للزوج والزوجة على أنهما شريكين ويعاملهما على هذا الأساس. لكن يسوع لا ينظر إليهما هكذا. بحسب قول يسوع من الذي يجمع الرجل والمرأة معًا في الزواج؟ الله. وهكذا يعبر الرجل والمرأة في الزواج إلى نطاق الأبدية. لا أقصد هنا أن الزواج أبدي بل أن هناك حقائق أبدية مرتبطة بالزواج. الزواج ليس مؤسسة بشرية بل مؤسسة سماوية. الله هو من يجمع والإنسان هو من يحاول أن يفرق.

الطلاق عبر القرون

ما أشاركك به هنا عزيزي القارئ ليس بالشيء الجديد، لكنه المسيحية التاريخية التي توضح لنا كيف فهم المسيحيون الأوائل تعاليم يسوع، كيف فهم كل المسيحيين تقريبًا تعاليم يسوع حتى عهد الإصلاح. للأسف الشديد حاول بعض المصلحين إخراج الزواج والطلاق من نطاق سلطة الكنيسة ووضعهما في يد سلطة القضاة المدنيين. ومع ذلك كان الطلاق بين المسيحيين المؤمنين بالكتاب المقدس حتى بعد عهد الإصلاح أمرًا نادرًا حتى خمسينيات وستينات القرن العشرين. وبعد ذلك تغير كل شيء.

ماذا حدث في الخمسينات والستينات؟ غير العالم موقفه من الطلاق وغير القوانين التي تنظمه. غيرت الكثير من الولايات الأمريكية قوانينها حتى تجعل الحصول على الطلاق أكثر يسرًا. كما لم يعد الطلاق وصمة عار اجتماعية. عندما تغير العالم تغيرت معه الكنيسة الرسمية. بعبارة أخري لو قال قيصر أن الطلاق أمر خاطئ وممنوع، يصبح الطلاق هكذا. لكن إن قال يسوع إن الطلاق أمر خاطئ وممنوع فربما لا يكون بمثل هذا السوء. أوضحت الكنائس من هو سيدها الحقيقي. وليس هو يسوع.

الطلاق في الكنيسة الإنجيلية اليوم

في عام ١٩٩٩ قام جورج بارنا رئيس ومؤسس مجموعة بارنا البحثية الشهيرة (*Barna Research Group*)، بعمل بحث عن حالات وقوع الطلاق داخل المجموعات الدينية المختلفة ووجد أن نسبة الطلاق بين المسيحيين الأمريكيين المولودون ثانية (*born-again*) أعلي من نسبته بين الأمريكيين ككل.[٥] بالطبع هناك الكثير من الرجال والنساء غير المسيحيين الذين يعيشون

معًا كأزواج دون زواج. وبالتالي لا تأخذ إحصائيات الطلاق في اعتبارها حالات الانفصال التي تحدث في مثل هذه العلاقات. لكن ما أن يتعهد رجلاً وامرأة من هؤلاء قائلين "لن يفصل بيننا إلا الموت" فاعتقد أنه من المحتمل (بل وأكثر من المحتمل) أن يحفظا هذا العهد أكثر من المسيحيين المؤمنين بالكتاب المقدس.

على الرغم من أن مجموعة بارنا البحثية (*Barna Research Group*) هي منظمة مسيحية، إلا أن النتائج التي توصلت إليها لاقت احتجاجات وانتقادات من مسيحيين آخرين. إلا أن السيد بارنا لم يتراجع عما جمع من بيانات ورد على منتقديه قائلاً: "على الرغم من كونه أمرًا مقلقًا أن نكتشف أن نسبة الطلاق بين المسيحيين المولودين ثانية هي أعلى من غيرهم، إلا أن هذه حقيقة قائمة منذ وقت طويل إلى حد ما."[٦] كما علقت ميج فلامنج (*Meg Flammang*) مديرة المشروع في المجموعة قائلة: "نرغب كثيرًا في أن تتوصل تقاريرنا إلى أن المسيحيون يعيشون حياة مختلفة ومتميزة ويؤثرون في المجتمع لكن... فيما يتعلق بنسب الطلاق ما زالوا كما هم بلا تغيير."[٧]

أيدت بعض هيئات الإحصاء الحكومية النتائج التي توصلت إليها مجموعة بارنا البحثية. على سبيل المثال، كانت نسبة الطلاق في النطاق الإنجيلي (*the Bible Belt*) أعلى من أي جزء أخر في أمريكا ماعدا ولاية نيفادا.[٨] بل أن الطلاق في النطاق الإنجيلي أعلى بنسبة كبيرة منه في نيو إنجلند حيث عدد المسيحيين المتشددين أقل بكثير.[٩]

إن ما يجب أن يجعل المسيحيين الإنجيليين يخجلون حقًا هو حقيقة أن معدل الطلاق بين ما يسمى المسيحيون المولودون ثانية، هو أعلى بكثير مما هو عليه بين هؤلاء الذين يصنفون أنفسهم على أنهم ملحدين.[١٠] ومن المفارقة أنه على الرغم من أن معدل الطلاق بين المسيحيين الإنجيليين هو نفسه أو

أعلى منه في المجتمع الأمريكي، فمعدل الطلاق بين الآسيويين الأمريكيين (سواء كانوا مسيحيين أم لا) أقل بشكل ملحوظ من المجتمع الأمريكي بشكل عام.[١١] ونادرًا ما يعيش رجل وامرأة من الآسيويين الأمريكيين معًا دون زواج. هذا يعني أنه يمكن للثقافة الآسيوية أن تفعل ما لا يمكن لسكنى الروح القدس أن يفعله! أو ربما تكمن المشكلة في أن الروح القدس ليس ساكنًا في معظم من يدعون أنهم مسيحيون مولودون ثانية.

الأمر المخزي أكثر من ذلك هو أن معدل الطلاق بين المسيحيين الإنجيليين في الولايات المتحدة يزيد على ضعف معدل الطلاق في جميع أنحاء كندا (التي ليست معقل للمسيحية الكتابية).[١٢] والأسوأ هو أن معدل الطلاق بين الإنجيليين الأمريكيين يزيد على ستة أضعاف معدل الطلاق في الصين، وأكثر من ١٨,٥ ضعف معدل الطلاق في إيطاليا، وأكثر من ٣٣ ضِعف نسبة الطلاق في سيرلانكا.[١٣]

الطلاق مقبول جدًا بين المسيحيين الإنجيليين هنا في الجنوب، لدرجة أن محاميي الطلاق يضعون في بعض الأحيان شعار السمكة المسيحي على إعلاناتهم في كتاب دليل التليفونات والعناوين (*Yellow Pages*). يشبه الأمر شخص يهودي يدير متجر للحم الخنزير ويضع نجمة داود على إعلاناته!

عندما أتحدث عن قضية الطلاق عادة ما يسألني بعض المسيحيين: "لكن ماذا عن موقف فيه؟" نعم هناك الكثير من المواقف الصعبة التي تجعل الزواج صليبيًا حقيقيًا علينا أن نحمله. إلا أن الوضع لم يكن مختلفًا في القرن الأول عنه في العاشر أو في التاسع عشر. لماذا إذًا يعتقد العديد من المسيحيين في القرن الحادي والعشرين إن لهم الحق في استثناء خاص في حين أن مسيحيي القرون السابقة عاشوا بحسب تعاليم يسوع عن الزواج والطلاق؟

هل أعثرتك عزيزي القارئ؟

أعلم أن الكثير من الأمور التي ذكرتها في هذا الفصل غير مقبولة اجتماعيًا. ولا أشك في أن الكثيرين منكم يشعرون بالغضب تجاهي الآن وعلى استعداد لإلقاء الكتاب بعيدًا. لكن قبل أن تلقي بالكتاب بعيدًا عزيزي القارئ أطلب إليك أن تتحرى ما قلته. ولا أقصد بالتحري هنا أن تذهب وتجد كتابًا أخر يخبرك بأن الطلاق مقبول، فهذا أمر يسهل فعله.

ما أقصده هو أن تقوم ببحث صادق. اذهب وتأكد مما قلته عن الطلاق في العهد القديم. ثم اقرأ النصوص التي يتحدث يسوع فيها عن الطلاق. هل طبقًا لهذه النصوص وسع يسوع نطاق شريعة الله عن الطلاق أم ضيقه بشكل كبير؟

لو أن ما قلته صحيحًا فلست أنا من عثرت فيه بل في يسوع المسيح. ربما يكون يسوع الذي تعتقد أنك تحبه ليس هو يسوع الحقيقي. لكن إن لم نخدم يسوع الحقيقي فلن نرث الحياة الأبدية. وكما قال يسوع: «طوبي لمن لا يعثر في.»

الجزء الثاني

حجر العثرة العظيم

٨

أحب أعدائي؟!

أوضحت في الفصول السابقة كيف أن الكثيرين استاءوا وانزعجوا من تعاليم يسوع بشأن المال والقسم والطلاق. هذه الأمور الثلاثة هي بالفعل من بين أصعب تعاليم يسوع. إلا أنها ليست السبب الرئيس وراء رفض الكنائس التقليدية لطريق الملكوت إلى حد كبير.

لقد كان أكبر حجرة عثرة اصطدم به الكثيرون هو تعاليم يسوع عن "تحويل الخد الأخر" ومحبة الأعداء. ولأن هذه التعاليم هي أكبر حجر عثرة فقد خصصت لها جزء كامل من هذا الكتاب. دعونا نبدأ بما قاله يسوع عن "تحويل الخد الأخر":

> «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا. وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ. مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ» (متى ٥: ٣٨-٤٢).

كان هذا بالفعل تعليمًا ثوريًا، إذ أنه لا الأمم ولا حتى اليهود كانوا يعيشون

هكذا. وللأسف ولا حتى الكثير ممن يعلنون مسيحيتهم اليوم يعيشون بحسب هذا التعليم.

"اللامقاومة" وصنع السلام

مجموعة الوصايا التي تتضمنها الآيات السابقة جميعها وصايا تدعو إلى سلوك سلبي: لا تقاوم الشر. حول الخد الأخر. لو قاضك أحدهم من أجل ثوبك، فاترك له رداءك. ولو سخرك ميلاً فاذهب معه ميلين وأعطه ما يطلب منك. كل هذه وصايا سلبية لأننا إن وضعناها في إطار الممارسة العملية فهي ببساطة "لا مقاومة".

ومع ذلك هناك جزء إيجابي جدًا في تعاليم يسوع:

«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ. لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ فَأَيَّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هَكَذَا؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ» (متى ٥: ٤٣-٤٨).

لا يكفي أن نكون سلبيين ولا نظهر مقاومة. علينا نحن المسيحيون أن نكون فعالين كذلك، فنقترب من كل شخص في محبة حتى وإن كنا قبلاً نفكر فيه كعدو. لو أن هناك من يكرهنا، علينا أن نكتشف سر هذه الكراهية، ربما نستطيع أن نصفي ما بيننا ويصبح هذا العدو صديقًا. يعلمنا يسوع قائلاً: «فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى

الْمَذْبَحِ وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ» (متى ٥: ٢٣، ٢٤).

لذلك علينا باعتبارنا مواطني الملكوت أن نفعل كل ما بوسعنا كي نصنع السلام مع الآخرين. قال يسوع: «طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللَّهِ يُدْعَوْنَ» (متى ٥: ٩). في تعاملاتنا اليومية، في أماكن عملنا، ومع الجيران والأصدقاء، تصادفنا دائمًا إساءات وخلافات ونزاعات. وعلينا إن كنا طرفًا فيها أن نبدأ بتقديم غصن الزيتون ونصنع سلامًا حتى وإن كنا على قناعة بأننا لسنا المخطئون.

تعاليم يسوع في الحياة

"اللامقاومة" هي أمر ضد الطبيعة الساقطة. فهي أمر نتعلمه وليس أمر نولد به. أدركت ذلك وأنا أشاهد الأطفال يلعبون. لو أن هناك طفلان إحداهما ممسكًا بدمية ما، فبكل تأكيد سيرغب الطفل الآخر فيها. هل من الممكن أن نجد الطفل صاحب الدمية يقول للآخر: "حسنًا يا صديقي إليك دميتي خذها والعب بها؟" بالطبع لا. عادة ما يحاول الطفل الثاني انتزاع الدمية، فيقاومه الأول بكل قوته ويكون هناك الكثير من الصراخ وأحيانًا الضرب والقرص.

أدركت كذلك أن "اللامقاومة" ضد الطبيعة الساقطة عندما دعيت إلى أن أحول الخد الأخر وألا أقاوم الشر. حينها اعترضت طبيعتي البشرية بقوة. أنا بطبعي لا أميل إلى التسليم وعدم المقاومة. كنت قد انتقلت أنا وعائلتي إلى منزلنا الحالي منذ أربع عشرة سنة. يقع المنزل في الريف على مساحة ثلاثة ونصف فدان. بعد انتقالنا إلى المنزل بفترة قصيرة لاحظت أن بعض الذئاب الصغيرة والكلاب المشردة تتجول في الغابات والحقول المحيطة بنا. ولأننا كنا

نملك عددًا من الماعز، قررنا أن نبني لها حظيرة صغيرة يحيطها سور قوي يحميها من تلك الذئاب والكلاب.

وعليه قمنا باستئجار شركة متخصصة في بناء الأسوار كي تبني لنا سورًا بارتفاع خمسة أقدام حول محيط حظيرة الماعز. وعلى الرغم من ذلك استيقظنا في صباح أحد الأيام على صوت كلاب تنبح وماعز يثغو. هرعنا إلى الخارج لنكتشف أن الكلاب تسللت بطريقة ما إلى داخل الحظيرة وهاجمت الماعز. أسرعنا إلى داخل الحظيرة وحين رأتنا الكلاب خرجت مسرعة إلى الحقل المجاور. أسفر هذا الهجوم الشرس عن موت واحدة من معزاتنا الأربعة. وواحدة أخري ظلت بلا طعام لعدة أيام إذ أصابتها صدمة شديدة جراء الهجوم.

لم يكن في وسعنا في ضوء الفجر الخافت أن نرى الكلاب جيدًا. لكننا اعتقدنا أنها كلاب ضالة ولذلك استدعينا ضباط جهاز مكافحة حيوانات الريف الضالة طلبًا للمساعدة. زودنا الضباط بعدة فخاخ آمنة من شأنها أن تمسك بأرجل الكلاب دون أن تؤذيها. وقالوا لنا أنهم سيأتون لأخذ أي كلب تمسك به الفخاخ.

وضعنا الفخاخ في الليل وفي الصباح التالي استيقظنا على صوت فوضي في الخارج. هرعنا إلى الخارج مسرعين فرأينا مجموعة من الكلاب خارج حظيرة الماعز.

لكننا سريعًا ما اكتشفنا أن الكلاب ليست ضالة بل هي كلاب جار لنا. أسرعت الكلاب مبتعدة حين رأتنا. إلا أن واحدًا منها سقط في الفخ ولم يستطع الفرار. كان الكلب المسكين خائفًا حتى الموت وكان يرتعش كورقة شجر حين اقتربنا منه.

في نفس اللحظة دخلت شاحنة نقل إلى الطريق الخاصة المؤدية إلى منزلنا.

جاءت مسرعة جدا مخلفة الكثير من الأتربة وراءها. قفز السائق من السيارة وتوجه مسرعًا نحو الكلب الممسك في الفخ إذ كان كلبه.

سألته بحلم: "هل هذا الكلب لك؟"

فأجابني بتجهم: "نعم." وقال وهو يساعدني على تحرير الكلب: "أتعلم، ما تفعله هذا لن يجديك شيء بل سيغضب جيرانك. لقد انتقلت إلى الريف كي تتجول كلابي بحرية."

أول ما خطر ببالي هو أن أجيبه بالمثل وأقول: "حسنًا، وأنا أيضًا انتقلت إلى الريف كي تتجول عنزاتي بحرية." إلا أنني لم أفعل. فكرت أيضًا في أن أقول له: "أنظر، سأعقد معك اتفاقًا. ابعد كلابك عن أرضي وأنا سأبعد عنزاتي عن أرضك."

لكنني لم أقل هذا أيضًا. فكرت فقط فيما قاله يسوع عن تحويل الخد الأخر وسألت نفسي عما كان سيفعله في مثل هذا الموقف. لم يساورني أي شك بشأن ردة فعله ولذلك أجبت بمرح: "حسنًا أنا مستعد للموافقة على أي اقتراح."

بدا جاري (الذي لم أكن رأيته قبلاً) متفاجئًا من ردة فعلي اللينة، فغادره تجهمه وأجاب بهدوء: "ما يمكنك فعله هو لف سلك كهربائي حول أسفل وأعلي السور حتى تبعد الكلاب."

أجبت متفاجئًا من نفسي: "سأفعل ما اقترحته وسأعيد الفخاخ إلى الهيئة."

لم يكن من العدل أن أتحمل مصاريف إضافية حتى لا تهاجم كلابه المتعدية عنزاتي. إلا أنني كنت أعرف أنني تعاملت مع هذه الأزمة البسيطة بالطريقة التي يريدها يسوع.

أمثلة كتابية

"اللامقاومة" ومحبة الأعداء هي من أكثر تعاليم يسوع صعوبة، وبالتأكيد أكثرها ثورية. فهي النقيض التام لتعاليم العالم لنا. لا تقاوم الشرير! آبائنا ومدارسنا وحكوماتنا وكنائسنا غرسوا في أذهاننا عكس هذا التعليم. إذ علمونا أن نقاتل من أجل حقوقنا، وأن نقف في وجه من يضايقنا وألا ندع أحدًا يدفعنا. الأبطال الذين يشجعوننا على تقليدهم نادرًا ما يتميزون "باللامقاومة" إذا هم عادة يقفون في وجه أعدائهم مقاومين لهم.

"اللامقاومة" ليست مجرد تعليم لاهوتي بل هي نهج حياة. إذ هي تعلمنا كل أشكال المعاملات اليومية مع من حولنا. إلا أن الشخص الذي تتسم حياته "باللامقاومة" ليس ضعيفًا خاضعًا أو جبانًا يقبل الظلم. تميز يسوع وبولس كذلك "باللامقاومة". لكن لم يكن أيًا منهما ضعيفًا أو جبانًا بل كان كلاهما صريحًا وجازمًا في الحديث. غير أنهما اختارا أن يقع الظلم عليهما لا أن يوقعا هما الظلم على غيرهما. تحدث كلاهما ضد الشر لكنهما لم يقاموا الشر بالقوة الجسدية.

تأمل عدد المرات التي نعرض فيها بولس للضرب والرمي بالحجارة. كان بإمكان بولس أن يسلح نفسه ويسافر مع عدد من الحراس الأقوياء، لكنه لم يفعل ذلك. كان بولس من أشجع الرجال الذين عاشوا على الأرض. إلا أنه لم يقاوم الشر أبدًا بالقوة الجسدية المادية إذ كتب قائلاً: «أَنَّنَا وَإِنْ كُنَّا نَسْلُكُ فِي الْجَسَدِ، لَسْنَا حَسَبَ الْجَسَدِ نُحَارِبُ. إِذْ أَسْلِحَةُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، بَلْ قَادِرَةٌ بِاللَّهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ» (٢كورنثوس ١٠: ٣، ٤). كان بولس محاربًا من نوع مختلف. كان محاربًا في مملكة المفاهيم المقلوبة رأسًا على عقب.

الدعوى القضائية

غالبًا ما تعرض بولس للضرب والرمي بالحجارة من قبل جموع خارجة على القانون، وكان بإمكانه كمواطن روماني أن يرفع قضايا على من خالفوا القانون وضربوه، لكنه لم يفعل. لقد حول الخد الأخر بدلاً من ذلك. قال يسوع إن أراد أحد أن يقاضينا أو يأخذ ثوبنا علينا أن نعطيه الرداء أيضًا. وعليه أن أخذ أحدًا منا الثوب فلن نذهب إلى المحكمة كي نسترجعه بل كما قال يسوع نعطيه ما يريد.

في نفس الوقت أظهر لنا بولس أنه من الممكن للمسيحي أن ينتفع من قوانين الحماية الحكومية في حالة تعرضه للاضطهاد. على سبيل المثال، استطاع بولس أن ينجو من الجلد عندما قال لقائد المئة الروماني: «أَيَجُوزُ لَكُمْ أَنْ تَجْلِدُوا إِنْسَانًا رُومَانِيًّا غَيْرَ مَقْضِيٍّ عَلَيْهِ؟» (أعمال ٢٢: ٢٥).

كرر بولس تعاليم يسوع في رسالته الأولي إلى أهل كورنثوس حيث كتب: «أَيَتَجَاسَرُ مِنْكُمْ أَحَدٌ لَهُ دَعْوَى عَلَى آخَرَ أَنْ يُحَاكَمَ عِنْدَ الظَّالِمِينَ وَلَيْسَ عِنْدَ الْقِدِّيسِينَ؟ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْقِدِّيسِينَ سَيَدِينُونَ الْعَالَمَ؟... لِتَخْجِيلِكُمْ أَقُولُ. أَهَكَذَا لَيْسَ بَيْنَكُمْ حَكِيمٌ وَلاَ وَاحِدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَ إِخْوَتِه؟ لَكِنَّ الأَخَ يُحَاكِمُ الأَخَ وَذَلِكَ عِنْدَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَالآنَ فِيكُمْ عَيْبٌ مُطْلَقًا لأَنَّ عِنْدَكُمْ مُحَاكَمَاتٍ بَعْضِكُمْ مَعَ بَعْضٍ. لِمَاذَا لاَ تُظْلَمُونَ بِالْحَرِيِّ؟ لِمَاذَا لاَ تُسْلَبُونَ بِالْحَرِيِّ؟» (١كورنثوس ٦: ١، ٥-٧)

اختبرت منذ ما يقرب من عشرين عامًا التعارض بين تعاليم يسوع وممارسة المحاماة. لو لم يكن من الصواب بالنسبة لي كشخص مسيحي أن أقاضي أخي أمام المحكمة، فكيف يكون من الصائب لي كمحامي أن أمثل مسيحي أخر يقاضي أخاه أمام المحكمة؟ إن الطريق الصحيحة واضحة وجلية.

إلا أن المحاماة هي مهنتي التي أعيش منها. وعليه إن رفضت كل الدعاوى القضائية، فماذا سيتبقى لي؟ لا شيء سوى تحرير الوصايا وعقود نقل الملكية ومراجعة سندات ملكية الأراضي. وهذه كلها أمور ليست بالشيء المثير في مهنتي ولا بالشيء ذي العائد المادي المجزي. لذلك بالنظر إلى إيماني المحدود كان ذلك قرارًا صعبًا. لكن في النهاية عرفت أنني يجب أن أطيع يسوع. وعليه رفضت أن أقبل أية قضايا أو أمور قانونية أخري تتعارض مع تعاليمه.

ماذا عن الحرب؟

من المهم أن نفهم أن تعاليم يسوع عن "اللامقاومة" هي ذات معني فقط لهؤلاء الذين يقبلون تعاليمه الأخرى، مثل: «كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لاَ يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا» (لوقا ١٤: ٣٣). عندما نترك كل شيء لن يتبقى لنا شيء نحارب من أجله، أليس كذلك؟ وحتى عندما يتعلق الأمر بحياتنا يقول يسوع: «مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيعُهَا وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا» (متى ١٠: ٣٩).

قال يسوع لبيلاطس: «لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ» (يوحنا ١٨: ٣٦). نستنتج إذًا أنه إن كان لنا مملكة يمكن حمايتها بالقتال المادي فهي مملكة من هذا العالم. والأمر هنا سيان إن كنا نتحدث عن ممتلكات شخصية أو بيت أو وطن. إن كان لنا في هذا العالم حصة، فسنغوي كي نقاتل من أجل حمايتها. إلا أنه من المستحيل أن نوفق بين تعاليم يسوع وامتلاك أي شيء في هذا العالم، سواء ممتلكات أو سلطة أرضية أو عزة وطنية، إذ كيف نوفق بين أمرين متضاربين لا يقبلان المصالحة.

عبر الكاتب المسيحي أدن بالو (*Adin Ballou*) من القرن التاسع عشر ساخرًا عن سخف محاولة التوفيق بين وصايا الملكوت والقوانين العسكرية للحكومات البشرية بالكلمات التالية:

"ينهاني يسوع عن مقاومة فاعلي الشر وعن التعامل بمبدأ العين بالعين والسن بالسن، ودم مقابل دم وحياة مقابل حياة. أما حكومتي فتأمرني بالعكس، وتؤسس نظامًا للدفاع عن النفس يقوم على المشانق والبنادق والسيوف تستخدمها ضد أعدائها في الخارج والداخل. وعليه تمتلئ البلد بالسجون والترسانات والسفن الحربية والجنود.

يمكننا ونحن نعمل على صيانة واستخدام هذه الأدوات غالية الثمن أن نمارس فضائل المغفرة للمسيء ومحبة الأعداء ومباركة اللاعن وعمل الخير لمن يكرهنا. يقف وراءنا في ذلك سلسلة ممتدة من رجال الدين المسيحيين الذي يصلون من أجلنا ويطلبون أن تحل بركة السماء على عمل القتل المقدس هذا.

أري كل هذا واستمر في اعترافي بمسيحيتي وفي خدمتي في الحكومة وأتفاخر بأنني مسيحي مكرّس وخادم مكرس للحكومة في الوقت عينه. لا أرغب في الموافقة على مبدأ "اللامقاومة" هذا الذي لا معنى له. لا يمكنني أن أتخلي عن سلطتي واترك الحكومة لسيطرة رجال بلا أخلاق.

يقول الدستور إن للحكومة الحق في إعلان الحرب، وأنا أصدق على هذا وأدعمه بل وأقسم أن أدعمه. ولسبب كهذا لا أتوقف عن كوني مسيحيًا، فالحرب هي أيضًا واجب مسيحي. أليس من الواجب المسيحي أن أقتل مئات الآلاف من الرجال وأسيء إلى النساء وأمحو وأحرق المدن وأمارس كل عمل وحشي ممكن؟ لقد حان الوقت لنبذ كل هذه المشاعر العاطفية الزائفة، فهذه هي الطريقة المثلي لمغفرة الإساءات ومحبة الأعداء. لو فعلنا هذا بروح المحبة، فليس هناك شيء أكثر مسيحية من هذه الجريمة."[١]

رأينا في الفصل السابق كيف أن نسبة الطلاق بين من يسمون أنفسهم مسيحيين مؤمنين بالكتاب المقدس هي أعلى من نسبته بين أهل العالم. ينطبق نفس الأمر على مبدأ "اللامقاومة"، فالمسيحيون "المؤمنون بالكتاب المقدس" هم الأكثر تسليحًا في العالم فيما يتعلق بمقاومة الشر بالقوة. عندما تفكر الولايات المتحدة في الذهاب إلى الحرب تجد هؤلاء المسيحيين المؤمنين بالكتاب هم دائمًا الأكثر تفضيلاً للعمل العسكري؟

بينما كنت أسطر هذا الكتاب دخلت الولايات المتحدة في حرب مع العراق لتسقط الديكتاتور الذي يحكمها صدام حسين. على الفور بدأت الكنائس المحلية في وضع أعلام أمريكا في ساحاتها ووضع شعارات على لوحات إعلاناتها مثل "ليبارك الله أمريكا" و "صلوا من أجل قواتنا". لكنني لم أرَ لوحة إعلانية واحدة تقول "صلوا من أجل شعب العراق." على الرغم من أن هدف الحرب كان إزاحة صدام حسين عن الحكم، إلا أن من كانوا سيعانون ويموتون في الغزو هم شعب العراق من رجال ونساء وأطفال ورضع، لكن لم تفكِّر أي كنيسة في أن تذكرنا بأن نصلي لهم.

٩

لكن ماذا لو...؟

لو أنك قارئي العزيز مثل غالبية المسيحيين فربما يكون مبدأ "اللامقاومة" ومحبة الأعداء جديد بالنسبة لك. وربما تقول لنفسك: "حسنًا، لكن ماذا لو؟" لذلك سأناقش في هذا الفصل بعضًا من الاحتمالات التي تندرج تحت سؤالك "ماذا لو...؟" وغيره من الأسئلة التي ربما تراودك.

ماذا لو اقتحم أحدهم بيتك وكان على وشك أن يؤذي زوجتك وأطفالك؟ بالطبع لن تقف مكتوف الأيدي وتدعه يفعل ما يريد!

يلعب هذا السؤال على وتر غريزة حماية الأسرة لدي الإنسان وهي غريزة قوية. إلا أن إجابة مواطن الملكوت عن هذا السؤال ستكون هي نفس إجابته عن أي سؤال يتعلق بكسر وصايا يسوع. دعوني أسألكم: "ماذا لو وجهت لك حكومة بلدك أمرًا بإنكار يسوع المسيح وتقديم ذبيحة للشيطان وإلا تقوم بقتل زوجتك وأطفالك؟ ماذا ستفعل حينها؟" الإجابة بالنسبة لمواطن الملكوت واضحة: قال يسوع إن أحب أحدا عائلته أكثر منه لا يقدر أن يكون تلميذًا له. وقال أيضًا: «مَنْ يُنْكِرُنِي قُدَّامَ النَّاسِ أُنْكِرُهُ أَنَا أَيْضًا قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متى ١٠: ٣٣).

حسنًا، ماذا لو – بدلاً من إنكار المسيح – وجهتك لك حكومة بلدك أمرًا بقتل جارك أو بالاعتداء الجنسي على زوجته وإلا تقوم بقتل زوجتك وأطفالك؟ هل

يختلف الموقف هنا عن موقف تقديم ذبيحة للشيطان؟ لا، إذ في أحدهما أنكر المسيح بفمي وفي الثاني أنكره بأفعالي.

ماذا لو أمرتني حكومة أجنبية بإلقاء قنبلة على مدينة أمريكية أو باغتيال الرئيس الأمريكي وإلا ستُلحق الأذى بزوجتي وأطفالي. ما الذي يتوجب على فعله في مثل هذا الموقف؟ أعتقد أن معظم الأمريكيين سيقبلون أن تتعرض أسرهم للأذى أو حتى للقتل لكنهم لن يقبلوا بخيانة وطنهم.

هل يختلف الأمر هنا عنه حين يتعلق بالولاء ليسوع؟ تعاليم يسوع عن "اللامقاومة" واضحة وصريحة. إما أن أنكره أو أنكر عائلتي، وهذا اختيار صعب بكل تأكيد. إلا أنني قد اخترت بالفعل حين أعطيت حياتي للمسيح.

هل معنى هذا ألا أقوم بفعل أي شيء لحماية عائلتي؟ بالطبع لا. لقد قمت بالفعل بأفضل ما يمكنني فعله حتى أضمن سلامتهم حين وضعت بيتي وأسرتي تحت حماية يسوع وعنايته. وهذه ليست مجرد ثقة ساذجة. هناك عشرات الآلاف من مسيحيي الملكوت الذين طبعوا سيوفهم سككًا ووضعوا سلامة أسرهم بين يدي ملكهم. وعلى الرغم من أن يسوع لم يعد أبدًا بأن لا يمس أسرنا أي أذى، إلا أنه يمكنني أن أقول إنه فيما عدا أوقات الاضطهاد الديني، من النادر أن تتعرض أسر الملكوت لآذى أي مجرم عادى.

أحد الأمثلة التي ترد إلى ذهني في هذا الشأن تدور حول المجرم الهارب البائس ستيفن روي كار (*Stephen Roy Carr*) وقصته مع أحد الأسر المسالمة التي تنتمي لطائفة المينونايت (*Mennonite*) في بنسلفانيا في مايو عام ١٩٨٨. كان كار قد فر من فلوريدا حيث كان مطلوب القبض عليه لارتكابه عملية سطو كبري، وقام بالاختباء في جبال الأبالاش (*Appalachian*) مستعدًا لقتل أي شخص قد يهدد حريته. وقد أطلق النار بالفعل على فتاتين كانتا مخيمتين في طريق الأبالاش (*Appalachian Trail*) فقتل أحداهما وتسبب في إلحاق إصابة خطيرة بالأخرى.

فر كار من موقع جريمته وعثر على حوض قديم لخلط الأسمنت استخدمه لعبور خليج *Conodoguinet Creek* إلى مزرعة تشيستر أند إستر ويفر (*Chester and Esther Weaver*). كانت عائلة ويفر لكونها عائلة محافظة من المينونايت لا تمتلك تلفاز أو مذياع وبالتالي لم يكونوا قد سمعوا شيئًا عن الجريمة. طلب كار منهم طعامًا ومأوي وقد أعطوه بفرح. مكث كار في منزلهم لخمسة أيام ومع ذلك لم يؤذِ أيًا منهم ولا سرق منهم شيئًا. كان بإمكانه أن يمكث لديهم لمدة أطول لو لم تلق الشرطة القبض عليه.[١]

إيمان عربة اليد

أتذكر هنا رواية الكاتب والمتحدث المسيحي وينكي براتني (*Winkey Pratney*) عن بلوندن العظيم (*the Great Blondin*) وهو بهلوان جوي ذو موهبة لا تُصدق من القرن التاسع عشر. أراد بلوندن أن يستعرض مواهبه في اللعب على الحبل فقام بمد حبل طوله ١١٠٠ قدم فوق شلالات نياجرا. ووسط رعب الحشد الهائل الذي كان يشاهده سار بلوندن عبر الشلالات على حبله مؤديًا الكثير من الحركات البارعة المذهلة. بل وقام بعمل شقلبة عكسية في وسط الحبل. ومع ذلك كله لم يضع بلوندن شبكة حماية تحته لإنقاذه في حال سقوطه.

أحد الصحفيين الذي أتي لمشاهدة عرض بلوندن كان مأخوذًا جدًا بالعرض وقال له: "أراهن أنه ما من شيء يمكنك ألا تفعله على هذا الحبل."

سأله بلوندن: "هل تعتقد أنه يمكنني عبور الحبل وأن أدفع أمامي عربة يد؟"

قال الصحفي: "نعم بكل تأكيد يمكنك فعل هذا."

عاد بلوندن وسأله: "هل تعتقد أنه يمكنني عبور الحبل وأن أدفع أمامي عربة يد جالسًا عليها شخص ما؟"

أجاب الصحفي: "بلا أدنى شك؟"

وأخيرًا سأله بلوندن وهو ينظر مباشرة إلى عينييه: "هل تعتقد أنه يمكنني عبور الحبل وأن أدفع أمامي عربة يد أنت تجلس فيها؟"

هنا همهم الصحفي مترددًا "حسنًا، أنا..."

لكن هذا هو معنى الإيمان الحقيقي الصادق أن نجلس على عربة اليد التي يدفعها المسيح. أي إيمان أخر ليس إيمان حقيقي بل مجرد كلمات. يعترف الكثير من المسيحيين أن الله كلي القوة ويعلنون أن الله هو من يدير الكون وأن لا شيء يحدث يخرج عن إرادة الله وسماحه. بل وتجدهم يضعون ملصقات على عرباتهم تقول "ملائكته تحرسني." لكنهم لا يقبلوا أبدًا بالجلوس على عربة اليد ولا يعهدون بسلامة أسرهم إلى الله.

للأسف تعاني الأسر المسيحية سنويًا من حوادث قتل وإصابة من أسلحتهم الشخصية لأنهم لم يضعوا ثقتهم في الله. وقعت واحدة من هذه الفواجع منذ سنوات قليلة مضت عندما عاد رجل وزوجته إلى بيتهما من رحلة كانا قد قاما بها. كانت ابنتهما تمكث في منزل أحد الأصدقاء لكنها فكرت في عمل مفاجأة لوالديها فعادت إلى المنزل مبكرًا واختبأت في خزانة الملابس في حجرة نومهما. عندما عاد الوالدان إلى المنزل، سمعا صوتًا في الخزانة. اعتقد الأب أن لصًا مختبئًا في الداخل فأحضر مسدسه المحشو بالرصاص واقترب ببطء من الخزانة وعندما انفتح باب الخزانة فجأة أطلق الأب الرصاص غريزيًا. سرعان ما اكتشف الأب أن تلك كانت ابنته لكن الوقت كان قد تأخر إذ ماتت الابنة وهي تتمم "أحبك يا أبي."

هذه ليست حادثة من النادر أن تقع، فاحتمال أن يقتل السلاح الذي نحتفظ به في البيت فرد من أفراد الأسرة أو صديق هو ٢٢ مرة أكثر من احتمال أن يقتل أو يصيب دخيل ما.[٢] يمكننا أن نواجه الشر بطرق أقل خطورة من البنادق والأسلحة.

منذ عدة سنوات كان صديقاي المسيحيان ديكو (*Decio*) وأوليفيا (*Olivia*) يمكثان في فندق في أتلانتا. في ذلك الوقت تعرضت المدينة لعدد من السرقات المسلحة وجرائم القتل. كان منفذو السرقات يأمرون ضحاياهم بالاستلقاء على الأرض ووجوههم إلى الأسفل ثم يطلقون النار على مؤخرة رؤوسهم. لذلك كان ديكو حذرًا.

في ليلة معتدلة من شهر أكتوبر كان ديكو وأوليفيا قد تركا الباب مفتوحًا لصديق. فجأة دخل عليهما قاطعي طريق مراهقين يحمل كلاً منهما سلاحًا، وأمروهما بالاستلقاء على الأرض. تردد ديكو في بادئ الأمر ثم انحنى على ركبتيه مصليًا محاولاً أن يفكر في طريقة لإحباط السرقة.

اعتقدت زوجته أوليفيا أن ما يحدث هو مزحة من مزح الهالوين (*Halloween*) ولذلك ظلت جالسة على السرير، فلوح أحد اللصين بمسدسه لها وأمرها بالاستلقاء على الأرض. لكنها بدلاً من ذلك بدأت ترنم بصوت عال "يسوع يحبني" وقامت من على السرير ماشية نحو الشابين. رفع أحداهما مسدسه في وجهها وسحب زنده ومع ذلك استمرت أوليفيا في الترنيم وفي سيرها نحوه. فجأة صرخ الشاب في زميله "هذه مجموعة من مجانين يسوع. دعنا نخرج من هنا." وهكذا خرج اللصان وابتلعهما الظلام.

سمعت وقرأت على مدار السنوات كيف أن صلاة أو ترنيمة أو شهادة كانت قادرة على تجريد لص أو مهاجم من سلاحه. إن كنا نترنم "الله إله مهوب" ولا نؤمن بذلك فما من داع لترديد الترنيمة.

يسألني البعض: "لكن ماذا عن هتلر؟"

في الواقع هذه هو سؤالي للمسيحيين الذين يرفضون مبدأ "اللامقاومة". لو أن كل المسيحيين مارسوا تعاليم يسوع لما استطاع هتلر أبدًا أن يفعل ما فعله. لماذا؟

لأن أغلب الجنود في جيش هتلر كانوا يدعون الإيمان المسيحي. البعض منهم التحق بالجيش الألماني تطوعًا والبعض الأخر كان مجندًا الزاميًا. كان هؤلاء الجنود يخدمون بلدهم تمامًا كما كان الجنود البريطانيون والأمريكيون الذي يحاربون ضدهم يخدمون بلادهم. لو أن كل مسيحي منهم كان قد نفذ وصايا يسوع، ما كان شر هتلر ليقع ولكان تبقي له قلة قليلة من الجنود لتنفيذ مخططه.

لو أن كل المسيحيين كانوا قد ثبتوا على تعاليم يسوع ربما ما قامت أي حروب. هذا ليس حلمًا تافهًا، بل هو ما يوضحه عهد السلام الروماني (*Pax Romana*). "السلام الروماني هو الاسم الذي أطلقه المؤرخون العلمانيون على تلك الفترة التي عم فيها السلام أرجاء الإمبراطورية الرومانية من عام ٢٧ق.م. إلى عام ١٨٠م. كانت تلك هي أكثر فترة عرفت فيها الإمبراطورية الرومانية السلام، وهي في الواقع أطول فترة سلام عرفها عالم البحر المتوسط منذ بداية الحضارة الأوربية حتى يومنا هذا. في تلك الفترة لم تتعرض الإمبراطورية لأي حملة غزو ناجحة على حدودها. كان هناك بعض الثورات المحلية مثل ثورات اليهود. إلا أنه لم يكن هناك أية حروب مدنية بين الرومان بعضهم البعض".

ما الذي أدى إلى إقرار السلام الروماني؟ هل هي جيوش روما العظيمة؟ لا فقد كانت هذه الجيوش العظيمة موجودة أيضًا في القرنين الرابع والخامس عندما لم يكن هناك أي سلام وعندما نجحت جيوش البرابرة أخيرًا في غزو الإمبراطورية.

إذًا هل كان الحكام الصالحون هم سبب عهد السلام هذا؟ كان هناك بالطبع عدد من الأباطرة الأقوياء في تلك الفترة مثل أغسطس قيصر وماركوس أوريليوس (*Marcus Aurelius*). وكان هناك أيضًا أباطرة مجانين وآخرون وحوش أخلاقية مثل كاليجولا (*Caligula*) ونيرون ودوميتيان (*Domitian*). ومع ذلك كانت روما تتمتع بالسلام حتى في عهد هؤلاء المجانين.

ما الذي ميز عهد السلام الروماني إذًا؟ لا يعطينا المؤرخون العلمانيون إجابة واضحة. إلا أنني اعتقد أن ما ميز تلك الفترة هو أن الله أستحضر السلام لعالم البحر المتوسط الذي كان ابنه، رئيس، السلام سيولد فيه. أعتقد أن الله أحضر السلام لهذه المنطقة دون مساعدة أي جيوش بشرية، وأعتقد أن المسيحيين فيما بعد حافظوا على هذا السلام ليس باستخدام السيف لحماية الإمبراطورية لكن بسلوكهم الذي يتميز "باللامقاومة" وبحياتهم المسالمة وصلواتهم.

هذا ليس مجرد رأي شخصي، فالمسيحيون الأوائل الذي شهدوا عصر السلام الروماني كانوا على اقتناع قوي أن هذا السلام هو نتيجة لتدخل الله. على سبيل المثال، يقول أوريجان للرومان: "كيف كان ممكنًا لمبدأ السلام الكتابي الذي لا يسمح بالانتقام حتى من الأعداء أن يعم الأرض إن لم يكن روحًا وديعًا قد دخل العالم مع قدوم يسوع؟"[٣]

كما كتب أرنوبياس (*Arnobius*) وهو أيضًا أحد الكتاب المسيحيين الأوائل:

> "ليس من الصعب أن نثبت أن الحروب لم تزداد (بعد أن عُرف اسم المسيح في العالم) لكنها في الواقع اختفت إلى حد كبير وذلك بمقاومة المشاعر الغاضبة... نتيجة لذلك يستمتع عالم اليوم غير المعترف بالجميل - وقد استمتع لفترة طويلة - بأحد المكاسب التي أتي بها المسيح الذي باسمه لانت الوحشية البربرية وبدأت الأيادي العدوانية تمُسك عن سفك دماء البشر. لو أن كل البشر بلا استثناء... يستمعون ولو للحظة لقوانينه المسالمة الرائعة... لعاش العالم كله في أكثر الأجواء طمأنينة وسلمية، ولحول استخدام الصلب لأشياء أكثر سلمية، ولاتحد أهله معًا في تناغم مبارك محافظين على عدم انتهاك قدسية المعاهدات."[٤]

الدفاع عن الوطن بـ"اللامقاومة"

اليوم ينتقد الكثير ممن يدّعون المسيحية مسيحيي الملكوت لأنهم لا يتحدثون عن حمل السلاح والدفاع عن الوطن، تمامًا كما كان الوثنيون ينتقدون المسيحيين الأوائل الذين رفضوا حماية الإمبراطورية الرومانية بالسيوف. كتب أوريجان ردًا على هجوم المنتقدين من الوثنيون:

> "صلواتنا هي التي تهزم كل الشياطين التي تشعل نيران الحرب، والتي تدفع الأشخاص للحنث بما تعهدوا به وبتكدير السلام. وهكذا نكون أكثر نفعًا للملوك من الذين يذهبون إلى ميدان الحرب ويقاتلون من أجلهم. كما نقوم بدورنا في الشؤون المحلية عندما ننخرط في أعمال تتسم بنكران الذات إلى جانب صلواتنا وتأملاتنا الصالحة التي تعلمنا احتقار الملذات وعدم الانصياع لها. لذلك تجنُّب القتال هو أفضل ما يمكننا فعله للملك. فنحن في الواقع لن نقاتل باسمه حتى ولو طلب منا ذلك. ومع ذلك نحن نحارب لأجله مكونين جيشًا خاصًا - جيش الصلاح والتقوى - وذلك بتقديم صلواتنا لله.
>
> وإن أمرنا بأن نقود جيوشًا دفاعًا عن وطننا، فليعلم أننا نفعل ذلك أيضًا، ليس ابتغاءً للزهو والفخر ولمدح الناس لنا، إذ أننا في الخفاء وفي قلوبنا نرفع صلواتنا نيابة عنه وعن أهل وطننا. وهكذا يكون المسيحيون أكثر نفعًا لوطنهم من غيرهم."[٥]

هكذا كان الاعتماد الكامل على الله أمرًا ناجحًا وله نتائج فعالة، إذ حقق أطول فترة سلام في منطقة البحر المتوسط منذ بداية الحضارة. ونجاح الأمر هكذا ضد كل محبي الحروب في عالم البحر المتوسط القديم يعني أنه كان يمكنه النجاح كذلك ضد هتلر والتصدي له. بل وكما أسلفنا ما كان هتلر ليأتي إلى السلطة.

لكن من الممكن أن يعترض أحدهم قائلاً: "لكن ألم تسمع مقولة إن الشيء الوحيد الذي يحتاجه الشر كي يسود هو رجال صالحون لا يفعلون شيئًا؟" هذه بالفعل هي النقطة الحاسمة في قضيتنا. فبغض النظر عن كلماتنا الرائعة عن الإيمان والثقة، يري الكثير من المسيحيين الصلاة على أنها "لا تفعل شيئًا" وسواء اعترفوا بهذا أم لا، يعتقد معظمهم أننا إن لم نحمل سلاحنا كي نوقف الشر فلن يوقفه شيء ر آخر.

لكن ماذا لو عاش كل المسيحيين اليوم حياة "اللامقاومة" وأحبوا أعدائهم؟ ماذا لو وضعت كل الكنيسة إيمانها في الله باعتباره حامي البشر، وصدقت بالفعل في تأثير صلواتها؟ كان هذا هو حال الكنيسة في القرون الثلاثة الأولي. ونتيجة لذلك تمتع العالم الذي عاشت به بالسلام. أثق تمامًا أنه سيكون لدينا عهد سلام أوربي أو عهد سلام أمريكي لو سارت الكنيسة اليوم على نفس المنوال.

لا يمكننا أن نهزم الشر بالشر ولا يمكن لخطأ أن يصحح خطأ. لا يمكننا أن نهزم إبليس بإتباع طرقه ووسائله. إتباع تعاليم المسيح هو طريقة المقاومة الوحيدة الفعالة في مقاومة إبليس.

لكن ألا تنطبق كلمات يسوع على مستوي الانتقام الشخصي فقط وليس على مستوى الأعمال التي تُنفذ تحت سلطة الدولة؟

يعتقد بعض المسيحيين أنه من الخطأ أن نقاوم الشر بالشر على المستوى الشخصي. أما على مستوي العمل تحت سلطة الدولة فهذا لا يتعارض مع تعاليم يسوع. يجعلني هذا الرأي أفكر في كتيب بقلم أدن بالو (*Adin Ballou*) بعنوان "كم من الرجال يلزم حتى تتحول الجريمة إلى فضيلة؟" (*How Many Men Are Necessary to Change a Crime into a Virtue?*) والذي يتساءل فيه قائلاً:

"كم شخص يلزم لإبطال وصايا الله وإضفاء صفة الشرعية على أمر حرمه؟ كم شخص يلزم لتحويل الشر إلى صلاح؟ شخص واحد يجب ألا يقتل، وإن قتل فهذه جريمة. شخصان أو عشرة أو مائة يجب ألا يقتلوا، وإن قتلوا فهذه أيضًا تظل جريمة.

إلا أن دولة ما يمكن أن تقتل أي عدد تشاء وفعلها هذا لا يُعد جريمة، بل هو عدل وضرورة وصواب يجب الثناء عليه. عليك فقط أن تجمع ما يكفي من الناس للموافقة على هذا المبدأ فيتحول سفك دماء عشرات الآلاف من البشر إلى فعل برئ تمامًا. السؤال هنا هو: كم شخص يلزم حتى يتحول القتل إلى فعل برئ؟

ينطبق السؤال عينه على فعل السرقة والسلب والسطو وكل أنواع الجرائم الأخرى. الخطف هو جريمة بشعة سواء ارتكبه شخص واحد فقط أو عدد قليل من الأشخاص. إلا أن أمة بأكملها يمكنها أن ترتكب هذا الفعل دون أن يُعد جريمة بل يعد عملاً بريئًا ومشرفًا جدًا. يمكن لدولة ما أن تسرق على أوسع نطاق وتسطو على مدينة كاملة بالقوة العسكرية دون أن يُعد فعلها جريمة. يمكنها أن تفعل كل هذا وهي متمتعة بالحصانة، بل وتطلب من رجال الدين أن يصلوا من أجلها. يقينًا هناك سحر في الأرقام. يمكن للجموع ذات السيادة أن تلغي تشريعات القدير على الأقل في مخيلتها. لكن كم شخصًا يتطلبه الأمر؟"[٦]

لو أمرتني الدولة أن أقدم العبادة للأوثان، فهل يجعل هذا من عبادتها عملاً صائبًا؟ بعبارة أخري هل عبادة الأوثان فعل خاطئ على المستوي الشخصي لكنه مقبول تمامًا لو كان بأمر من الدولة وتحت سلطتها؟ هل العرافة فعل خاطئ على المستوي الشخصي لكنه مقبول تمامًا لو كان بأمر من الدولة وتحت

سلطتها؟ هل الزنا فعل خاطئ على المستوى الشخصي لكنه لا يعد خطية لو كان بأمر من الدولة؟ هل الطلاق فعل خاطئ على المستوي الشخصي لكنه مقبول تمامًا لو كان بتشريع من الدولة؟

أو لنفترض أن شخصًا مسيحيًا يعيش في دولة تأمر النساء بالإجهاض من أجل الصالح العام. ربما تكون الدولة مكتظة بالسكان والحكومة تري أن خفض معدل المواليد هو أفضل طريقة للحد من الزيادة السكانية. هل يعطي هذا حقًا شرعيًا للمرأة بقتل طفلها من خلال الإجهاض؟ لو أن الإجابة هي لا، فلماذا يختلف الأمر عندما تأمر نفس الدولة مواطنيها بالقتل في الحرب؟

هل عندما أعطى يسوع وصاياه الخاصة "باللامقاومة" ومحبة الأعداء فرق بين ممارستها على المستوي الشخصي وممارستها تحت سلطة الدولة؟ في الواقع جاءت تعاليم يسوع لتحل محل قانون في العهد القديم كان أحد قوانين الدولة وليس وصية على المستوي الشخصي. بدأ يسوع رسالته عن "اللامقاومة" بقوله: «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ» (متى ٥: ٣٨). أين سمعت الجموع عبارة "عين بعين وسن بسن"؟ سمعوها بالطبع في ناموس موسى حيث ترد ثلاثة مرات.

النص الأول الذي ترد فيه هذه العبارة هو سفر الخروج: «وَإِذَا تَخَاصَمَ رِجَالٌ وَصَدَمُوا امْرَأَةً حُبْلَى فَسَقَطَ وَلَدُهَا وَلَمْ تَحْصُلْ أَذِيَّةٌ يُغَرَّمُ كَمَا يَضَعُ عَلَيْهِ زَوْجُ الْمَرْأَةِ وَيَدْفَعُ عَنْ يَدِ الْقُضَاةِ. وَإِنْ حَصَلَتْ أَذِيَّةٌ تُعْطِي نَفْسًا بِنَفْسٍ وَعَيْنًا بِعَيْنٍ وَسِنًّا بِسِنٍّ وَيَدًا بِيَدٍ وَرِجْلاً بِرِجْلٍ» (خروج ٢١: ٢٢-٢٤). لاحظ أن القضاة لهم دور هنا مما يعني أن الانتقام ليس شخصيًا.

النص الثاني الذي ترد فيه العبارة يأتي في سفر اللاويين وهو يتعلق بحادثة رجل من أب مصري وأم إسرائيلية جدف على الله. عندما سأل الإسرائيليون

الله عما ينبغي أن يفعلوه في هذه الحالة، أجابهم قائلاً: «وَمَنْ جَدَّفَ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. يَرْجُمُهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ رَجْمًا. الْغَرِيبُ كَالْوَطَنِيِّ عِنْدَمَا يُجَدِّفُ عَلَى الاسْمِ يُقْتَلُ. وَإِذَا أَمَاتَ أَحَدٌ إِنْسَانًا فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. وَمَنْ أَمَاتَ بَهِيمَةً يُعَوِّضُ عَنْهَا نَفْسًا بِنَفْسٍ. وَإِذَا أَحْدَثَ إِنْسَانٌ فِي قَرِيبِهِ عَيْبًا فَكَمَا فَعَلَ كَذلِكَ يُفْعَلُ بِهِ. كَسْرٌ بِكَسْرٍ وَعَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. كَمَا أَحْدَثَ عَيْبًا فِي الإِنْسَانِ كَذلِكَ يُحْدَثُ فِيهِ. مَنْ قَتَلَ بَهِيمَةً يُعَوِّضُ عَنْهَا وَمَنْ قَتَلَ إِنْسَانًا يُقْتَلُ. حُكْمٌ وَاحِدٌ يَكُونُ لَكُمْ. الْغَرِيبُ يَكُونُ كَالْوَطَنِيِّ. إِنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ». فَكَلَّمَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُخْرِجُوا الَّذِي سَبَّ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ وَيَرْجُمُوهُ بِالْحِجَارَةِ. فَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى» (لاويين ٢٤: ١٦-٢٣). هل يتحدث هذا النص عن أفعال شخصية؟ لا، بل نجد أن كل جماعة إسرائيل مشتركة في تنفيذ العقاب.

أما النص الأخير فيرد في سفر التثنية: «إِذَا قَامَ شَاهِدُ زُورٍ عَلى إِنْسَانٍ لِيَشْهَدَ عَلَيْهِ بِزَيْغٍ يَقِفُ الرَّجُلانِ اللذَانِ بَيْنَهُمَا الخُصُومَةُ أَمَامَ الرَّبِّ أَمَامَ الكَهَنَةِ وَالقُضَاةِ الذِينَ يَكُونُونَ فِي تِلكَ الأَيَّامِ. فَإِنْ فَحَصَ القُضَاةُ جَيِّدًا وَإِذَا الشَّاهِدُ شَاهِدٌ كَاذِبٌ. قَدْ شَهِدَ بِالكَذِبِ عَلى أَخِيهِ فَافْعَلُوا بِهِ كَمَا نَوَى أَنْ يَفْعَل بِأَخِيهِ. فَتَنْزِعُونَ الشَّرَّ مِنْ وَسْطِكُمْ. وَيَسْمَعُ البَاقُونَ فَيَخَافُونَ وَلا يَعُودُونَ يَفْعَلُونَ مِثْل ذَلِكَ الأَمْرِ الخَبِيثِ فِي وَسَطِكَ. لا تُشْفِقْ عَيْنُكَ. نَفْسٌ بِنَفْسٍ. عَيْنٌ بِعَيْنٍ. سِنٌّ بِسِنٍّ. يَدٌ بِيَدٍ. رِجْلٌ بِرِجْلٍ» (تثنية ١٩: ١٦-٢١). هنا أيضًا لا يشير النص إلى عدالة شخصية إذ نري الكهنة والقضاة في المشهد.

تعاليم يسوع بشأن "اللامقاومة" تأتي إذًا في سياق العقوبة الموقعة من قبل الدولة والقضاء وليس في سياق الانتقام الشخصي. فهذا هو المقصود من مبدأ "عين بعين" وقد حلت تعاليم يسوع محل هذا المبدأ.

لكن ألا يمكن أن ارتدي قبعتين؟ عندما أكون في زي الجيش الأمريكي

فلست أنا بشخصي من يقوم بالقتل بل حكومة الولايات المتحدة المؤتمنة على سيف الله طبقًا لما ورد في رومية ١٣.

تبدو هذه الحجة مقنعة فقط لأن معظم المسيحيين غير قادرين على التفكير في ملكوت الله كحكومة حقيقية موجود بالفعل.

كي أوضح الأمر دعونا نتخيل أن مواطنًا أمريكيًا كان يعيش في ألمانيا في ثلاثينيات القرن العشرين. ولنتخيل كذلك أن الجيش الألماني جنده في صفوفه (إذ تتمتع الحكومات بسلطة تجنيد المقيمين على أراضيها وليسوا من مواطنيها، إجباريًا). لنتخيل أن هذا الأمريكي قبل تجنيده في الجيش الألماني وقتل أمريكيين في معارك الحرب العالمية الثانية. وفي النهاية تم القبض عليه من قبل القوات الأمريكية كي يمثل للمحاكمة.

ولنتخيل أنه قدم الدفاع التالي في محاكمته: "أعلم أنه لا يجوز لي كمواطن أمريكي أنا أرفع السلاح في وجه مواطن أمريكي أخر. إلا أنني كنت مجندًا في الجيش الألماني وعليه لست أنا المواطن الأمريكي الذي كنت أقتل غيري من الأمريكيين بل الحكومة الألمانية في حربها الشرعية ضد الولايات المتحدة."

هل تعتقد أن شعب وحكومة الولايات المتحدة سيقبلان هذا الدفاع؟ بالطبع لا. لماذا نتخيل إذًا أن يسوع سيقبله؟

في الواقع هناك موقف حقيقي مشابه للمثال الذي أعطيته هنا. منذ سنوات قليلة مضت شنت الحكومة الأمريكية حربًا ضد نظام طالبان في أفغانستان. وفي أثناء الحرب ألقت القوات الأمريكية القبض على مواطن أمريكي يدعى جون واكر ليند (*John Walker Lindh*) كان قد انضم لمحاربي طالبان. دعونا نتخيل أن السيد ليند قدم الدفاع التالي في محاكمته:

"أنا المواطن الأمريكي جون واكر ليند لا يمكن أن أقوم بأي فعل يؤذي مواطنًا

أمريكيًا أخر. صحيح أنني انضممت إلى جيش طالبان. إلا أنني عندما انضممت إليه لم يكن في حرب مع الولايات المتحدة. وأي فعل قمت به بعد ذلك لم يكن صادرًا عنى بل عن حكومة طالبان. أنا لم أحارب الولايات المتحدة كفرد بل كجزء من حكومة طالبان وعليه فأنا برئ."

هل تعتقد أن ثمة هيئة محلفين أمريكية تقبل بهذا الكلام؟ لا أعتقد ذلك.

إن المسيحي الذي يرفض مبدأ "اللامقاومة" يريد في الواقع أن يخضع يسوع لقيصر، وأن يعترف أن قوانينه يمكن أن تُكسر لو أراد قيصر هذا. لكن هل سيقبل قيصر بالعكس؟ هل سيقبل قيصر أن نكسر قوانينه لو كان هذا ما يريده يسوع؟

دعونا نجيب عن هذا السؤال من خلال هذا الدفاع المتخيل المقدم من قبل جون واكر ليند: "أنا جون واكر ليند المواطن الأمريكي، لا يمكن أبدًا أن أفعل شيء من شأنه أن يضر بأمريكي أخر إذ أن هذا خطأ بكل تأكيد. ولو كنت حاربت ضد الولايات المتحدة في أفغانستان فقد فعلت ذلك كجون واكر ليند المسلم. إن ولائي لله يتطلب منى أن أقتل الكفار. وعليه كنت كمسلم أقتل الأمريكيين. لكنني فعلت هذا كجزء من المجتمع الإسلامي العام وليس كفرد أو كأمريكي. وعليه فأنا برئ."

ماذا تعتقد؟ هل سيُقبل مثل هذا الدفاع؟ بالطبع لا. لا تسمح الولايات المتحدة لمواطنيها أن يقتلوا بعضهم البعض أيًا كانت معتقداتهم الدينية. لو قتل أمريكي أمريكيًا أخر فسيدان بتهمة القتل. حقيقية أن ديانته تقتضي ذلك هي عذر لا يُعتد به.

لو أن حكومتنا لا تقبل أن يقتل مواطنيها بعضهم البعض بسبب الاختلافات الدينية فلماذا نتصور أن يسوع سيسمح لمواطني مملكته أن يقتلوا بعضهم البعض بسبب اختلافاتهم السياسية أو الوطنية؟

١٠

لكن، ألا يقول الكتاب المقدس ...؟

على مدار السنوات كثيرًا ما سألني بعض المسيحيين الذين يجدون من الصعب قبول مبدأ اللامقاومة، عن العديد من النصوص الكتابية التي تبدو متعارضة مع هذا المبدأ. لذلك دعونا نلقي الضوء على بعض منها.

قال يسوع إنه لم يأتِ ليلقي سلامًا على الأرض بل سيفًا. ألم يكن بقوله هذا يعطى تصريحًا بالحرب؟

نعم قال يسوع: «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا» (متى ١٠: ٣٤). عندما نقرأ هذه العبارة بمفردها ربما نفهم أن يسوع يخبر أتباعه إنهم يحتاجون إلى القوة العسكرية للسيف كي يحاربوا عن مملكته. لكن عندما نقرأ النص الذي وردت فيه العبارة، فسنفهم أن يسوع لم يكن يتحدث عن هذا الأمر مطلقًا.

وردت هذه العبارة كجزء من التعليمات التي أعطاها يسوع لتلاميذه الاثنا عشر عندما أرسلهم كي يكرزوا بالبشارة. دعونا نقرأ النص بأكمله:

> «هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَم فِي وَسَطِ ذِئَاب فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَالْحَمَامِ. وَلكِنِ احْذَرُوا مِنَ النَّاسِ لأَنَّهُمْ سَيُسْلِمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ وَفِي

مَجَامِعِهِمْ يَجْلِدُونَكُمْ. وَتُسَاقُونَ أَمَامَ وُلاَةٍ وَمُلُوكٍ مِنْ أَجْلِي شَهَادَةً لَهُمْ وَلِلأُمَمِ. فَمَتَى أَسْلَمُوكُمْ فَلاَ تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ لأَنَّكُمْ تُعْطَوْنَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا تَتَكَلَّمُونَ بِهِ لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ. وَسَيُسْلِمُ الأَخُ أَخَاهُ إِلَى الْمَوْتِ وَالأَبُ وَلَدَهُ وَيَقُومُ الأَوْلاَدُ عَلَى وَالِدِيهِمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي. وَلَكِنِ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ. وَمَتَى طَرَدُوكُمْ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ فَاهْرُبُوا إِلَى الأُخْرَى. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ لاَ تُكَمِّلُونَ مُدُنَ إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَأْتِيَ ابْنُ الإِنْسَانِ. لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنَ الْمُعَلِّمِ وَلاَ الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ سَيِّدِهِ. يَكْفِي التِّلْمِيذَ أَنْ يَكُونَ كَمُعَلِّمِهِ وَالْعَبْدَ كَسَيِّدِهِ. إِنْ كَانُوا قَدْ لَقَّبُوا رَبَّ الْبَيْتِ بَعْلَزَبُولَ فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَهْلَ بَيْتِهِ! فَلاَ تَخَافُوهُمْ. لأَنْ لَيْسَ مَكْتُومٌ لَنْ يُسْتَعْلَنَ وَلاَ خَفِيٌّ لَنْ يُعْرَفَ. اَلَّذِي أَقُولُهُ لَكُمْ فِي الظُّلْمَةِ قُولُوهُ فِي النُّورِ وَالَّذِي تَسْمَعُونَهُ فِي الأُذُنِ نَادُوا بِهِ عَلَى السُّطُوحِ وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلَكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ. أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ؟ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لاَ يَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَحَتَّى شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ. فَلاَ تَخَافُوا. أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ. فَكُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي قُدَّامَ النَّاسِ أَعْتَرِفُ أَنَا أَيْضًا بِهِ قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ وَلَكِنْ مَنْ يُنْكِرُنِي قُدَّامَ النَّاسِ أُنْكِرُهُ أَنَا أَيْضًا قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا. فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ. مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي وَمَنْ لاَ يَأْخُذُ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعُنِي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي. مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيعُهَا وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا.»

(مت ١٠:١٦-٣٩).

عندما نقرأ النص بكامله سنرى بكل سهولة أن يسوع لا يجيز لرسله أن يتسلحوا وينخرطوا في حروب مقدسة ضد من يعارضون ملكوته. بل العكس هو الصحيح، إذ يقول لهم إنه يرسلهم كغنم وسط ذئاب والغنم لا يحملون سلاحًا ولا يقتلون الذئاب بل الذئاب هي التي تقتل. كان يسوع يخبر رسله أن يكونوا مستعدين للموت من أجله وإلا فهم لا يستحقونه. الأمر الوحيد الذي أجازه يسوع لتلاميذه في مواجهة العنف الواقع عليهم هو الهروب لمكان أخر إن استطاعوا.

كان السيف في القديم يستخدم لغرضين. الغرض الأول هو أول ما يخطر على بالنا ألا وهو القتل في الحرب. إلا أن السيف هو أيضًا أداة للقطع أو التقسيم.

يصف الكتاب المقدس كلمة الله بأنها «أَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ» (عبرانيين ٤: ١٢).

ألا يتحدث يسوع في متى ١٠: ٣٤ عن السيف كأداة للتقسيم إذ يقول: "فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ."

هل كان يسوع يقول إن الأم وبناتها سيحملون سيف الحرب ضد بعضهن البعض ويقتلون بعضهن البعض؟ هل كان يسوع يجيز للمسيحيين أن يقتلوا آبائهم وأولادهم؟ أم هل كان يقول إن بشارة الملكوت من شأنها أن تسبب انقسامات في العائلة؟

اعتقد أن الكثير منا يدرك أنه كان يقصد المعنى الأخير. من الممكن أن تحرمنا أسرنا من الميراث أو تضطهدنا بسبب إيماننا ببشارة الملكوت. لكن إن قدمنا أسرتنا على الرب فنحن لا نستحقه.

والآن دعونا نتأمل قليلاً فيما قاله يسوع في متى ١٠ عن الأولويات. يقول يسوع: "مَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي." لو كان يسوع لا يسمح لنا أن نحب

أولادنا أكثر منه، فكيف نتخيل أنه من المقبول أن نحب وطننا أكثر منه؟

ماذا عن الجنود الذين أتوا ليروا يوحنا المعمدان؟ لم يخبرهم يوحنا أن يتركوا الجيش أو أن يلقوا بسيوفهم.

دعونا نقرأ النص معًا: «وَجَاءَ عَشَّارُونَ أَيْضًا لِيَعْتَمِدُوا وَسَأَلُوهُ: «يَا مُعَلِّمُ مَاذَا نَفْعَلُ؟» فَأَجَابَ: "لاَ تَسْتَوْفُوا أَكْثَرَ مِمَّا فُرِضَ لَكُمْ". وَسَأَلَهُ جُنْدِيُّونَ أَيْضًا: "وَمَاذَا نَفْعَلُ نَحْنُ؟" فَأَجَابَ: "لاَ تَظْلِمُوا أَحَدًا وَلاَ تَشُوا بِأَحَدٍ وَاكْتَفُوا بِعَلاَئِفِكُمْ"» (لوقا ٣: ١٢-١٤).

الكلمة اليونانية المترجمة "تظلموا" هنا هي (*diaseio*) ومعناها الحرفي هو "يهز بعنف"[١]. تصيغ ترجمة كينج جيمس الكلمة بمعني (*do violence to*) أي "يعامل بعنف أو بقسوة". يرد النص في ترجمة كينج جيمس على النحو التالي: (*And the soldiers likewise demanded of him, saying, And what shall we do? And he said unto them, Do violence to no man, neither accuse any falsely; and be content with your wages*) أي "وسأله الجنود أيضًا: وماذا نفعل نحن؟ فقال لهم: لا تعاموا أحدًا بقسوة ولا تتهموا أحد زورًا واكتفوا بما تأخذون من أجور." وعليه ربما كان يوحنا يخبر الجنود ألا يهاجموا أو يقتلوا الآخرين.

لكن بغض النظر عن كيفية صياغة كلمة (*diaseio*) يظل يوحنا المعمدان نبيًا ينتمي للنظام القديم وليس الجديد، فهو لم يكن حتى مواطنًا في الملكوت. نقول هذا بناء على ما قاله يسوع للتلاميذ: «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ وَلَكِنَّ الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ» (متى ١١: ١١). وقال أيضًا: «كَانَ النَّامُوسُ وَالأَنْبِيَاءُ إِلَى يُوحَنَّا. وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ يُبَشَّرُ بِمَلَكُوتِ اللهِ وَكُلُّ وَاحِدٍ يَغْتَصِبُ نَفْسَهُ إِلَيْهِ» (لوقا ١٦: ١٦).

باختصار كان يوحنا رائدًا يمهد الطريق ليسوع. وعلى الرغم من أن رسالته عن التوبة ألقت الضوء على الكثير من الأمور التي بشر بها يسوع، إلا أنه كان أخر نبي

يهودي وليس أول نبي مسيحي، فالله لم يرسل يوحنا كي يشرح بشارة الملكوت.

ماذا عن قائد المائة الروماني؟ يسوع لم يخبره أن يترك الجيش. أو ماذا عن كرنيليوس؟ لا يخبرنا الكتاب المقدس إنه ترك الجيش بعد إيمانه.

دعونا أولاً نلقي نظرة سريعة على النص الذي يتعلق بقائد المئة: «وَلَمَّا دَخَلَ يَسُوعُ كَفْرَنَاحُومَ جَاءَ إِلَيْهِ قَائِدُ مِئَة يَطْلُبُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ: «يَا سَيِّدُ غُلاَمِي مَطْرُوحٌ فِي الْبَيْتِ مَفْلُوجًا مُتَعَذِّبًا جِدًّا». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا آتِي وَأَشْفِيهِ». فَأَجَابَ قَائِدُ الْمِئَةِ: «يَا سَيِّدُ لَسْتُ مُسْتَحِقًّا أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي لَكِنْ قُلْ كَلِمَةً فَقَطْ فَيَبْرَأَ غُلاَمِي. لأَنِّي أَنَا أَيْضًا إِنْسَانٌ تَحْتَ سُلْطَان. لِي جُنْدٌ تَحْتَ يَدِي. أَقُولُ لِهَذَا: اذْهَبْ فَيَذْهَبُ وَلآخَرَ: يأت فَيَأْتِي وَلِعَبْدِيَ: افْعَلْ هَذَا فَيَفْعَلُ». فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ تَعَجَّبَ وَقَالَ لِلَّذِينَ يَتْبَعُونَ: «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ لَمْ أَجِدْ وَلاَ فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَانًا بِمِقْدَارِ هَذَا. وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَّكِئُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَأَمَّا بَنُو الْمَلَكُوتِ فَيُطْرَحُونَ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ». ثُمَّ قَالَ يَسُوعُ لِقَائِدِ الْمِئَةِ: «اذْهَبْ وَكَمَا آمَنْتَ لِيَكُنْ لَكَ». فَبَرَأَ غُلاَمُهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ» (متى ٨: ٥-١٣).

الحقيقة هي أن يسوع لم يذكر شيء هنا عن وظيفة الرجل لا بالسلب ولا بالإيجاب. ما يركز عليه النص ليس هو كون الرجل قائد مئة بل كونه أمميًا. ولهذا قال يسوع: «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ لَمْ أَجِدْ وَلاَ فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَانًا بِمِقْدَارِ هَذَا» (لوقا ٨: ١٠). أنبأت هذه القصة بحقيقة أن الأمم سيكونون أكثر استجابة للبشارة من إسرائيل.

لقد كان لقاء يسوع مع قائد المائة الروماني مثل لقاؤه مع السامرية. كانت المرأة تعيش مع رجل ليس زوجها. إلا أن يسوع لم يقل لها أن تتركه. أليس كذلك؟ هل معنى هذا أن يسوع كان يوافق على أن يعيش رجل وامرأة معًا دون زواج؟

أما بالنسبة لكرنيليوس، فلم يذكر الكتاب أي شيء مما فعله بعد إيمانه. وليس هناك دليل على أنه استمر في حمل السيف بعد أن أصبح مسيحيًا.

في الواقع نادرًا ما يذكر الكتاب المقدس أي شيء مما فعله المؤمنون الجدد بعد إيمانهم. أعتقد أن أغلبنا يفترض أنه إن كان أحد منهم منخرطًا في وظيفة لا تتفق مع تعاليم الكتاب المقدس فقد غير سبيل عيشه بعد إيمانه. على سبيل المثال هناك الكثير من النساء الباغيات اللاتي آمن بيسوع. من البديهي أنهن تركن البغاء بعد إيمانهن مع أن الكتاب المقدس لا يذكر شيء عن هذا (متى ٢١: ٣١، ٣٢).

لكن ألم يضرب يسوع الصيارفة في الهيكل بالسوط وأجبرهم على الخروج من الهيكل؟

دعونا نقرأ الرواية: «وَكَانَ فِصْحُ الْيَهُودِ قَرِيبًا فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَوَجَدَ فِي الْهَيْكَلِ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ بَقَرًا وَغَنَمًا وَحَمَامًا وَالصَّيَارِفَ جُلُوسًا. فَصَنَعَ سَوْطًا مِنْ حِبَالٍ وَطَرَدَ الْجَمِيعَ مِنَ الْهَيْكَلِ اَلْغَنَمَ وَالْبَقَرَ وَكَبَّ دَرَاهِمَ الصَّيَارِفِ وَقَلَّبَ مَوَائِدَهُمْ. وَقَالَ لِبَاعَةِ الْحَمَامِ: «ارْفَعُوا هَذِهِ مِنْ هَهُنَا. لاَ تَجْعَلُوا بَيْتَ أَبِي بَيْتَ تِجَارَةٍ»» (يوحنا ٢: ١٣-١٦).

ما أو من الذي ضربه يسوع بالسوط؟ لا يقول النص شيئًا عن هذا. أليس كذلك؟ عادة ما تتبع الغنم راعيها، وعليه كيف كان يسوع سيخرج الغنم والثيران من ساحة الهيكل (بعد أن طرد أصحابها من الهيكل)؟ لم يكن في الأمر معجزة (إذ لم يختر يسوع أن يقوم بمعجزة في هذه المناسبة) وبالتالي الطريقة الأكثر معقولية هنا هو أن يخرج تلك الحيوانات باستخدام السوط. ليس هناك أي دليل على الإطلاق يقول إن يسوع استخدم السوط ضد أي إنسان.

ومع ذلك يلقي هذا النص الضوء على مبدأ اللامقاومة. أوضح يسوع أنه عندما يكون الشخص مسالمًا فهذا لا يعني ألا يكون حازمًا وألا يُفصح عن رفضه

للخطية. بالطبع كان ليسوع وهو ابن الله سلطة أكثر مما لي ولك. لم يقم الرسل أبدًا بطرد الصيارفة من الهيكل.

ربما كانت تعاليم يسوع عن اللامقاومة هي تعاليم وقتية؟ ألم يخبر تلاميذه فيما بعد أن يبتاعوا سيوفًا؟

النص المقصود هنا يرد في لوقا ٢٢: ٣٥، ٣٦: "ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «حِينَ أَرْسَلْتُكُمْ بِلاَ كِيسٍ وَلاَ مِزْوَدٍ وَلاَ أَحْذِيَةٍ هَلْ أَعْوَزَكُمْ شَيْءٌ؟» فَقَالُوا: «لاَ». فَقَالَ لَهُمْ: «لكِنِ الآنَ مَنْ لَهُ كِيسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمِزْوَدٌ كَذلِكَ. وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفًا."

من السهل أن نتخيل كيف يمكن لأي شخص أن يري في هذا النص تناقضًا مع تعاليم يسوع السابقة عن اللامقاومة. لكن عندما نقرأ بقية الإصحاح سندرك عدم وجود أي تناقض. بعد أن يخبر يسوع تلاميذه أن يشترى كلاً منهم سيفًا، يقول لهم: "لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ فِيَّ أَيْضًا هذَا الْمَكْتُوبُ: وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ. لأَنَّ مَا هُوَ مِنْ جِهَتِي لَهُ انْقِضَاءٌ»" (لوقا ٢٢: ٣٧). وهكذا شرح يسوع كلامه. كان الهدف من السيوف هو إتمام النبوءة الواردة في إشعياء ٥٣: ١٢ والتي تقول إن يسوع سيحصى مع أثمة.

العدد التالي يوضح الأمر أكثر: "فَقَالُوا: «يَا رَبُّ هُوَذَا هُنَا سَيْفَانِ». فَقَالَ لَهُمْ: «يَكْفِي!»" (لوقا ٢٢: ٣٨). بالطبع لم يكن يسوع يخبر رسله أن يعدوا أنفسهم لصراع مسلح إذ أن سيفان لا يكفيان للدفاع عن اثنا عشر شخص لكنهما يكفيان لإتمام نبوءة العهد القديم.

بقية نص إنجيل لوقا الذي يتناول القبض على يسوع يوضح الأمر أكثر وأكثر: "فَلَمَّا رَأَى الَّذِينَ حَوْلَهُ مَا يَكُونُ قَالُوا: «يَا رَبُّ أَنَضْرِبُ بِالسَّيْفِ؟» وَضَرَبَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذْنَهُ الْيُمْنَى. فَقَالَ يَسُوعُ: «دَعُوا إِلَى هذَا!» وَلَمَسَ أُذْنَهُ وَأَبْرَأَهَا" (لوقا ٢٢: ٤٩-٥١). هكذا لم يسمح يسوع لتلاميذه

باستخدام السيفين للدفاع عن أنفسهم بل وأصلح الشر الذي ارتكبوه بهما.

استخدم يسوع حادثة السيف هذه ليعلمنا درس يعطينا من خلاله مثال عملي. كانت أبشع جريمة في تاريخ البشرية على وشك أن تقع. ابن الله البار كان على وشك أن يُقبض عليه ظلمًا وغدرًا ثم يُعذب ويُقتل. لو كان هناك وقت على المسيحيين أن يحملوا السيف فيه فقد كان هو ذلك الوقت بكل تأكيد. إلا أن يسوع لم يسمح لتلاميذه باستخدام السيف دفاعًا عنه أو عن أنفسهم. كان هذا هو ما قصده بالضبط حين أخبرهم ألا يقاموا الشر. لقد اتبع نفس المبدأ حتى حين كانت جريمة الجرائم تُرتكب.

تضيف رواية متى نقطة إضافية بشأن ما قاله يسوع لبطرس: «فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: "رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ! أَتَظُنُّ أَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ الآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَى أَبِي فَيُقَدِّمَ لِي أَكْثَرَ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ؟"» (متى ٢٦: ٥٢-٥٣). عندما يريد الله أن يحمينا فملائكته تكفي. علق ترتيليان على هذا الموقف قائلاً: "عندما جرد الرب بطرس من سلاحه، جرد كل جندي أيضًا من سلاحه."[٢]

ما الذي قصده يسوع بقوله: «مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيعُهَا وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا» (متى ١٠: ٣٩)؟ لو وضعنا ثقتنا في الجيوش العسكرية وفي قوة هذا العالم فسنهلك في النهاية بسبب هذه الثقة.

لا نقرأ بعد هذه الحادثة أن تلاميذ يسوع امتلكوا سيوفًا أو حاربوا كي يدافعوا عن أنفسهم. يرسم لنا سفر الأعمال صورة مفصلة عن سلمية الرسل وغيرهم من المسيحيين. كان المسيحيون مضطهدين من عامة الناس ومن السلطات اليهودية ومن الحكام الأمميين. إلا أنه لا توجد حادثة واحدة أظهروا فيها أدنى مقاومة مادية. لم يدافع استفانوس عن نفسه أمام الشعب الذي قبض عليه. وحتى عند موته

أظهر محبة لأعدائه قائلاً: "يَا رَبُّ لاَ تُقِمْ لَهُمْ هَذِهِ الْخَطِيَّةَ" (أعمال ٧: ٦٠).

يخبرنا سفر الأعمال أنه بعد موت استفانوس مباشرة: «حَدَثَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ اضْطِهَادٌ عَظِيمٌ عَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ» (أعمال ٨: ١) فما الذي فعله تلاميذ يسوع؟ هل تسلحوا وحاربوا مدافعين عن أنفسهم؟ لا، بل يخبرنا لوقا قائلاً: «فَتَشَتَّتَ الْجَمِيعُ فِي كُوَرِ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ مَا عَدَا الرُّسُلَ» (لوقا ٨: ١). الفعل الوحيد الذي أجازه يسوع لتلاميذه ردًا على الاضطهاد هو الهرب. وهذا هو ما فعلوه.

دوام تعاليم يسوع

في نهاية الموعظة على الجبل التي تحتوي على الكثير من قوانين الملكوت يقول يسوع لسامعيه: «فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا أُشَبِّهُهُ بِرَجُلٍ عَاقِلٍ بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ. ٢٥فَنَزَلَ الْمَطَرُ وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ وَوَقَعَتْ عَلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ فَلَمْ يَسْقُطْ لأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّسًا عَلَى الصَّخْرِ» (متى ٧: ٢٤، ٢٥).

عندما نفكر في الصخر كأساس فنحن إنما نفكر في الاستمرارية والبقاء. استمر ناموس موسى لمدة ١٥٠٠ سنة لكنه تُمم في النهاية، وهكذا ظهر أنه وقتي. أما تعاليم يسوع فباقية ومستمرة، وإلا ما وصفت بالصخرة. لو أن يسوع أو تلاميذه قاموا بإبطال تعاليمه في غضون سنوات قليلة من نشرها ما كانت هذه التعاليم لتكون صخرة. تعاليم يسوع لا تتغير وهي تنطبق علينا حرفيًا وكليًا تمامًا كما انطبقت حرفيًا وكليًا على سامعي يسوع الأوائل.

استشهد هنا ثانية بالآية التي أوردتها أعلاه من عبرانيين ١٣: ٨ «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ.»

١١

ماذا عن ممالك العالم؟

تحدثت كثيرًا عن ملكوت الله وقليلاً جدًا عن ممالك العالم. لذلك دعونا نتحدث عنها قليلاً.

في الواقع يكشف الكتاب المقدس القليل عن هيمنة الله على ممالك العالم. في العهد القديم نري تعاملات الله مع الممالك التي كان لها علاقات مع إسرائيل مثل مصر وأشور وبابل. إلا أنه يذكر القليل جدًا أو لا شيء تقريبًا عن الممالك الأخرى في ذلك الوقت كتلك التي كانت في الصين والهند واليابان وأفريقيا والأمريكتين.

يمكننا القول إن الله أقام الإمبراطورية الرومانية كي يجعل انتشار المسيحية عبر عالم البحر المتوسط أسهل، حيث شيد الرومانيون طرقًا جيدة في كل الإمبراطورية وجعلوا البحر المتوسط آمنًا للسفر. لكن لماذا قامت سلالة الهان الحاكمة في الصين، أو الأزتيك في المكسيك، أو سلالة سونجا الحاكمة في الهند، أو لماذا أُنزل حكام الموريا (*Mauryan*) من على العرش هناك؟ لا نعرف. الحقيقة هي أننا نعرف القليل جدًا عن هيمنة الله على ممالك العالم. ولا يمكننا القول بأن انتصار أمة ما في الحرب تدل على تصديق الله على قيامها كأمة.

ومع ذلك يكشف الكتاب المقدس عن خمسة مبادئ تتعلق بهيمنة الله على ممالك العالم وهي:

- الله يسيطر سيطرة كاملة على ممالك العالم
- يستمد كل الحكام الأرضيين سلطتهم من الله
- مراقبة الله لممالك الأرض هي منفصلة ومتميزة عن سلطانه على ملكوته
- كل ممالك الأرض وقتية زائلة
- يتداخل الشيطان بشكل كبير في ممالك العالم

١- الله يسيطر سيطرة كاملة على ممالك العالم: أُعلنت هذه الحقيقة للملك نبوخذ نصر بصورة قوية عندما أخذ الله منه سلامة عقلة، وملكه لفترة مؤقتة. يشرح الكتاب المقدس لماذا فعل الله هذا الأمر: «لِتَعْلَمَ الأَحْيَاءُ أَنَّ الْعَلِيَّ مُتَسَلِّطٌ فِي مَمْلَكَةِ النَّاسِ فَيُعْطِيهَا مَنْ يَشَاءُ وَيُنَصِّبُ عَلَيْهَا أَدْنَى النَّاسِ» (دانيال ٤: ١٧).

هذا يعني أن الله له كامل السيطرة على ممالك العالم. لذلك لا يخاف مسيحيو الملكوت من كل هتلر في هذا العالم، إذ أن الله لا يترك شرورهم بلا ضابط. يمكن لمثل هؤلاء أن يحكموا لوقت طالما أن الله هو الذي يسمح بذلك. يعرف المسيحيون الذين يؤمنون حقًا بأن الله هو المتسلط أن الصلاة هي أكثر الأسلحة فاعلية ضد الشر.

٢- يستمد كل الحكام الأرضيين سلطتهم من الله: عندما أخبر بيلاطس يسوع أن له القوة بأن يصلبه أجابه يسوع: «لَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيَّ سُلْطَانٌ الْبَتَّةَ لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدْ أُعْطِيتَ مِنْ فَوْقُ» (يوحنا ١٩: ١١). أو كما قال بولس: «لأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلاَّ مِنَ اللهِ وَالسَّلاَطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرَتَّبَةٌ مِنَ اللهِ» (رومية ١٣: ١).

هذا يعني أن ممالك البشر لها سلطة شرعية معطاة من الله. لكن لماذا أعطاها الله هذه السلطة؟ يجيب بولس عن هذا السؤال بقوله: «فَإِنَّ الْحُكَّامَ لَيْسُوا خَوْفًا لِلأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بَلْ لِلشِّرِّيرَةِ. أَفَتُرِيدُ أَنْ لاَ تَخَافَ السُّلْطَانَ؟ افْعَلِ

الصَّلاَحَ فَيَكُونَ لَكَ مَدْحٌ مِنْهُ لأَنَّهُ خَادِمُ اللهِ لِلصَّلاَحِ! وَلَكِنْ إِنْ فَعَلْتَ الشَّرَّ فَخَفْ لأَنَّهُ لاَ يَحْمِلُ السَّيْفَ عَبَثًا إِذْ هُوَ خَادِمُ اللهِ مُنْتَقِمٌ لِلْغَضَبِ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُ الشَّرَّ» (رومية ١٣: ٣، ٤).

وعليه نقول إن الله أعطى السلطان لممالك البشر بسبب شر الإنسان. وحتى الحكام الأشرار هم دائمًا أفضل من الفوضى. في الحرب الأخيرة ضد العراق، لاقت قوات صدام حسين هزيمة سريعة على يد قوات التحالف الغربية. لكن كان هناك عدة أيام بين سقوط حكومة صدام حسين وتأسيس قوات الاحتلال الأمريكية لحكومة مؤقتة في بغداد عاصمة العراق. في تلك الأيام القليلة عمت الفوضى وانتشرت، حيث نُهبت المحال التجارية واحد تلو الأخر وسرقت العصابات المسلحة السيارات ونفذ الناس أحكام الثأر في أعدائهم. لكن بقدر ما كان نظام صدام حسين شريرًا بقدر ما كان أفضل من عدم وجود حكومة على الإطلاق.

عندما كتب بولس أن الحاكم هو "خادم الله" كان الشخص الذي يحكم الإمبراطورية الرومانية هو نيرون الذي كان شريرًا بكل معنى الكلمة. قد توحي الترجمة الإنجليزية لتعبير "خادم الله" وهي (*God's minister*) بأن بولس كان يقصد أن الحاكم هو في شركة مع الله أو حتى أنه نصيرًا لله. لكن بالنظر لشخص نيرون ندرك أنه لم يكن يقصد ذلك على الإطلاق. الكلمة اليونانية التي استخدمها بولس والمترجمة في الإنجليزية (*minister*) هي "دياكونوس" (*diakonos*) ومعناها الشائع في اليونانية هو "خادم" (كما في الترجمة العربية). أي أن بولس لا يقول إن الحاكم وكيلاً لله باختياره بل يقول إن الحاكم هو خادم الله لأن الله هو السيد.

لا يعترف الكثير من الحكام والملوك مثل نيرون بسلطان الله عليهم. بل وعملوا في أغلب الأوقات ضد الله وشعبه. تنطبق هذه الحقيقة على أيام

إسرائيل القديمة كما تنطبق على الأيام منذ يسوع. دائمًا ما يحاول الحكام ممارسة سلطة أكبر من الممنوحة لهم من قبل الله، إذ هم لا يرضون أبدًا بما هو "لقيصر" بل يريدون أيضًا ما هو "لله".

٣- مراقبة الله لممالك الأرض هي منفصلة ومتميزة عن سلطانه على ملكوته: شرح يسوع هذه الحقيقة لبيلاطس عندما قال له: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلَكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا» (يوحنا ١٨: ٣٦).

كل الممالك الأرضية هي "من هذا العالم" وهذا يجعلها مختلفة عن بل ومتعارضة مع ملكوت الله. لا يمكن أبدًا لأي مملكة أرضية أن تكون شريكًا لملكوت الله، إذ أنهما يختلفان تمامًا في الجوهر والأساس. محاولة دمج أحد ممالك العالم مع ملكوت الله تشبه محاولة دمج طين الفخار بالبلاستيك. هاتان مادتان يستحيل الدمج بينهما إذ أن طبيعتهما تختلفان تمامًا.

يخلط المسيحيون الأمريكيون المؤمنون بالكتاب المقدس بين وطنيتهم ومسيحيتهم ويعتقدون أن الولايات المتحدة هي نوعًا ما في شراكة مع ملكوت الله. يتحدث هؤلاء عن أمريكا باعتبارها "أمة مسيحية" هذا في حين أن الولايات المتحدة هي واحدة من ممالك العالم مثلها مثل فرنسا وألمانيا والصين. يمكن للولايات المتحدة أن تطبع على عملتها عبارة "نثق في الله". إلا أنها لا تثق في الله بل تثق في جيوشها ودباباتها وصواريخها.

٤- كل ممالك العالم وقتية زائلة: توضح لنا نبوءة دانيال التضاد بين طبيعة ملكوت الله وممالك العالم: «وَفِي أَيَّامِ هَؤُلاَءِ الْمُلُوكِ يُقِيمُ إِلَهُ السَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لَنْ تَنْقَرِضَ أَبَدًا وَمَلِكُهَا لاَ يُتْرَكُ لِشَعْبٍ آخَرَ وَتَسْحَقُ وَتُفْنِي كُلَّ هَذِهِ الْمَمَالِكِ وَهِيَ تَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ» (دانيال ٢: ٤٤). لا يقول دانيال أن ملكوت الله

سيندمج مع اثنين أو أكثر من ممالك العالم، ولا يقول إن بعض ممالك العالم كانت في شراكة مع ملكوت الله، بل يقول إن ملكوت الله سيسحق كل ممالك الأرض ويفنيها. وهذا يتضمن الولايات المتحدة. ممالك الأرض مجرد كيانات وقتيه مصيرها إلى الدمار والزوال.

٥- **وأخيرًا علينا أن نتذكر دائمًا أن إبليس متداخل إلى حد كبير في ممالك العالم**: تتضح هذه الحقيقة من الطريقة التي سلكت بها هذه الممالك على مر القرون. إلا أنها تتضح أكثر وبطريقة مباشرة في كلمات إبليس ليسوع وهو يجربه: «ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جِدًّا وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا وَقَالَ لَهُ: "أُعْطِيكَ هَذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي". حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: "اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ"» (متى ٤: ٨-١٠).

من المهم أن نلاحظ هنا أن يسوع لم يناقش أمر سلطة إبليس في إعطائه كل ممالك العالم. ما كان حديث إبليس مع يسوع ليكون تجربة له لو أن إبليس يقدم له شيئًا لا يستطيع أن يعطيه. في الواقع يشير يسوع إلى إبليس على أنه «رئيس هذا العالم» (يوحنا ١٢: ٣١). كما كشفت نبؤات دانيال قبل ميلاد المسيح بقرون عن أن الممالك الأرضية تسيطر عليها قوات روحية شريرة (دانيال ١٠: ١٣-٢٠).

بالطبع لا يمكن أن يكون لإبليس سلطان على حكومات العالم لو لم يسمح الله له بذلك. كما أن السلطة التي لممالك العالم ممنوحة لهم من الله وليس من إبليس. إلا أن ممالك العالم تتبع طريق إبليس وليس طريق الله.

١٢

الحياة في ظل مملكتين

ليس بالأمر السهل أن يكون الشخص مواطنًا في ملكوت الله. وما يجعل الأمر صعبًا بصفة خاصة هو أن ملكوت الله على عكس الممالك الأرضية ليس له نطاق جغرافي محدد. وعليه يحيا مواطنوه دائمًا في ظل حكومتين: ملكوت الله وأحد ممالك العالم. والآن أي مملكة على المسيحي أن يطيع؟

لا يختلف الأمر عن وضع مواطن أمريكي يعيش في دولة أجنبية. لنتخيل أن جو مواطنًا أمريكيًا كان عليه أن ينتقل إلى ألمانيا ويعمل هناك. هل كونه مواطنًا أمريكيًا يعفيه من إطاعة قوانين ألمانيا؟ بالطبع لا. لو خالف جو قوانين المرور الألمانية، فلن يُعفي من العقاب لأنه أجنبي. ولو سرق بنك فسيُحاكم ويُعاقب ويُسجن طبقًا للقوانين الألمانية. وعلى الرغم من أن جو مواطنًا أمريكيًا، إلا أنه عندما يعمل في ألمانيا سيكون عليه دفع الضرائب الألمانية.

في الوقت عينه، يتمتع جو الأمريكي بالكثير من الحقوق بحسب القانون الألماني على الرغم من أنه أجنبي. على سبيل المثال، يتمتع جو بحماية الشرطة كأي مواطن ألماني. ويمكنه أن يتظلم أمام القضاء الألماني. ولو عمل في ألمانيا فسيتمتع بحماية شروط السلامة في مكان العمل مثله مثل أي مواطن ألماني.

لا يختلف موقفنا كمواطنين في ملكوت الله عن موقف جو، إذ على الرغم من

كوننا مواطنين في الملكوت إلا أنه علينا أن نطيع قوانين البلد التي نحيا فيها. يصرح الكتاب المقدس بهذه الحقيقة بكل وضوح: «فَاخْضَعُوا لِكُلِّ تَرْتِيبٍ بَشَرِيٍّ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ. إِنْ كَانَ لِلْمَلِكِ فَكَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْكُلِّ، أَوْ لِلْوُلاَةِ فَكَمُرْسَلِينَ مِنْهُ لِلانْتِقَامِ مِنْ فَاعِلِي الشَّرِّ، وَلِلْمَدْحِ لِفَاعِلِي الْخَيْرِ. لأَنَّ هكَذَا هِيَ مَشِيئَةُ اللهِ أَنْ تَفْعَلُوا الْخَيْرَ فَتُسَكِّتُوا جَهَالَةَ النَّاسِ الأَغْبِيَاءِ» (١ بطرس ٢: ١٣-١٥).

كما أننا ونحن مواطنون في ملكوت الله لا ننظر إلى الحكومات الأرضية على أنها قوات معادية وغير شرعية. هذا لأننا ندرك أن ممالك العالم إنما تستمد سلطتها من الله. يوضح الكتاب المقدس هذه الحقيقة بقوله: «لِتَخْضَعْ كُلُّ نَفْسٍ لِلسَّلاَطِينِ الْفَائِقَةِ لأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلاَّ مِنَ اللهِ وَالسَّلاَطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرَتَّبَةٌ مِنَ اللهِ حَتَّى إِنَّ مَنْ يُقَاوِمُ السُّلْطَانَ يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللهِ وَالْمُقَاوِمُونَ سَيَأْخُذُونَ لأَنْفُسِهِمْ دَيْنُونَةً» (رومية ١٣: ١، ٢).

إن واحدة من المفارقات الظاهرية المتعلقة بكون الشخص مواطنًا في الملكوت هي أن عليه إطاعة القيصر أولاً حتى يكون مطيعًا للمسيح. في واقع الأمر، مواطنو الملكوت يكونون أكثر حرصًا على إطاعة قوانين الحكومات الأرضية من الذين يتمتعون بجنسية أرضية فقط.

التعارض بين مملكتين

دعونا نعود إلى قصة جو الأمريكي الذي يعيش في ألمانيا. ماذا لو كان هناك تعارض بين قوانين ألمانيا وقوانين أمريكا؟ على سبيل المثال، ماذا لو كان على جو كي يكون مطيعًا للقانون الألماني أن يكون خائنًا لأمريكا؟ في موقف مثل هذا، على جو أن يقرر أين يريد أن يظل مواطنًا. لأنه حين يكون هناك تعارض، لن يكون بمقدوره أن يطيع حكومتين. هنا عليه أن يختار.

دعونا – كي نوضح الأمر – نفترض أن ألمانيا دخلت في حرب مع الولايات المتحدة. هل يكون من حق الولايات المتحدة أن تجند جو في جيشها على الرغم من أنه يعيش في أرض غريبة؟ نعم بكل تأكيد. هل من سلطة ألمانيا أن تجند جو في جيشها على الرغم من أنه ليس مواطنًا ألمانيًا. نعم لها هذه السلطة. هل من حق جو أن يسمح لنفسه بأن يُجند إلزاميًا في الجيش الألماني ويقسم القسم العسكري لألمانيا؟ لا، ليس من حقه لو أراد أن يظل مواطنًا أمريكيًا، إذ لا يمكنه أن يخدم سيدين. سيكون عليه إذًا أن يقرر أيًا من الحكومتين يريد أن تكون سيده الأوحد وأيًا منهما سيكون لها مجرد طاعة نسبية.

إعطاء ما لله لله

يتخيل البعض عند قراءة رومية ١٣ أن الحكومات الأرضية التي نعيش تحت ظلها لها سلطة مطلقة علينا. يعتقد هؤلاء أننا ندين بولائنا وحياتنا للأمة التي نحيا بها. إلا أن الكتاب المقدس لا يقول هذا.

علينا ألا ننسى أبدًا إجابة يسوع للفريسيين والهيرودسيين عندما سألوه عن شرعية دفع الضرائب لقيصر. قال لهم يسوع: «أَعْطُوا إِذًا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلّٰهِ لِلّٰهِ» (متى ٢٢: ٢١).

لنلاحظ هنا أن الفريسيين والهيرودسيين لم يسألوا يسوع عن الله بل سألوه فقط عن الضرائب. لكن عندما ذكر يسوع الله في إجابته بين مدي ضيق أفق سائليه. كانت قلوبهم وأبصارهم مثبتة على أمور العالم وليس على أمور الأبدية. جاءت إجابة يسوع لتؤكد على وجوب دفعهم الجزية لقيصر. لماذا؟ لأن صورته كانت منقوشة على عملاتهم. لم يسك الله هذه العملات لكن قيصر هو من سكها وعليه يجب إعطاؤه ما يخصه.

لكن ماذا عنا نحن البشر؟ صورة من مطبوعة علينا؟ هل هي صورة قيصر؟ لا بكل تأكيد. الله خلقنا على صورته ونحن ننتمي إليه. وعليه الله وحده هو من له الدعوة العليا في حياتنا. لقيصر سلطان فقط على الأشياء التي أوجدها، وهو لم يوجد لا أجسادنا ولا أرواحنا وبالتالي لا سلطان له على كليهما.

يخبرنا بولس في رومية ١٣ أن نخضع للسلاطين الفائقة أو السلطات الحاكمة. لكنه يكمل محددًا مناحي هذا الخضوع الذي يتحدث عنه: «فَأَعْطُوا الْجَمِيعَ حُقُوقَهُمُ: الْجِزْيَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِزْيَةُ. الْجِبَايَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِبَايَةُ. وَالْخَوْفَ لِمَنْ لَهُ الْخَوْفُ. وَالإِكْرَامَ لِمَنْ لَهُ الإِكْرَامُ. لاَ تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلاَّ بِأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا لأَنَّ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ فَقَدْ أَكْمَلَ النَّامُوسَ» (رومية ١٣: ٧-٨).

لنلاحظ أن مناحي الخضوع التي يحددها بولس هنا جميعها أمور أرضية: الجزية والجباية (أي الضريبة المفروضة على البضائع المستوردة) والخوف والإكرام. وهذه كلها أمور في نطاق قيصر. ومن الملاحظ أيضًا أن بولس لم يورد الخدمة العسكرية كأحد الأمور التي ندين فيها للسلطات الحاكمة بالخضوع.

ذكرت فيما سبق أن أغلب الحكومات الأرضية لا تكتفي بما لقيصر بل وتطالب أيضًا بما لله. تعتقد هذه الحكومات أن لها الحق في الحصول على الولاء المطلق غير المحدود من كل مواطنيها. بل وتعتقد أنها تمتلك حياة مواطنيها وأرواحهم إلى حد كبير. لكن وكما سأل ترتيليان: "ماذا سيتبقى لله لو أخذ قيصر كل هذه الأشياء أيضًا؟"[١]

حقًا، ماذا ترك معظم المسيحيين لله؟ لقد خاطروا بحياتهم وأعطوا أموالهم وشبابهم وأرواحهم وولائهم غير المحدود لقيصر. ماذا تركوا من أجل ملكوت المسيح؟ لا شيء سوى بعض الفتات – عشورهم وبضعة ساعات من وقتهم كل أسبوع، معتقدين أن يسوع سيقبل بهذا.

عندما يطالب قيصر بما لله

ماذا نفعل إذًا عندما تتعارض قوانين قيصر مع قوانين الله؟ حينها نكون في نفس موقف جو الأمريكي في مثالنا. على جو أن يقرر لمن سيكون ولائه المطلق: ألمانيا أم الولايات المتحدة؟ إذ لا يمكن أن يكون ولائه المطلق للدولتين معًا. وبالمثل على مواطني الملكوت أن يقرروا أية مملكة ستفوز بولائهم المطلق: ملكوت الله أم مملكة قيصر؟

مر الرسل بهذا الامتحان عينه. كان يسوع قد أمرهم بأن يكرزوا ببشارة الملكوت. إلا أن السلطات اليهودية ألقت القبض عليهم وأمرتهم بألا يبشروا باسم يسوع ثانية. لم تكن تلك السلطات اليهودية سلطة حكومية مغتصبة للحكم، بل كانت تضم رئيس الكهنة ومنصبه هذا مؤسس من قبل الله. كما كانت الحكومة الرومانية تصدق على سلطتهم فيما يتعلق بأمور الديانة اليهودية.

لكن لم يغير كل هذا من موقف الرسل. أخذ الرسل أوامرهم من يسوع الذي اعترفوا به كملك عليهم وله أعطوا ولائهم بالكامل. وعليه أجابوا السلطات اليهودية: «إِنْ كَانَ حَقًّا أَمَامَ اللهِ أَنْ نَسْمَعَ لَكُمْ أَكْثَرَ مِنَ اللهِ فَاحْكُمُوا. لأَنَّنَا نَحْنُ لاَ يُمْكِنُنَا أَنْ لاَ نَتَكَلَّمَ بِمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا» (أعمال ٤: ١٩، ٢٠). وبعدها انطلق الرسل مباشرة إلى الشوارع مواصلين تبشيرهم.

ثم ما لبثت السلطات أن دعتهم ثانية قائلة لهم: «أَمَا أَوْصَيْنَاكُمْ وَصِيَّةً أَنْ لاَ تُعَلِّمُوا بِهذَا الاِسْمِ؟ وَهَا أَنْتُمْ قَدْ مَلأْتُمْ أُورُشَلِيمَ بِتَعْلِيمِكُمْ وَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْلِبُوا عَلَيْنَا دَمَ هذَا الإِنْسَانِ. فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَالرُّسُلُ: يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ» (أعمال ٥: ٢٨، ٢٩).

ما الذي نتعلمه من مثال الرسل هذا؟ علينا أن نتعلم أنه لو أردنا أن نكون مواطنين في ملكوت الله وأن نظل مواطنين به فيجب أن يكون ولاؤنا الأول له. يجب ألا نتردد بشأن من ينبغي أن نطيع عندما تتعارض وصايا ملكنا السماوي

مع قوانين الحكام الأرضيين. يجب أن تكون إجابتنا الدائمة هي: ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس. لو أردنا أن نكون مواطنين في ملكوت الله، فعلينا أن نعترف بأنه المملكة المهيمنة.

إن العلاقة بين ممالك العالم والله تشبه العلاقة بين شركة ما والدولة. الشركة توجد بقوة الدولة. وما لها من سلطة هو لها فقط لأن الدولة منحتها لها. لكن هل هذا يعني أن تصادق الدولة على كل شيء تفعله الشركة؟ بالطبع لا.

وهل هذا يجعل من الشركة شريكًا للدولة؟ بالطبع لا. ومع ذلك لأن الدولة هي التي منحت الشركة سلطتها، على موظفي الشركة أن يطيعوها طالما يعملون بها.

إلا أن هذه الطاعة هي طاعة نسبية. لو أمرت الشركة موظفيها بفعل شيء غير قانوني فإن الدولة تتوقع منهم ألا يطيعوا الشركة وإلا ستقع عليهم المسؤولية الجنائية. حقيقة أن الشركة هي التي أمرتهم بفعل هذا الشيء لن يحميهم.

وبالمثل ملكوت الله هو الطرف المهيمن عندما يكون هناك تعارض بين قوانين الله وقوانين الإنسان. يجب أن تخضع قوانين الإنسان لقوانين الله وليس العكس. لن يغفر يسوع عدم طاعة قوانينه بسبب حاكم أرضي متعجرف يأمر رعاياه بإتيان شيء منعه هو.

كذلك تشبه العلاقة بين ملكوت الله والممالك الأرضية العلاقة بين قوانين الولايات والدستور الأمريكي. لكل ولاية السلطة في وضع القوانين التي تحكم الكثير من الأمور. وعلى الأشخاص الذين يقيمون بها إطاعة هذه القوانين. لكن لو أجازت ولاية ما قانونا يتعارض مع الدستور، تكون الكلمة العليا في هذه الحالة للدستور الذي يبطل قانون الولاية. ولا يمكن للعكس أن يحدث أبدًا. كذلك قوانين الله تبطل قوانين البشر التي تتعارض معها. هذه هي أحد القواعد الأساسية لملكوت الله.

محبة الأعداء

بغض النظر عن الاضطهاد الديني، غالبًا ما تتعارض قوانين قيصر وقوانين المسيح فيما يتعلق باللامقاومة. على سبيل المثال، غالبًا ما تخبر الحكومة الأرضية شبابها أنه يجب عليهم الانخراط في القوات المسلحة وحمل السلاح وقتل أعداء الوطن. إلا أن ملكنا أوصانا بأن نحب أعدائنا لا أن نكرهم. سواء كان عدونا بوذي أو مسلم أو ملحد، لا يمكننا أن نقتله وفي الوقت نفسه ندعى أننا نحبه. وهكذا لا يمكننا أن نطيع المسيح وقيصر معًا.

ولو كانت قوانين الله تمنعنا من قتل غير المؤمنين، فكم بالحري تمنعنا من قتل أخوتنا المسيحيين. ومع ذلك في كل حرب خاضها الأمريكيون أو الأوربيون على مدار ١٧٠٠ عام مضت كان في جيوشهم وجيوش أعدائهم مسيحيون يعلنون إيمانهم. لو أن حكومة أجنبية أمرت شخص أمريكي بقتل مواطنيه من الأمريكان فسيرفض معظم الأمريكيين هذا الأمر. لكن لو أمرت حكومة أرضية شخصًا مسيحيًا بمحاربة وقتل رفاقه المسيحيين، فسيقبل معظم المسيحيين بهذا الأمر.

لا يمكن أن يكون ولاءنا المطلق لملكين مختلفين. عندما يقتل مسيحي مواطنًا آخر في ملكوت الله فقط لأن هناك حاكم أرضى أمره بفعل هذا، فهو إنما يعترف أن ولائه المطلق هو للحاكم الأرضي، ويكون بهذا قد قدم مصلحة بلده على مصلحة ملكوت الله وعلى علاقة الأخوة في المسيح.

إلا أن رفض المسيحيين لحمل السلاح لا ينطبق فقط على الحروب التي يكون طرفها الأخر مسيحي أيضًا. أمرنا يسوع أن نحب أعدائنا، ولو رفضنا أن نحمل السلاح ضد مواطني المملكة فقط، أصبحنا نشبه أهل العالم إذ هم أيضًا يرفضون حمل السلاح ضد مواطني بلادهم. الانضمام إلى ملكوت الله يعني أن نتقدم على العالم خطوة: أن نحب أعدائنا كما نحب رفقائنا.

إكرام الحكومة

في ضوء تعاليم يسوع عن اللامقاومة ومحبة الأعداء، يعتقد بعض المسيحيين خطأً أن عليهم معارضة الجنود ورجال البوليس والاستخفاف بهم. إلا أن هذا ليس هو الوضع الصحيح على الإطلاق. دائمًا ما أظهر يسوع وتلاميذه الاحترام نحو الجنود الذين تعاملوا معهم. كما يخبرنا الكتاب المقدس أن الله ائتمن حكومات هذا العالم على السيف. في حين لا يحتاج ملكوت الله إلى القوة العسكرية، تحتاج إليها حكومات هذا العالم. تعاليم يسوع هي لملكوته وهو لم يقل أبدًا أن حكومة من حكومات هذا العالم يمكنها أن تعمل بدون قوة السيف.

ولهذا السبب أحاول دائمًا أن أظهر المودة والاحترام للجنود وضباط الشرطة. كما أعتقد أن أحد مظاهر الظلم الاجتماعي في مجتمعنا هو رواتب الجنود المتدنية. يتحمل هؤلاء الجنود كل أنواع المشقات ويضحون بحياتهم من أجل مواطنيهم ومع ذلك تأتي رواتبهم في ذيل قائمة الرواتب. في عام ٢٠٠٣ كان الراتب الأساسي للجندي الأمريكي في عام الخدمة هو فقط ١٥٤٨٠ دولار أمريكي وهو راتب أعلى بقليل من راتب مرشد المتفرجين في دور السينما والذي يبلغ ١٤١٤٤ دولار وأعلي قليلاً كذلك من راتب رجال عبور الشوارع والذي يبلغ ١٥٠٨٠ دولار.[٢]

بالطبع أريد أن أري كل الجنود ملتحقين بجيش ملكوت الله بدلاً من جيوش العالم. إلا أن هذا قرار عليهم اتخاذه بأنفسهم. لكن طالما يخدمون أهل وطنهم نيابة عن الحكومة فهم يستحقون الاحترام وليس السخرية. كما يستحقون أن تدفع لهم الحكومة، رواتب تتناسب وما يقدمونه من تضحيات هم مكلفون بها.

١٣

هل أنا من هذا العالم؟

كنت قد ذكرت أعلاه كلمات يسوع لبيلاطس: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلَكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا» (يوحنا ١٨: ٣٦).

لو كان هناك شك لدي بيلاطس بشأن الطبيعة الثورية لمملكة المسيح فقد اختفى بالتأكيد بعد سماعه لهذه الكلمات. لقد كانت مملكة لن يحميها سيف ولا يمكن أن يحميها سيف. لم يكن عند بيلاطس أي مخاوف تجاه يسوع، فمملكته لن تزيح الإمبراطورية التي يخدمها عن عرشها. وإن حدث فلن يكون بسيوف أرضية على الأقل أثناء حياته. مملكة يسوع لم تكن من هذا العالم وكانت تعتمد كلية على قوى فوقية – وليس على قوة أرضية – في حمايتها.

مملكة يسوع ليست من هذا العالم ورعاياه كذلك ليسوا من هذا العالم. قبل أن يتم إلقاء القبض على يسوع بوقت قصير كان يصلي من أجل رعاياه قائلاً: «أَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ كلاَمَكَ وَالْعَالَمُ أَبْغَضَهُمْ لأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ كَمَا أَنِّي أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ الشِّرِّيرِ. لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ كَمَا أَنِّي أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ. قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كلاَمُكَ هُوَ حَقٌّ. كَمَا أَرْسَلْتَنِي إِلَى الْعَالَمِ أَرْسَلْتُهُمْ أَنَا إِلَى الْعَالَمِ» (يوحنا ١٧: ١٤-١٨).

إذًا علينا كي نكون رعايا ليسوع المسيح أن نكون "ليس من العالم". هل هذا يعني أن نعتزل على قمة جبل يصعب الوصول إليها أو نعتزل في ملاذ ما في الصحراء؟ بالطبع لا لأن يسوع أرسلنا إلى العالم. لم يرسلنا بعيدًا عن العالم بل إليه.

إن كنا مرسلين إلى العالم، كيف نتجنب أن نكون "من العالم"؟ يشرح يوحنا قائلاً: «لاَ تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلاَ الأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ. إِنْ أَحَبَّ أَحَدٌ الْعَالَمَ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الآبِ. لأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الآبِ بَلْ مِنَ الْعَالَمِ. وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ فَيَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ» (١ يوحنا ٢: ١٥-١٧).

وعليه أن نكون "ليس من العالم" يعني أن نعيش في العالم لكن أمواتًا تجاه كل ملذاته. إننا مجرد سائحون نعبر في العالم، لكن لا نجعل منه وطنًا لنا. وكما يخبرنا يوحنا أن حديثنا عن محبتنا ليسوع هو بلا معنى إن كنا نحب العالم. لن نجني شيئًا من وراء وضع ملصقات عن يسوع في سياراتنا وبيوتنا إن كنا نحب العالم لأننا إن كنا نحب العالم فنحن لا نحب يسوع.

وأيضًا كما يقول يعقوب: «أَيُّهَا الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ لِلَّهِ؟ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا لِلَّهِ» (يعقوب ٤: ٤).

لهذا السبب لم يتحدث يسوع ولا تلاميذه عن شيء مثل "أمة مسيحية." هذا التعبير هو في الواقع جمع لكلمتين متناقضتين مثل تعبير "صمت مدوٍّ." كلمة "مسيحي" هي صفة تنطبق بالضرورة على أشخاص وأمور "ليست من هذا العالم." وفي المقابل تشير كلمة "أمة" بالضرورة أيضًا إلى شيء "من هذا العالم" إلا إذا كنا نتحدث عن ملكوت الله.

يعطي الله شعبه في كل العهد الجديد تعليمات بشأن كيفية التصرف في نطاقات مختلفة من السلطة، فهو يعطي تعليمات للأزواج والزوجات، للسادة

والعبيد، للآباء والأبناء ولرعاة الكنائس ورعيتهم. لكن عندما يتعلق الأمر بالحكومات، نجد التعليمات موجهة للرعايا المسيحيين فقط وليس للحكام المسيحيين. لو أراد الله أن يكون هناك حكام مسيحيون، فلماذا لم يعطهم هم أيضًا تعليمات؟

صبغة العالم

تدّعى كل كنيسة بالطبع أنها تحب يسوع ولا تعلن أيًا منها أنها صديقة للعالم. لكن ما يؤخذ بعين الاعتبار هو ما تفعله الكنيسة وليس ما تقوله. في يوم الدينونة سيمتدحنا يسوع قائلاً: «نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ» [أي نعم الفعل] وليس "نِعمَ القول أيها العبد الصالح والأمين" (متى ٢٥: ٢١).

تستخدم العديد من البنوك حزم الصبغة الأمنية للكشف عن السارقين. لو وقعت أي سرقة يقوم موظفو البنك بوضع حزم الصبغة سرًا حول كل رزمة من المال يسلمونها للسارقين. وبعد عشر دقائق عندما يهرب اللصوص من البنك تنفجر حزم الصبغة هذه مخلفة صبغة حمراء على المال المسروق وكذلك على السارق.

وقع في مدينة ويلمنجتون بديلاوير في عام ١٩٩٩ حادث سرقة لبنك محلي. لم يكن السارق ذكيًا بما فيه الكفاية، فبعد دقائق من هروبه بقدر كبير من المال انفجرت حزم الصبغة الملفوفة حول رزم المال مخلفة صبغة على كل المال وكذلك على يده اليمنى. كان السارق قد ابتعد عن البنك بعدة بنايات قبل أن يلاحظ وجود رجل شرطة يبحث عنه. لذلك توقف واتكأ على حائط مبنى سكني واضعًا حقيبة المال خلف ظهره ويديه في جيبيه.

ظل واقفًا في مكانه رابط الجأش حين كان رجل الشرطة يجرى نحوه باحثًا عن سارق البنك. اتضح للسارق أن رجل الشرطة هو أحد معارفه الشخصيين فاخرج يده اليمني من جيبه ملوحًا له، اليد التي كان عليها الصبغة. وهذه كانت

نهاية عمله القصير كمجرم.[١]

العالم مثله مثل حزم الصبغة يترك علامة على أصدقائه. عندما يرفع أصدقاء العالم أيديهم كي يعبدوا يسوع، يري هو الصبغة الحمراء التي تركها العالم على أيديهم. ومهما كانت الكنيسة تعلى صوتها وتؤكد عكس ذلك تبقى العلامة عليها محددة هويتها.

كيف يمكننا اكتشاف أن الكنيسة التي نذهب إليها مصبوغة بصبغة العالم؟ عندما تكون الكنيسة مصبوغة بصبغة العالم نجد أن كل العادات والتوجهات والحركات الاجتماعية التي تمر بالعالم تمر بها هي أيضًا. على العكس من ذلك، يسوع «هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد»، توجهاته وقيمه ووصاياه لا تتغير أبدًا. الكنيسة التي ليست من العالم سيكون لها نفس قيم وأسلوب حياة كنيسة العهد الجديد ولن تتغير قيمها الأخلاقية كل عقد أو اثنين.

إلا أن الكنيسة الرسمية منذ عهد قسطنطين ارتبطت خطواتها بخطوات العالم. على سبيل المثال كان مقبولاً لدى الرومان أن يُحكم على الشخص بالموت حرقًا فأصبح هذا مقبولاً لدى الكنيسة أيضًا. كانت روما القديمة تري في التعذيب أفضل وسيلة للحصول على دليل من المجرم المتهم فأصبح التعذيب مقبولاً لدى الكنيسة. كان الرومان يحتقرون الكثير من الجماعات "البربرية" فأصبحت الكنيسة تحتقرهم أيضًا.

ظلت كنيسة ما بعد قسطنطين تعترف بمحبتها ليسوع المسيح، لكن يديها المذنبتين كانتا ملطختين بصبغة العالم. أحبت الكنيسة العالم فتبنت الكثير من قيمه وعاداته. وظلت الكنيسة تمارس هذه الشرور حتى أدرك العالم خطأ هذه الممارسات. على سبيل المثال لم يعد العالم يتحمل إعدام الأشخاص حرقًا توقفت الكنيسة عن ذلك. وعندما أدرك العالم أخيرًا أن التعذيب هو شر شنيع، توقفت الكنيسة عن استخدامه.

منذ خمسين عامًا في جنوب أمريكا كان أصحاب البشرة البيضاء من أهل العالم لا يتناولون الطعام في نفس المطاعم مع السود، ولا يبيتون معهم في نفس النزل، ولا يختلطون معهم اجتماعيًا في نفس القاعات العامة. هل كان للكنيسة موقف مختلف؟ لا حيث لم يختلف سلوك المسيحيين البيض عن هذا، بل وصل بهم الأمر إلى رفض الصلاة جنبًا إلى جنب مع السود. لكن اليوم البيض في الجنوب يأكلون في نفس المطاعم مع السود، ويبيتون معهم في نفس النزل، ويجلسون معهم في نفس القاعات العامة. أخيرًا اكتشف العالم أن العنصرية أمر بغيض. ولتخمن معي عزيزي القارئ ماذا حدث بعد هذا الاكتشاف؟ أدركت معظم الكنائس أن العنصرية بغيضة واليوم في معظم (وليس كل) الكنائس في الجنوب يصلي السود إلى جانب البيض. هل كان على العالم أن يتغير أولاً حتى يصبح المسيحيون البيض على استعداد لمحبة من يختلفون عنهم في لون البشرة؟ يبدو أن تعاليم يسوع لم تخترق أبدًا قلوب المسيحيين البيض في الجنوب لكن العالم نجح أخيرًا في اختراقها.

تحدثنا في فصل سابق عن الطلاق. منذ ما يقرب من ٧٥ عام كانت كل الكنائس تحرم الطلاق. أما اليوم فنادرًا ما تجد كنيسة تحرمه. ما الذي تغير؟ يسوع لم يتغير بكل تأكيد. العالم هو الذي تغير والكنيسة بيديها الملطخة بالصبغة تغيرت معه.

النسوية* *feminism* هي واحدة من أهم الحركات الاجتماعية التي ظهرت في الأربعين سنة الأخيرة. وكما أثرت النسوية في كل مؤسسة من مؤسسات العالم أثرت كذلك في الكنيسة الرسمية. وفجأة أصبحت الكنيسة تخجل مما علمه يسوع ورسله عن الجنسين. نتيجة لذلك أعادت الكنيسة تفسير كل النصوص الكتابية التي تتحدث عن الرجال والنساء.

* الحركة المنادية بالمساواة بين المرأة والرجل.

على الرغم من أن النسوية تنادي بالمساواة وتتخذ منها شعارًا لها، إلا أنها في الواقع تشجع على الكثير من المعايير المزدوجة في التعامل مع الجنسين. على سبيل المثال، لو قال أحدهم شيئًا يمكن أن يُفسر، ولو من بعيد، على أنه انتقاص من قدر المرأة – مهما كان ما قاله حق وصحيح – يتم إسكاته على الفور وتجاهله بل واتهامه بالتحيز ضد المرأة. لكن أي شخص يمكنه أن يتحدث بحرية شديدة منتقصًا من قدر الرجل – سواء كان ما يقوله صحيح أم خاطئ – ويكون كلامه مقبولاً تمامًا.

يتبني الكثير من المسيحيين الذين يدعون الإيمان بالكتاب المقدس معايير العالم المزدوجة تلك كلية. أصبح انتقاد الرجال في العظات أمر شائع. والأكثر من ذلك أن كل نص كتابي يحتوي على وصية خاصة للنساء يتم تحييده أو إبطاله. وفي المقابل كل نص كتابي يحتوي على وصية خاصة للرجال يتم التأكيد عليه والإسهاب في الحديث عنه.

على سبيل المثال، القليل من الرعاة هم فقط من يتحدثون عن خضوع الزوجة لزوجها في كل شيء كما يعلمنا الكتاب المقدس. أو لو تحدث أحد عن هذا النص يفسره بطريقة عجيبة تجعل الوصية لا تعني شيئًا. لكن هناك الكثير من الرعاة الذين يتحدثون بإسهاب عن محبة الزوج لزوجته ويفسرون الوصية بطريقة تجعل منها حملاً ثقيلاً متعذرًا يصعب الوفاء به.

هناك مثال أخر يتعلق بالتعليم الكتابي بشأن غطاء الرأس. يقول الكتاب: «كُلُّ رَجُلٍ يُصَلِّي أَوْ يَتَنَبَّأُ وَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ شَيْءٌ يَشِينُ رَأْسَهُ. وَأَمَّا كُلُّ امْرَأَةٍ تُصَلِّي أَوْ تَتَنَبَّأُ وَرَأْسُهَا غَيْرُ مُغَطًّى فَتَشِينُ رَأْسَهَا لأَنَّهَا وَالْمَحْلُوقَةَ شَيْءٌ وَاحِدٌ بِعَيْنِهِ» (١كورنثوس ١١: ٤، ٥).

منذ الأيام الأولي لكنيسة العهد الجديد وحتى منتصف القرن التاسع عشر،

كانت كل الكنائس تقريبًا تطيع الروح القدس في هذا الشأن. كان الرجال يخلعون قبعاتهم عندما يصلون أو عندما يكونون في الكنيسة. أما النساء فكن تغطين رؤوسهن عند الصلاة أو عندما تكن في الكنيسة. لكن في بدايات القرن التاسع عشر انتشرت الحركة النسوية الأولي في كل المجتمع ووصلت إلى الكنيسة. بعدها تخلت النساء في العديد من الكنائس عن ارتداء غطاء الرأس عند الصلاة. أما معظم الكنائس فظل النساء فيها يرتدين غطاء للرأس لكنه تغير من مجرد "غطاء بسيط" أو قبعات أنيقة بحسب الموضة. كانت النساء في معظم الكنائس حتى ستينات القرن التاسع عشر ترتدين قبعات وهن في الكنائس لكن سرعان ما اختفت تلك القبعات مع الحركة النسوية الجديدة في الستينات.

المفارقة هي أن كل الكنائس اليوم لا زالت تطبق الجزء الأول من تعليمات بولس التي يقول فيها أن على الرجل أن يصلي ورأسه غير مغطى. ما زال الرجال يؤمرون بخلع قبعاتهم عندما يدخلون الكنيسة أو عند الصلاة. كنت في اجتماع صلاة ذات مرة ودخل رجلان يرتدي كلاً منهما قبعة. على الفور نادى الواعظ عليهما وطلب منهما أن يخلعا قبعاتهما. لكنني لم أرَ أبدًا واعظًا يطلب من امرأة أن تغطى رأسها في الكنيسة أو قبل الصلاة. أصبح للعالم معيار مزدوج تجاه الجنسين فأصبح للكنيسة نفس المعيار.

ربما يبدو لنا من النظرة الأولى أن الكنيسة تقدم للنساء خدمة عظيمة. لكنها في الواقع تمارس نحوهن أسوأ تمييز يمكن أن يقع ضد المرأة.

كنت أعمل محاميًا لإحدى الشركات، وكنت مسؤولاً مسؤولية مباشرة أمام رئيس الشركة وغيره من المسؤولين فيها. كان هؤلاء المسؤولون يعتمدون على في أن أقدم لهم معلومات قانونية صحيحة. لو حدث وأخبرتهم أن سلوكًا ما هو قانوني في حين أنه ليس كذلك، فأي نوع من المحامين سأكون؟ ماذا سيحدث عندما ينتهي بهم الأمر في السجن. هل سيشكرونني حينها لأنني لم أكن

صريحًا معهم؟ لا أعتقد ذلك.

ينطبق نفس الأمر على قوانين يسوع. القوانين والتعاليم التي أعطاها يسوع للرجال والنساء سواء مباشرة أو من خلال رسله تظل هي هي "أمسًا واليوم وإلى الأبد." عندما يخبر الكتاب والوعاظ المسيحيون النساء بأنه ليس عليهن إطاعة يسوع، فهم إنما يحرمهن من أهليتهن للملكوت.

اليمينيون واليساريون كلاهما من العالم

يهنئ الكثير من المسيحيين المؤمنين بالكتاب المقدس أنفسهم لأنهم يرفضون الآراء المتحررة بشأن المثلية الجنسية والإجهاض وغيرهما من القضايا الاجتماعية والسياسية الأخرى. يتخيل هؤلاء أن اتباع برنامج حزب يميني جمهوري هو أمر مختلف عما ينادي به العالم. إلا أن الحزب الجمهوري هو العالم أو على الأقل جزء منه، بل أنه يميل إلى أن يكون أكثر عسكرية وأكثر مساندة للحرب من الأحزاب الليبرالية حيث إن منبره السياسي غير مؤسس على تعاليم يسوع مثله مثل الحزب الديمقراطي. لكن وللإنصاف عادة ما يكون الحزب الجمهوري أبطأ من الحزب الديمقراطي في التخلص من الأخلاقيات التقليدية والكتابية.

لا يهم يسوع مع أي قسم من العالم نقف. لو أننا نقف مناصرين مع أي قسم من العالم، فنحن أعداء ليسوع.

١٤

هل هذا يجعل منا نشطاء سلام وعدل؟

ربما تعتقدون بناء على ما كتبته في الفصول السابقة أنني أدعو إلى أن نكون جميعنا نشطاء "سلام وعدل". ربما يجب علينا جميعًا أن نتظاهر ضد وجود محطات الطاقة النووية ومصانع الأسلحة. إلا أن هذا ليس هو كل ما أقوله.

إن نشطاء "السلام والعدل" هم ليسوا إلا الوجه الأخر لنشطاء "الله والوطن." كلا الجماعتين تعتقد أن ممالك العالم هي جزء من ملكوت الله أو على الأقل تعتقد أن ممالك العالم يمكن أن تسير بحسب تعاليم يسوع. لكن هل حاول يسوع أن "يضفي طابع المسيحية" على العالم؟ عندما وقف يسوع أمام بيلاطس، هل ألقى عليه محاضرة بشأن الأخطاء الاجتماعية المتعددة في الإمبراطورية الرومانية؟ هل عمل مسيحيو العهد الجديد من أجل إلغاء عقوبة الإعدام والتعذيب في كل الإمبراطورية الرومانية؟

التضارب في معتقدات نشطاء "العدل والسلام"

يعتقد نشطاء "العدل والسلام" أنهم ليسوا من هذا العالم على عكس الأصوليين اليمينيين. يعتقدون أنهم وحدهم من يساندون تعاليم يسوع. لكن الحقيقة هي أنهم من العالم مثلهم تمامًا مثل الأصوليين اليمينيين. كل ما هنالك

أنهم ينحازون إلى قسم مختلف من العالم وهو اليسار الليبرالي. لكن في نهاية الأمر الحزب الجمهوري مثله مثل الحزب الديمقراطي كلاهما من العالم.

لا يختلف موقف نشطاء العدل والسلام من تعاليم يسوع عن موقف نظرائهم اليمينيين منها، فكلاهما فيما يتعلق بتعاليم يسوع يتبع أسلوب "انتقِ واختر." يختار نشطاء العدل والسلام تعاليم يسوع التي تتناسب سياسيًا مع الدوائر اليسارية. وعليه يتحدثون بحماسة ضد خطايا الحرب والجشع الاقتصادي. لكنهم يصمتون بشأن خطايا أخري مثل الطلاق والإجهاض والمثلية الجنسية. يعتقد هؤلاء أنه يمكنهم أن يكونوا مواطنين فعالين في ملكوت الله دون أن يتفوهوا بما يجعلهم مرفوضين اجتماعيًا.

لم يتبنَ يسوع مبدأ اللباقة الاجتماعية لا في القرن الأول ولا في أي قرن منذ ذلك الحين. لم يأت يسوع ليكرز برسالة عن تغيير حكومات وممالك العالم. سعى يسوع إلى تغيير الأفراد وليس إلى تغيير العالم. لقد أتي كي يدعونا جميعًا إلى دخول ملكوته.

لم تكن رسالة يسوع: لنجعل الأغنياء يهتمون بالفقراء بأن نزيد ما يدفعونه من ضرائب. بل كانت رسالته: "ديفيد بيركوت، تخلي عن رفاهيتك كي تساعد الفقراء." لم يتحد يسوع ورسله في لجنة عمل سياسي كي يرغموا زكا على الاعتناء بالفقراء بكل ماله، بل غير يسوع زكا حتى يريد زكا من تلقاء نفسه أن يهتم بالفقراء.

يتحدث مسيحيو العدل والسلام بصخب ضد عقوبة الإعدام التي تقتل نحو مائة أمريكي كل عام.[١] لكن أغلبهم صامت تمامًا فيما يتعلق بالإجهاض الذي يقتل أكثر من مليون أمريكي كل عام.[٢] يتظاهر معظم، إن لم يكن كل، مسيحيي العدل والسلام ضد التمييز ضد المرأة، لكنهم صامتون تمامًا فيما يتعلق بالتمييز ضد الرجل. يتحدثون عن اضطهاد الثوار اليساريين لكنهم لا يتفوهون بكلمة عن اضطهاد المسيحيين في الديكتاتوريات اليسارية. نشطاء "العدل والسلام"

مثلهم مثل نشطاء "الله والوطن" تركوا العالم يملي عليهم برنامجهم.

هل مسيحيو الملكوت ضد أمريكا؟

يعتقد معظم نشطاء "العدل والسلام" أن أمريكا هي المتسببة في كل شرور العالم. ودائمًا ما ينتقدون بعنف خطايا وسياسيات أمريكا. لكنهم في الوقت عينه يغضّون أبصارهم عن شرور الحكومات الأخرى وممارساتها القمعية.

لم تعد أمريكا هي "دولة الله" تمامًا مثل بقية ممالك العالم. ومثلها أيضًا مثل بقية الدول لها قيمها المتضاربة وكبريائها وأنانيتها. كما تستخدم ثروتها الضخمة وقوتها العسكرية كي تعزز مصالحها الأنانية ونادرًا ما تستخدم هذه الثروة والقوة العسكرية لمساعدة الدول الفقيرة والضعيفة إلا إذا كانت هذه الدول تخدم مصالحها الذاتية.

لكن في الوقت عينه أمريكا هي بكل تأكيد من أكثر القوى العالمية الخيِّرة في كل التاريخ، فهي لم تستخدم قوتها بنفس قسوة القوى العالمية في الماضي مثل روسيا وإسبانيا وروما وبابل وأشور. كما أنها مُحبة للمسيحية وليس فقط للمسيحية العالمية. وهي متسامحة كذلك مع مسيحية الملكوت بقدر كبير. وعلى مسيحيو الملكوت أن يكونوا شاكرين للحريات التي منحتهم إياها الحكومة الأمريكية. تمنح الكثير من الدول الأوربية نفس الحريات اليوم لكن أمريكا كانت أول دولة تفعل ذلك.

إن الطريق الضيق إلى الملكوت يقصى النشطاء السياسيين من اليمين واليسار. مسيحيو الملكوت يكرمون ويطيعون حكوماتهم لكن عليهم ألا يعتقدوا أن وطنهم هو "وطن الله" أو شريك في ملكوت الله. هذا لأنهم يعلمون أن ملكوت الله ليس من هذا العالم.

١٥

هل صنع أحدهم هكذا على أرض الواقع؟

لم يعطِ يسوع مجرد تعاليم عن كيف يجب أن يحيا المسيحي المنتمي للملكوت، بل أعطي أيضًا نموذجًا حيًا حقيقًا عن حياة الملكوت إذ عاشه هو نفسه. لقد اختار الله التوقيت الأمثل لإرسال ابنه إلى الأرض حيث أظهر ذلك التوقيت بصورة عملية كل ما كان يسوع سينادي به. ولكي ندرك روعة توقيت الله، علينا أن نلقي الضوء أولاً على بعض الأحداث التاريخية التي سبقت ميلاد المسيح.

يعرف الكثير منا كيف تم سبي اليهود ونفيهم إلى بابل. لكن بعد أن هزم الفرس البابليين عادت بقية من اليهود إلى اليهودية وأعادوا بناء الهيكل. إلا أنهم لم يكونوا أمة مستقلة إذ استمر الفرس في حكمهم لأكثر من مائتي عام. ثم في عام ٣٣٥ قبل الميلاد هزم اليونانيون الفرس وأصبحوا هم الحكام الجدد لليهود.

وأخيرًا في عام ١٤٢ ق.م. حصل اليهود على استقلالهم بقيادة سيمون المكابي ولأول مرة منذ السبي البابلي لم يكن عليهم أن يخضعوا لملك أجنبي. وكم فرحوا بهذا الأمر.

بزوغ روما

بينما كان اليهود يناضلون ضد اليونانيين كانت روما تتقدم ببطء كي تصبح القوة العالمية المسيطرة. ولأن اليونانيين كانوا عدوًا مشتركًا لروما واليهودية، قام اليهود بتوقيع معاهدة صداقة مع الرومان يؤكد الرومان فيها على استقلال اليهودية ويحذرون اليونان من أي محاولة لاحتلالها ثانية.[١]

لكن على الرغم من هذه المعاهدة قام الرومان عام ٦٦ ق. م. بفرض سيطرتهم على اليهودية وسريعًا ما أثقلوا كاهل اليهود بالضرائب. هل كانت هذه الضرائب تُستخدم لنفع اليهود؟ لا، بل كانت تُستخدم لدعم الجيش الذي يُبقي اليهود خاضعين للرومان.

كان اليهود قد استمتعوا بالاستقلال والحرية لأكثر من ٧٥ عام ولم يكونوا على استعداد للتسليم والخضوع لروما. لذلك كانت القومية اليهودية في أوجها. هذا هو الوقت الذي وُلد يسوع فيه. وحين وصل يسوع إلى سن الرجولية كان هناك بالفعل العديد من الثورات اليهودية ضد الرومان البغيضين. لكن روما نجحت في قمعها جميعًا بوحشية.

اليهود الخونة

لكن لم يكن كل اليهود كارهين لروما. في الواقع كان البعض منهم ينتفع من الرومان. هذا لأن الرومان لم يقوموا بجمع الضرائب التي فرضوها على اليهود بأنفسهم بل كلفوا بعض اليهود بهذا العمل حيث كان من الأسهل على يهودي لا على روماني أن يجمع مثل هذه الضرائب. اليهودي يستطيع أن يكشف الخطط والخدع التي يمكن أن يحيكها أبناء وطنه للتهرب من الضرائب. هذا بالإضافة إلى أنه يعيش وسطهم ويعرف ما يجري من أحداث ومن منهم يزدهر

عمله ومن منهم لا.

كان اليهود يمقتون جامعي الضرائب هؤلاء الذين يعملون لصالح الرومان البغضاء وينعتونهم بالخونة والمرتدون عن العقيدة. وربما كان بعضًا منهم يتفكر في نفسه قائلاً: "انتظروا حتى نحصل على استقلالنا وسنعلقكم على أعلى المشانق."

كان الكثير من اليهود يتوقون لقدوم المسيا الموعود، إذ كانوا يثقون كل الثقة أنه سيقودهم إلى النصر في حرب تحرير ضد الرومان. إن كان باستطاعة المكابيين هزيمة اليونان فكم بالحري يستطيع المسيا هزيمة الرومان.

هنا يظهر في المشهد شخص اسمه يسوع ابنًا لنجار ويقول لهم أن يحبوا أعدائهم. يحبون الرومان؟! كيف؟ أليست هذه خيانة؟ وما هذا التعليم الذي ينادي به: لو أمرك جندي روماني أن تحمل عدته ومتاعه لمسافة ميل، احمله ميلين بدلاً من ذلك. هذه ليست خيانة فحسب بل جنون أيضًا. وماذا عن "ادفعوا كل الضرائب الشاقة التي يفرضها عليكم القيصر"؟ هذا الشخص ليس هو بكل تأكيد المسيا المنتظر. والأسوأ من كل هذا أن يسوع كان يصادق جامعي الضرائب الخونة ويأكل معهم (لوقا ٧: ٣٤).

لو كان هناك مكان وزمان احتاج فيه الناس لوطني متحمس فالمكان هو اليهودية والزمان هو القرن الأول الميلادي. لم يكن للرومان أي حق شرعي يتواجدون بمقتضاه في اليهودية. وكانت الطريقة الوحيدة للتخلص منهم هي السيف. لذلك بدا يسوع في أعين أبناء وطنه كجبان وخائن، فهم لم يناصر قضيتهم بل وكان يعامل الرومان كأصدقاء.

لماذا لم يساعد يسوع اليهود في معركتهم للاستقلال؟ ببساطة لأنه كان نزيلاً مؤقتًا هنا على الأرض. كان يعيش في اليهودية لكنه كمواطن كان ينتمي

لملكوت الله. وبالنسبة لملكوت الله كانت قضايا اليهود القومية لا محل لها. أي فرق سيصنعه حصول اليهود على الاستقلال من الرومان لملكوت الله؟ إن الصراعات من أجل السلطة الأرضية والاستقلال الأرضي لا معني لهما في نطاق الأبدية. الوطنية الأرضية لا مكان لها في ملكوت الله.

ماذا فعل التلاميذ؟

يدعى بعض المسيحيين أن يسوع لم يتدخل في صراعات اليهود من أجل الاستقلال لأنه أتي إلى العالم فقط كي يقدم حياته فدية عن البشر. لو كان هذا صحيحًا لكان تلاميذه وجميعهم تقريبًا من اليهود انخرطوا في هذا الصراع.

إلا أن تلاميذ يسوع تجاهلوا كفاح اليهود من أجل الاستقلال تمامًا كما فعل يسوع. بل إننا عندما نقرأ سفر الأعمال والرسائل لن نعرف أن صراعًا مثل هذا كان يدور إذ لم يأت أيٍ ًا منها على ذكره على الرغم من أن معظم كتاب العهد الجديد هم من اليهود. هكذا كان صراع اليهود من أجل الاستقلال لا علاقة له مطلقًا بملكوت الله.

كذلك يوضح لنا التاريخ أن اليهود المسيحيين لم ينضموا إلى صراع الاستقلال هذا، بل في الواقع تركوا أورشليم بعد أن حررها اليهود (لفترة قصيرة) من الرومان. وبدلاً من أن يساعدوا مواطنيهم فروا إلى مدينة بيلا خارج اليهودية.[٢] لم يكن اليهود المسيحيون في اليهودية – شأنهم في ذلك شأن يسوع – يهودًا وطنيين. لم يكن يشغل بالهم أيًّا من الفريقين يسيطر على اليهودية فلم يكن من بين اهتماماتهم تعزيز أي مملكة أرضية سواء لليهود أو للأمم.

هل يبدو موقفهم هذا مجردًا من الوطنية؟ في الواقع، نعم. لم يكن شعار تلاميذ يسوع "الله والوطن" بل كان الله أو الوطن، فإما أن يكون قلب الشخص

مكرسًا بالكامل لملكوت الله، أو مكرسًا بالكامل لممالك هذا العالم. لا يمكننا أن نملك قلبًا مقسمًا أو أن نخدم سيدين. إن حب الوطن الذي كان يومًا في قلب المسيحيين اليهود في القرن الأول تحول من اليهودية إلى ملكوت الله.

انطبق نفس الأمر على المسيحيين الرومان، فمثلهم مثل إخوتهم من المسيحيين اليهود لم يهتموا بمن يحكم اليهودية، ولم يشاركوا في أي حرب ضد اليهود، ولم يكن هناك شقاق بينهم وبين المسيحيين اليهود حول قضية استقلال اليهودية.

كنت قد شبهت الحصول على حق المواطنة في ملكوت الله بالحصول على حق المواطنة في الولايات المتحدة. كي يصبح الشخص مواطنًا أمريكيًا عليه أن ينقل ولائه من وطنه السابق إلى الولايات المتحدة إذ لا يستطيع أن يحتفظ بالولاء لدولتين في آن واحد. لا يختلف الأمر عندما يتعلق بطلب حق المواطنة في ملكوت الله.

١٦

لكن هل هذه هي المسيحية التاريخية؟

الأمور التي تشاركتها معك في الفصول السابقة، عزيزي القارئ، ربما أثقلتك روحيًا إلى حد ما، بل وربما أزعجتك. كما أعلم أن جميعها إنما هي أمور جديدة تمامًا على أغلب المسيحيين. لكن من المهم أن تدرك أن ما أعبر عنه هنا ليس مجرد وجهة النظر الشخصية لديفيد بيركوت، فهذا الكتاب ليس كالكتب التي يدعي أصحابها أن كل من سبقهم على مر العصور أساء فهم الكتاب المقدس وهم وحدهم الذين يقدمون الفهم الصحيح. هناك الكثير من هذه الكتب إلا أنني نادرًا ما أرجع إليها.

ما قلته عزيزي القارئ عن الحرب واللامقاومة والحكومة هو في الواقع الموقف التاريخي للكنيسة المسيحية. هذه هي التعاليم الأصلية للكنيسة والتي ظلت تمثل وجهة النظر العامة أو شبه العامة لكل المسيحيين حتى عهد قسطنطين في القرن الرابع الميلادي.

إلا أنني لا أريدكم أن تسلموا بصحة كلامي بل أن تسمعوا الأمر من فم أصحابه. لذلك سأعرض عليكم في الصفحات التالية شهادة المسيحيين الذين عاشوا في أقرب الأزمنة لعهد الرسل مع ملاحظة أن ما سأورده من اقتباسات ليس مجرد مجموعة مختارة من النصوص التي تثبت وجهة نظري إذ أنني لم

أنتقِ نصوصًا بعينها من كتابات المسيحيين الأوائل متجاهلاً نصوصًا أخري تعبر عن وجهة نظر مختلفة. الكنيسة الأولي هي مجال تخصصي الدراسي على مدار العشرين عامًا الماضية، ولم أعرف أي شخص قبل قسطنطين عبر عن وجهة نظر تختلف عما سأعرضه فيما يلي.

الحياة كغرباء ونزلاء

عندما كانت الكنيسة لا تزل قريبة من عهد الرسل، عاش المسيحيون في هذا العالم كغرباء ونزلاء بحسب قيم الملكوت. وهذا ما جعلهم مختلفين عن العالم حولهم وجعل اختلافهم واضحًا للعيان. ولأن اهتمامهم كان منصبًا على يسوع وملكوته، كانت الأمور العامة لهذا العالم لا تعنيهم في شيء. كتب هرماس الكلمات التالية حوالي عام ١٥٠ م أو ربما قبل هذا التاريخ في مدينة روما:

"تعلمون أنكم خدام الله وأنكم تعيشون في أرض غريبة إذ أن مدينتكم تقع بعيدًا جدًا عن هنا. لذلك إن كنتم تعرفون مدينتكم التي ستعيشون فيها، فلماذا تقومون هنا بالبناء على الأراضي وتجهزوا لأنفسكم ما يكلف الكثير وتمتلكون أكثر من مكان للسكنى وغيرها من المباني عديمة النفع؟ إن الشخص الذي يقوم بكل هذه الاستعدادات هنا لن يتمكن من العودة إلى مدينته ثانية... هل تفهمون أن كل هذه الأمور إنما هي من شأن أناس آخرين وتحت سلطان أناس آخرين؟ ... لذلك احترسوا. كنزلاء تعيشون في أرض غريبة، لا تعدوا لأنفسكم أكثر مما يكفيكم. وكونوا مستعدين لمغادرة هذه المدينة عندما يأتي سيدها ويطردكم منها لعدم إطاعتكم لقانونه".[١]

أما تتيان الذي عاش في الشرق الأوسط فقد كتب دفاعًا عن المسيحية

حوالي عام ١٦٠ م يتحدث فيه نيابة عن المسيحيين معلنًا: "لا أريد أن أكون ملكًا. ولست تواقًا إلى أن أكون غنيًا. أرفض الأوامر العسكرية وأمقت الزنا ولا أسافر بحرًا مدفوعًا بنهم محبة التربح المادي. لا أتباري من أجل الأكاليل ومحررٌ تمامًا من العطش للشهرة. احتقر الموت... أموت عن هذا العالم رافضًا ما به من جنون. أعيش لله."[٢]

كان كليمنت السكندري معلمًا في كنيسة الإسكندرية بمصر. وتعبر كتاباته التي تعود إلى عام ١٩٥م تقريبًا عن انفصال المسيحيين الأوائل عن السياسة والوطنية وأحداث العالم. وقد لخص روح المسيحيين الأوائل عندما كتب قائلاً: "لا وطن لدينا على هذه الأرض لذلك بمقدورنا أن ننظر بازدراء للممتلكات الأرضية".[٣]

كان ترتيليان الذي كتب بين عامي ١٩٥ م و٢١٢ م كاتبًا ناريًا ينتمي إلى كنيسة قرطاجنة في شمال أفريقيا. وكغيره من المسيحيين في ذلك العصر شهد أن المسيحيين لا يهتمون بالأمور السياسية والحكومية التي تدور حولهم:

> "إن كل حماسة في السعي وراء المجد والشرف لهي مماته داخلنا. لذلك ليس لدينا أي دافع ملح للمشاركة في الاجتماعات العامة، ولا يوجد شيء غريب تمامًا عنا أكثر من أمور الدولة. إننا نعترف بدولة عامة هي هذا العالم. نحن نتبرأ من كل عروضكم المسرحية... وفيما بيننا لا نقول ولا نري ولا نسمع شيء يشابه جنون السيرك، وعدم اللياقة في المسرح، وفظائع ساحة القتال، والممارسات التي لا فائدة منها في حلبة المصارعة. لماذا تستاؤون منا لمجرد أننا نختلف عنكم في ملذاتكم؟"[٤]

كذلك كتب ترتيليان مخاطبًا رفاقه المسيحيين: "إنكم غرباء في هذا العالم،

مواطنون في أورشليم، المدينة التي من فوق. يقول الرسول إن وطننا هو في السماء."[٥]

كان أوريجان ألمع رجال عصره. وقد كان معلمًا في كنيسة الإسكندرية لعدة سنوات. ثم انتقل إلى قيصرية حيث رُسم هناك شيخًا. من بين أعظم كتابات أوريجان هو رده على سيلسيوس الوثني الذي كان ينتقد المسيحية:

> "كذلك يحثنا سيلسيوس على تولي منصب في حكومة وطننا لو كان هذا ضروريًا في الحفاظ على القوانين وفي مساندة الدين. إلا أننا نعترف بوجود مؤسسة وطنية أخرى داخل كل دولة وهي مؤسسة قامت بكلمة الله. ونحن إنما نشجع كل مقتدر في الكلمة وبلا لوم في الحياة أن يتولى قيادة الكنائس... لا يرفض المسيحيون المناصب العامة بهدف التهرب من الواجبات العامة، بل لأنهم هكذا يحفظون أنفسهم لخدمة في كنيسة الله هي أكثر قداسة وأكثر أهمية ألا وهي خلاص الإنسان."[٦]

كان سيبريان أسقفًا لقرطاجنة حوالي عام ٢٥٠ م وقد ترك كمًا هائلاً من الرسائل المتبادلة مع مسيحيين آخرين وكنائس أخري تعطينا نظرة قيمة على معتقدات المسيحيين في تلك الأيام. كتب سيبريان مؤيدًا لما كان يقوله المسيحيون حينها: "علينا أن نعكس بحياتنا اليومية أننا قد تخلينا عن العالم وأننا نعيش هنا كنزلاء وغرباء"[٧]

اللامقاومة

لم يقتصر موقف المسيحيين نحو العالم على إبعاد أنفسهم عن حكوماته وشئونه بل اتبعوا حرفيًا تعاليم يسوع فيما يتعلق باللامقاومة. إليكم بعض النصوص التي تعبر عن هذه الحقيقة لنفس الكتاب المذكورين أعلاه:

كتب كليمنت السكندري: "غير مسموح للمسيحيين باستخدام العنف لتصحيح ما ينتج عن الخطية من إهمال وتقصير."[٨]

يؤكد ترتيليان على هذا بقوله: "ما الفارق بين المحرِّض والمُستَفز؟ الفارق الوحيد هو أن المحرض كان المبادر بالشر والمستفز تلاه في فعل الشر. كل من يؤذى إنسانًا يكون مدانًا في عيني الرب. لأن الرب يحرم ويدين كل شر. عندما يتعلق الأمر بفعل الشر لا يهم من البادئ... الوصية واضحة لا ريب فيها: الشر لا يُقاوم بالشر."[٩]

كذلك كتب ترتيليان: "وَيُخَلِّصُهُمُ الرَّبُّ إِلَهُهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. كَقَطِيعٍ شَعْبَهُ. لا أحد يطلق صفة "القطيع" على من يقعون في المعركة وهم ممسكون بأسلحة في أياديهم، أو من قتلوا عندما كانوا يقامون العنف بالعنف. لكنها تصف من يُقتلون طوعًا في أماكن خدمتهم بصبر بدلاً من أن يقاتلوا دفاعًا عن النفس."[١٠]

كان لاكتانتيوس مسيحيًا ذا تعليم حسن، كتب في أوائل القرن الرابع قائلاً: "عندما نقاسى كل هذه الأمور الشريرة لا نقاوم ولا حتى بالكلام تاركين النقمة لله."[١١] وكتب أيضًا: "المسيحي لا يؤذي أحدًا ولا يشتهي ممتلكات غيره، ولا حتى يدافع عن ممتلكاته لو أُخذت منه بالقوة، إذ يعلم كيف يتحمل بصبر كل ضرر يصيبه."[١٢] وقال كذلك: "إننا لا نقاوم من يؤذينا إذ علينا أن نستسلم له."[١٣]

هناك كاتب مسيحي مبكر أخر لم أذكره فيما سبق وهو أثناغورس (*Athenagoras*) الذي كتب دفاعًا عن المسيحية حوالي عام ١٧٥ م قال فيه: "تعلمنا ألا نرد الهجوم بالهجوم وألا نقاضي من يسلبوننا ويسرقوننا. ليس هذا فحسب إذ تعلمنا أيضًا أنه إن ضربنا أحد على أحد خدينا نحول له الأخر أيضًا."[١٤]

المسيحيون في الجيش

ليس هناك دليل، سواء في الكتابات المسيحية أو في الكتابات الرومانية المدنية، على أن المسيحيين خدموا في الجيوش الرومانية قبل عام ١٧٠ م. لكن على الرغم من إدانة الكنيسة الأولي للحرب والقتل، إلا أن شهادة التاريخ تكشف بكل وضوح أنه بعد عام ١٧٠ م كان هناك بعض المسيحيين في الجيش الروماني. يشير بعض الكتاب إلى هذه الحقيقة وبناء عليها يقولون إن المسيحيين الأوائل لم يعارضوا الحرب على الإطلاق. إلا أن هذا ليس عرضًا أمينًا للتاريخ إذ أن الشهادة الجماعية للكتاب المسيحيين الأوائل هي أن كل المسيحيين رفضوا الاشتباك في القتال.

كيف نوفق بين هذه المتناقضات الظاهرية؟ يجيب عن هذا السؤال عمل مسيحي يعود إلى عام ٢٠٠م جمع محتواه هيبوليتس (*Hippolytus*) تحت عنوان "التقليد الرسولي". يقول هيبوليتس في وصف كيفية تعامل الكنيسة مع المتقدمين للمعمودية: "يجب أن نعلم جندي السلطة المدنية ألا يقتل وأن يرفض القتل حتى ولو أُمر بذلك. كما عليه أن يرفض القسم. وإن لم يقبل طاعة هذه التعاليم لا يتم تعميده. أما القائد العسكري أو الحاكم المدني الذي يرتدي اللون الأرجواني إما يستقيل وإما ترفض الكنيسة تعميده. ولو أراد أي متقدم للعماد أو أي مؤمن أن يصبح جنديًا فيجب أن يُرفض لأنه بهذا يحتقر الله."[١٥]

يتضح إذًا أنه بعد عام ١٧٠ تقريبًا كانت السياسية العامة للكنيسة هي كالآتي: لو أن جنديًا قبل المسيح ليس عليه أن يترك الجيش كي تعمده الكنيسة، لكن عليه أن يوافق على عدم استخدام السيف أبدًا وعدم القسم. أما لو أراد مسيحي مدني أن ينضم للجيش طوعًا، أو أراد جندي تم تسريحه أن يعود للجيش طوعًا، يخرج هذا الشخص من الكنيسة. كانت هذه هي السياسة العامة

للكنيسة حتى أول القرن الرابع.[١٦]

لماذا لم تطلب الكنيسة من الجنود الذين قبلوا المسيح حديثًا أن يتركوا الجيش قبل أن تقبل تعميدهم؟ هذا لأن الجندي يدخل كان يظل في الجيش لمدة ٢٥ عام ويتركه إما بالموت أو بإكمال مدة خدمته. البقاء في الجيش دون استخدام السيف لم يكن أمر صعبًا كما يبدو لنا اليوم. علينا أن نتذكر أن الإمبراطورية الرومانية كانت تتمتع بسلام نسبي في تلك الفترة المبكرة من تاريخ المسيحية. لذلك كان من المعقول أن يقضي المسيحي عمره كله في الجيش دون أن يُطلب منه أن يسفك دمًا أو يستخدم العنف ضد أي شخص. في الواقع كان الجنود في تلك الفترة المبكرة من تاريخ المسيحية يخدمون كحماة سلام مدنيين وكمهندسين يشيدون الطرق وأسوار المدن، ويحفرون القنوات.

يصرح أول تسجيل تاريخي عن وجود المسيحيين بالجيش (بعد عام ١٧٠ م) أنهم كانوا يرفضون استخدام السيف. فقط يصلّون. وقد استجاب الله لصلواتهم بأن أرسل مطرًا غزيرًا تسبب في انسحاب الغزاة دون قتال.[١٧]

أرجو أن تفهم عزيزي القارئ أنني لا أقول إن موقف الكنيسة الأولي بعد عام ١٧٠ م من الجنود الذين قبلوا الإيمان كان موقفًا صحيحًا. ما أحاول قوله هو أن موقف الكنيسة لم يعبر عن قبولها للحرب ولا عن رفضها اللامقاومة.

عندما تتعارض الممالك

لأن ملكوت الله ليس من هذا العالم فهو يصطدم بالطبع مع ممالك هذا العالم. رفض المسيحيون الأوائل – مثل بطرس والرسل – أن يكسروا وصايا يسوع حتى عندما أمر قيصر بهذا.

كتب أوريجان: "ماذا لو أن قانون الطبيعة – أي قانون الله – يأمرنا بعكس ما

في القانون المكتوب؟ ألا يخبرنا المنطق أن نودع القانون المكتوب... ونسلم أنفسنا للمشرع أي الله. علينا أن نفعل هذا حتى لو كنا سنواجه بسببه المخاطر، وما لا يحصى من متاعب، أو حتى الموت والإهانة."[١٨]

يضيف لاكتنيوس: "عندما يأمرنا البشر أن نسلك بعكس وصايا الله وبما يعارض العدالة، فيجب ألا يعوقنا أي تهديد أو أي عقاب إذ أننا نفضل وصايا الله على أوامر البشر."[١٩]

باختصار كانت اللامقاومة والانفصال عن العالم هي الممارسات التاريخية للمسيحية.

الجزء الثالث

ما هي بشارة الملكوت؟

١٧

طريق يسوع للخلاص

تنبأ يسوع قائلاً: "وَيُكْرَزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هَذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الأُمَمِ. ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى" (متى ٢٤: ١٤). سبق أن وتناولنا بعضًا من أهم قيم ووصايا المملكة. إلا أننا لم نتحدث عن بشارتها، فما هي بالتحديد بشارة الملكوت؟

تتمحور بشارة الملكوت حول الإيمان المسيحي التاريخي. هذه البشارة هي ما آمن به ومارسه مسيحيو القرون القليلة الأولى. بشارة الملكوت هي كل ما قاله يسوع ورسله عن كل أمر تحدثوا فيه. لا تقوم تلك البشارة على نصوص إثبات من الأسفار المقدسة ولا تقوم كذلك على شيء خارج الأسفار المقدسة.

ربما سمعتم عن "طريق الرومان للخلاص." يمكننا بالمثل القول بأن بشارة الملكوت هي طريق يسوع للخلاص، ومعتقداتها الأساسية هي تعاليم يسوع المباشرة وليس كتابات بولس. بكل تأكيد كتب بولس رسائله مسوقًا بالروح القدس وعليه فكتاباته معصومة وصحيحة. إلا أن بولس كان يبني على تعاليم يسوع الأساسية ولم يكن يبدأ بشارة جديدة. لكن اللاهوت الشعبوي – لاهوت الإيمان السهل – ينطلق من تعاليم بولس لكنه يتجاهل سياقها وبالتالي يفسرها بطريقة تجعل تعاليم يسوع تبدو كما لو كانت هرطقات.

أسمعك قارئي العزيز تقول: "على رسلك. ألست تبالغ هنا؟ كيف يحول اللاهوت الحديث تعاليم يسوع إلى هرطقات؟" حسنًا. ماذا تعتقد سيحدث لو ذهبت اليوم إلى أكثر الكنائس إيمانًا بالكتاب المقدس وتفوهت بهذه الكلمات:

- الخطايا التي ترتكبونها كل يوم لن تُغفر لكم إن لم تغفروا للآخرين زلاتهم (متى ٦: ١٥)
- عليكم كي تخلصوا أن تعيشوا بحسب تعاليم يسوع (متى ٧: ٢٤-٢٥)
- إن لم نطعم الجائع ونكسو الفقير لن نرى السماء (متى ٢٥: ٣٢-٤٦)

أعلم أنني إن وعظت بهذا الكلام في معظم الكنائس الإنجيلية، سيقال أنني مهرطق. لكن بشارة الملكوت تقول: "يمكنني أن أصدق يسوع ويمكنني أن أصدق كلامه." ربما تبدو عبارتي تلك حقيقية بديهية لأي مسيحي. ومع ذلك تطالب الكثير من أنظمة اللاهوت الشعبوي من المسيحي ألا يؤمن بكلام يسوع.

مركزية الملكوت

تتمحور بشارة الملكوت – على خلاف الكثير من الأنظمة اللاهوتية – حول ملكوت الله وليس حول خلاص الإنسان الشخصي. لا يمكننا أن نفصل الخلاص عن الملكوت. ولا يمكننا أن نكون مكرسين ليسوع إن لم نكن مكرسين لملكوته.

إن كل أسفار الكتاب المقدس إنما تتطلع إلى هذا الملكوت. من البداية كان قصد الله هو أن يؤسس مملكة خاصة. وهناك نبؤات عن هذه المملكة في العهد القديم ومن أهمها تلك المسجلة في الإصحاح الثاني من سفر إشعياء:

«وَيَكُونُ فِي آخِرِ الأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتًا فِي رَأْسِ الْجِبَالِ وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التِّلاَلِ وَتَجْرِي إِلَيْهِ كُلُّ الأُمَمِ. وَتَسِيرُ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ وَيَقُولُونَ: "هَلُمَّ نَصْعَدْ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ إِلَى بَيْتِ إِلَهِ يَعْقُوبَ فَيُعَلِّمَنَا مِنْ طُرُقِهِ وَنَسْلُكَ

في سُبُلِهِ". لأَنَّهُ مِنْ صِهْيَوْنَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ وَمِنْ أُورُشَلِيمَ كَلِمَةُ الرَّبِّ. فَيَقْضِي بَيْنَ الأُمَمِ وَيُنْصِفُ لِشُعُوب كَثِيرِينَ فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكَكًا وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ. لاَ تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفًا وَلاَ يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدُ» (إشعياء ٢: ٢-٤).

يقرأ معظم المسيحيين هذا النص على أنه يشير إلى أحداث ستقع بعد عودة المسيح إلى الأرض. وهذا صحيح. إلا أن ما يتحدث عنه النص إنما يتحقق الآن كذلك، بل وبدأ يتحقق منذ ابتدأ يسوع خدمته. ابتدأ يسوع مملكته حين أتي إلى الأرض وطلب من سامعيه أن يدخلوا إليها.

في البداية كان المدعوون لدخول الملكوت هم اليهود فقط. وبعد ذلك أصبح الباب مفتوحًا للجميع، وأخذ الناس من كل الأمم والشعوب "يتدفقون" على المملكة. هؤلاء الذين دخلوا طبعوا "سُيُوفَهُمْ سِكَكًا وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ" ولم يعودوا يرفعون سيوفهم ضد بعضهم البعض ونسوا الحرب إلى الأبد.

قطع يسوع عهدًا بأن يهب مملكته للذين يسيرون في طريقه: "أَنْتُمُ الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعِي فِي تَجَارِبِي وَأَنَا أَجْعَلُ لَكُمْ كَمَا جَعَلَ لِي أَبِي مَلَكُوتًا" (لوقا ٢٢: ٢٨، ٢٩) وقال أيضًا: "مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَجْلِسَ مَعِي فِي عَرْشِي، كَمَا غَلَبْتُ أَنَا أَيْضًا وَجَلَسْتُ مَعَ أَبِي فِي عَرْشِهِ" (رؤيا ٤: ٢١).

من الذي يمكنه أن يدخل الملكوت؟

فتح الله الباب لكل البشر وأعطاهم جميعًا فرصة أن يكونوا مواطنين في مملكته. لم يختر الله مجموعة من البشر هكذا ارتجاليًا وقرَّر أن يمنحهم الملكوت، مسلمًا الباقين إلى العقاب الأبدي. ماذا كان يمكن أن يكون قصده في هذه الحالة؟ لو كان دخول الملكوت يتعلق بالاختيار العشوائي لأختار الله كل البشر إذ أنه «لاَ يَشَاءُ

أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ» (٢ بط ٣: ٩).

إن اختيار الله لرعاياه الأبديين ليس ارتجاليا أو عشوائيًا بالمرة. الله يريد أن تسكن مملكته تلك القلة من البشر الذين يحبونه بالفعل. فالملكوت هو لمن يريد أن يسير في طريق الله حقًا. والله يريد في ملكوته من يؤمنون بأنه سينفذ ما وعد به، يريد من يؤمنون بأن شريعته وطرقه هي دائمًا حق وخير وهي دائمًا الأفضل لرعاياه.

ولكن كيف يقرر الله أن هذا الشخص تنطبق عليه شروط دخول الملكوت؟ يسمح الله لنا بالتجارب والضيقات. هل لاحظتم كلمات يسوع: "أَنْتُمُ الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعِي فِي تَجَارِبِي" و "مَنْ يَغْلِبُ". ستكون هناك ضيقات وتجارب لمن يدخلون ملكوته. عبر بولس عن هذه الحقيقة بقوله: "أَنَّهُ بِضِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ يَنْبَغِي أَنْ نَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ" (أعمال ١٤: ٢٢).

في الواقع دائمًا ما اختبر الله البشر حتى قبل أن يعلن ملكوته الأبدي. من بين الأمور التي صنعها الله بعد خلق آدم وحواء هو وضعهم في اختبار. كذلك امتحن الله نوح عندما أمره أن يبني فلكًا وامتحن إبراهيم عندما أمره أن يقدم اسحق كذبيحة. يقول الكتاب المقدس: «الرَّبُّ يَمْتَحِنُ الصِّدِّيقَ» (مز ١١: ٥). ويقول أيضًا «الْبُوطَةُ لِلْفِضَّةِ وَالْكُورُ لِلذَّهَبِ وَمُمْتَحِنُ الْقُلُوبِ الرَّبُّ» (أمثال ١٧: ٣) وإن «فَاحِصَ الْقُلُوبِ وَالْكُلَى اللهُ الْبَارُّ» (مز ٧: ٩).

ثلاثة امتحانات أساسية

هناك ثلاثة امتحانات أساسية يستخدمها الله لاستبعاد غير اللائقين لملكوته.

الامتحان الأول: الإيمان. ملكوت الله لا يراه من لم يولد ثانية. «إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ» (يوحنا ٣: ٣). لذلك يتطلب

الأمر إيمانًا عظيمًا من الشخص حتى أنه يرغب في الانضمام لمملكة لا يراها. ثانيًا: كثيرًا من الوعود المتعلقة بالمملكة هي وعود مستقبلية لذلك على الشخص أن يتمتع بالإيمان واثقًا أن الله سيفعل ما وعد به.

يستبعد امتحان الإيمان هذا معظم البشر، إذ أن الكثيرين منهم لا يتمتعون بالإيمان الكافي كي يصدقوا في وجود مملكة لا يستطيع أحد أن يراها وفي وعود ستتحقق فقط بعد وفاتهم.

الامتحان الثاني: الالتزام. قلنا في السابق إن الله يريدنا أن نترك كل شيء من أجل ملكوته، وأن يكون ولاءنا الأساسي والوحيد لملكنا يسوع المسيح ولمملكته. يطلب يسوع أن يفوق إخلاصنا له ولمملكته إخلاصنا وحبنا لأبوينا وأولادنا وأزواجنا وبلادنا وحتى لأنفسنا.

يريد يسوع لمملكته فقط هؤلاء الذين يدركون أنه "يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ كَنْزًا مُخْفىً فِي حَقْل وَجَدَهُ إِنْسَانٌ فَأَخْفَاهُ. وَمِنْ فَرَحِهِ مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَى ذَلِكَ الْحَقْلَ. أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا تَاجِرًا يَطْلُبُ لآلِئَ حَسَنَةً فَلَمَّا وَجَدَ لُؤْلُؤَةً وَاحِدَةً كَثِيرَةَ الثَّمَنِ مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَاهَا" (متى ١٣: ٤٤-٤٦).

الكثيرون ممن يجتازون امتحان الإيمان يتعثرون في امتحان الالتزام. مثل هؤلاء يؤمنون بمملكة لا تُري ويؤمنون بمكافآت أبدية فقط إن كان هذا الإيمان لا يكلفهم الكثير. أما أن يتركوا كل شيء بناء على مجرد وعود فهذا أمر لا يمكن أن يحدث أبدًا.

ولأن قليلين هم فقط من يجتازون امتحان الالتزام، فمن الطبيعي أن نفترض أنه لن يتبقى أحد لدخول الملكوت. إلا أن يسوع يشير إلى أن كثيرين سيدخلون الملكوت دون أن يحققوا ما يُطلب منهم من التزام. قال يسوع لتلاميذه: «اَلْحَقَّ

الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الَّذِي لاَ يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ إِلَى حَظِيرَةِ الْخِرَافِ بَلْ يَطْلَعُ مِنْ مَوْضِعٍ آخَرَ فَذَاكَ سَارِقٌ وَلِصٌّ» (يوحنا ١٠: ١). رمزيًا، يتسلق الكثيرون أسوار المملكة محاولين سرقة المواطنة بهذه الطريقة.

أيضًا أشار يسوع إلى هذه الحقيقة في مثل العرس: «فَخَرَجَ أُولَئِكَ الْعَبِيدُ إِلَى الطُّرُقِ وَجَمَعُوا كُلَّ الَّذِينَ وَجَدُوهُمْ أَشْرَارًا وَصَالِحِينَ. فَامْتَلأَ الْعُرْسُ من الْمُتَّكِئِينَ. فَلَمَّا دَخَلَ الْمَلِكُ لِيَنْظُرَ الْمُتَّكِئِينَ رَأَى هُنَاكَ إِنْسَانًا لَمْ يَكُنْ لاَبِسًا لِبَاسَ الْعُرْسِ. فَقَالَ لَهُ: يَا صَاحِبُ كَيْفَ دَخَلْتَ إِلَى هُنَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ لِبَاسُ الْعُرْسِ؟ فَسَكَتَ. حِينَئِذٍ قَالَ الْمَلِكُ لِلْخُدَّامِ: ارْبُطُوا رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ وَخُذُوهُ وَاطْرَحُوهُ فِي الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ. لأَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ» (متى ٢٢: ١٠-١٤).

هكذا يشكل الأشخاص الذين يجتازون امتحان الإيمان، لكن يفشلون في امتحان الالتزام - فريقًا مختلفًا عن هؤلاء الذين لا يؤمنون ويرفضون دعوة العرس كلية. الذين لا يؤمنون عادة ما يرفضون أقوال يسوع ووعوده برمتها ولا يؤمنون حتى بوجود الملكوت، وعليه لا يبذلون أي جهد لدخوله. لكن الذين يفشلون في امتحان الالتزام غالبًا ما يكونوا مصدقين لأقوال يسوع ووعوده، لكنهم غير راغبين في قطع الالتزام الذي يطلبه منهم. يحاول هؤلاء قبول الدعوة لعرس الملكوت بينما يرفضون شروط دخوله. كيف يفعلون هذا؟ يبحثون عن أي شخص يقدم دعوات الملكوت دون شروط. أي أنهم مجازيًا يتسلقون السور في زحام المدعوين.

يقول يسوع إن مقتحمي الأسوار هؤلاء سيشكلون في النهاية غالبية الموجودين في ملكوته، فهم "الكثيرون" المدعوون لكنهم ليسوا "القليلين" المختارين إذ هم لم يتعهدوا بأي التزام تجاه يسوع وملكوته. ربما يؤمن هؤلاء

أن يسوع هو مخلصهم لكنهم لا يقبلونه ربًا لهم بصدق.

الامتحان الثالث: الطاعة. تحدثت في الفصول السابقة عن بعض قوانين الملكوت. تنقلنا هذه القوانين من التوجه الفكري لهذا العالم وقيمه إلى التوجه الفكري لملكوت الله وقيمه. كما أنها بمثابة امتحان للمؤمنين. بعض المؤمنين الذين يجتازون امتحاني الإيمان والالتزام يسلكون فيما بعد بعدم طاعة. لكن الكثيرين منهم لحسن الحظ يتوبون ويعودون إلى حياة الملكوت.

لكن للأسف هناك كذلك من يفقدون محبتهم للمسيح كلية، فيتوقفون عن طاعته لأنهم لم يعودوا يحبونه. ومثل هؤلاء يُطردون أيضًا من الملكوت: «يُرْسِلُ ابْنُ الإِنْسَانِ مَلاَئِكَتَهُ فَيَجْمَعُونَ مِنْ مَلَكُوتِهِ جَمِيعَ الْمَعَاثِرِ وَفَاعِلِي الإِثْمِ وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ» (متى ١٣: ٤١، ٤٢).

وهكذا من سيتبقى في النهاية في ملكوت يسوع هم هؤلاء الذين صدقوا وعوده وقبلوا شروطه وأحبوه أكثر من أي شيء على الأرض، وكانوا على استعداد للتضحية بحياتهم من أجله فرحين. هؤلاء هم الذين يرغب يسوع في قضاء الأبدية معهم. هذه هي باختصار بشارة الملكوت.

علاقتنا بملكنا

سنناقش في الفصل التالي كيف يمكن للشخص أن يدخل ملكوت الله. لكن قبل أن نتناول هذه النقطة علينا أن نفهم جيدًا أن جوهر بشارة الملكوت إنما هو "العلاقة". هناك بالتأكيد الكثير من التعاليم اللاهوتية الهامة. لكن اللاهوت ليس هو أساس البشارة ولا هو أساس المسيحية.

عندما نصبح مواطنين في المملكة ندخل في علاقة مستمرة مع ملكنا. إلا أن هذه العلاقة تختلف عن نوع العلاقة التي تتحدث عنها البشارة الحديثة

ومعتقدات الإيمان السهل. يشرح يسوع نفسه نوع العلاقة التي يريد أن تربطنا به: «أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَأَبِي الْكَرَّامُ. كُلُّ غُصْنٍ فِيَّ لاَ يَأْتِي بِثَمَرٍ يَنْزِعُهُ وَكُلُّ مَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يُنَقِّيهِ لِيَأْتِيَ بِثَمَرٍ أَكْثَرَ. أَنْتُمُ الآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلاَمِ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ. اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ» (يوحنا ١٥: ١-٤).

ما الذي يقصده يسوع بقوله "نأتي بثمر"؟ إليكم بعض النصوص الكتابية التي ترد فيها هذه العبارة في العهد الجديد:

«وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاة لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ. ضِدَّ أَمْثَالِ هذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ. وَلكِنَّ الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ. إِنْ كُنَّا نَعِيشُ بِالرُّوحِ فَلْنَسْلُكْ أَيْضًا بِحَسَبِ الرُّوحِ» (غلاطية ٥: ٢٢-٢٥)

«فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ... فَكُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ» (لوقا ٣: ٨، ٩)

«وَالَّذِي يُقَدِّمُ بِذَارًا لِلزَّارِعِ وَخُبْزًا لِلأَكْلِ، سَيُقَدِّمُ وَيُكَثِّرُ بِذَارَكُمْ وَيُنْمِي غَلاَّتِ بِرِّكُمْ» (٢ كورنثوس ٩: ١٠)

«وَهذَا أُصَلِّيهِ: أَنْ تَزْدَادَ مَحَبَّتُكُمْ أَيْضًا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ فِي الْمَعْرِفَةِ وَفِي كُلِّ فَهْمٍ، حَتَّى تُمَيِّزُوا الأُمُورَ الْمُتَخَالِفَةَ، لِكَيْ تَكُونُوا مُخْلِصِينَ وَبِلاَ عَثْرَةٍ إِلَى يَوْمِ الْمَسِيحِ، مَمْلُوئِينَ مِنْ ثَمَرِ الْبِرِّ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِمَجْدِ اللهِ وَحَمْدِهِ» (فيلبي ١: ٩-١١)

هذه هي "ثمار البر" التي ستنمو فينا عندما نكون ملتصقين بكرمة يسوع. وهي ثمار تتناسب وقيم الملكوت التي تحدثنا عنها. إلا أن هذه الثمار لا تنمو تلقائيًا. علينا أن نثبت في المسيح وندع الآب يشذبنا. كما علينا أن نستمر في

السير بالروح. إن لم ننتج ثمارًا سيقطعنا الآب من الكرمة. لذلك نجد أن المواطنة في الملكوت هي مواطنة علاقاتية أي قائمة على علاقتنا بالملك. وهي تعتمد على ثباتنا في المسيح وخضوعنا له وللآب.

لكن كيف نثبت في المسيح؟ يخبرنا يسوع بكل وضوح: «إِنْ حَفِظْتُمْ وَصَايَايَ تَثْبُتُونَ فِي مَحَبَّتِي كَمَا أَنِّي أَنَا قَدْ حَفِظْتُ وَصَايَا أَبِي وَأَثْبُتُ فِي مَحَبَّتِهِ» (يوحنا ١٥: ١٠). معنى هذا أننا نثبت في المسيح ليس عندما نرنم مسبحين له لكن عندما نطيعه. لكن ماذا سيحدث لو اخترنا ألا نطيع يسوع؟ يخبرنا يسوع أيضًا بكل وضوح: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَثْبُتُ فِيَّ يُطْرَحُ خَارِجًا كَالْغُصْنِ فَيَجِفُّ وَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ فَيَحْتَرِقُ» (يوحنا ١٥: ٦).

وعليه علاقتنا مع يسوع المسيح ليست مجرد علاقة سواء حقيقية أو متخيلة. لكنها علاقة قائمة على المحبة المطيعة. إلا أن تعبير "علاقة محبة مطيعة" هو في الواقع تعبير به تكرار غير لازم لأنه من المستحيل أن نحب يسوع دون أن نطيعه. يمكننا أن نعلن أننا نحب يسوع لكن بدون طاعتنا له تكون محبتنا مجرد كلمات فارغة لأن يسوع نفسه قال: «اَلَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي» (يوحنا ١٤: ٢١). الأمر ببساطة هو إن كنا لا نطيع يسوع فنحن لا نحبه (هذا ما يقوله يسوع لا ما أقوله أنا).

الطاعة المزيفة

عندما يتحدث يسوع عن الطاعة فهو يتحدث عن الطاعة الحقيقية وليس الطاعة المزيفة المنتشرة اليوم. وصايا يسوع الحقيقية هي تلك المدونة في العهد الجديد. لكن بشارة الإيمان السهل المنتشرة اليوم تقول إنه بإمكاننا تجاهل هذه الوصايا المكتوبة. وعليه يتعامل معظم المسيحيين مع وصايا

يسوع كما لو كانت مجرد اقتراحات. كما تقول بشارة الإيمان السهل تلك: إن ما يهم هو البواعث الشخصية التي ترد على أذهاننا. هذه البواعث في تصور أصحاب تلك البشارة هي وصايا يسوع الحقيقية التي علينا أن نطيعها. ولأنها تأتي إلى كل مسيحي على حده، يكون كل شخص هو الحكم الوحيد فيما يتعلق بما قال له الله أن يفعل أو ألا يفعل.

يشبه الأمر هنا لعبة عملاقة تحاكي قصة "ملابس الإمبراطور الجديدة." يتظاهر ملايين المسيحيين أنهم يسيرون في طاعة المسيح بينما الحقيقة هي أنهم يتجاهلون تعاليمه بل يدوسونها بأقدامهم. ويرون أن العديد من وصاياه بغيضة كريهة. لكنهم يطيعون تلك البواعث الذاتية التي ترد على أذهانهم وهكذا يخدعون أنفسهم ويتوهمون أنهم يطيعون يسوع.

بكل تأكيد أعطى يسوع توجيهات شخصية للأنبياء الذين كانوا قريبين منه. لكن لمن قال يسوع أنه سيظهر ذاته؟ «اَلَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي» (يوحنا ١٤: ٢١). عرفنا أن الذين يحبون يسوع هم الذين يحفظون وصاياه. وقد قال يسوع لتلاميذه: «اَلأَمِينُ فِي الْقَلِيلِ أَمِينٌ أَيْضًا فِي الْكَثِيرِ وَالظَّالِمُ فِي الْقَلِيلِ ظَالِمٌ أَيْضًا فِي الْكَثِيرِ» (لوقا ١٦: ١٠). إن لم نكن أمناء في تطبيق التعليمات الأساسية المكتوبة التي تنطبق على كل المسيحيين، فإننا نخدع أنفسنا إن اعتقدنا أن يسوع سيعطينا تعليمات شخصية إضافية.

إن لم نكن ثابتين في الكرمة وإن لم نكن مثمرين فيسوع لا يظهر ذاته لنا. في هذه الحالة تكون العلاقة الشخصية التي نتخيل أنها تربطنا به هي علاقة وهمية خادعة تمامًا مثل العلاقة التي يعتقد الكاثوليك أنها تربطهم بمريم.

ليس شريعة موسى ثانية

لكن عندما نتحدث عن وصايا يسوع، أرجو ألا تعتقد عزيزي القارئ أننا نتحدث عن الفوز بكلمات مدح وثناء جراء طاعتنا لتعاليم يسوع، أو عن الفوز بخلاص نفوسنا عندما نفعل هذا، كما قلت سابقًا: العلاقة الوحيدة المقبولة لدى الله هي علاقة المحبة. ليس في الأمر شريعة موسي ثانية، فيسوع لم يتمم الناموس حتى يعطينا بدلاً منه قائمة أخري بوصايا مماثلة.

وصف يسوع كيف تكون الحياة المسيحية عندما نحبه بقوله: «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ»» (متى ١١: ٢٨-٣٠).

لكن كيف يحدث هذا؟ قال يسوع في موضع أخر إنه علينا أن نتخلى عن كل شيء لأجله، بل وقال: «وَمَنْ لاَ يَأْخُذُ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعُنِي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي. مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيعُهَا وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا» (متى ١٠: ٣٨، ٣٩). هذا لا يبدو أبدًا كحِملٍ خفيف.

الآن نأتي إلى التناقض الظاهري في الملكوت. عندما ننظر إلى أقوال يسوع بالجسد تبدو لنا متناقضة. لكن عندما نتأملها بالروح نجد أنها متوافقة تمام التوافق مع بعضها البعض. لم يردنا الله أبدًا أن نحيا حياة الملكوت بالجسد لأن الملكوت ليس تلمود جديد. لكنه أرادنا أن نحياه بالروح في علاقة معه. يصبح نير يسوع هين حمله خفيف فقط عندما ندفن حياتنا فيه. يصبح حمل يسوع خفيف عندما نحل أنفسنا من كل شرك في هذه الحياة وعندما نخسر أنفسنا في خدمة مكرسة لشخص الرب.

عندما نحرر قلوبنا من اهتمامات ومشاغل هذا العالم يمكننا أن نقول مع

يوحنا: «فَإِنَّ هَذِهِ هِيَ مَحَبَّةُ اللهِ: أَنْ نَحْفَظَ وَصَايَاهُ. وَوَصَايَاهُ لَيْسَتْ ثَقِيلَةً» (١ يوحنا ٥: ٣). تصبح وصاياه سهلة عندما تكون مملكتنا الوحيدة هي ملكوت الله وعندما تتخلي أرواحنا عن كل شيء أخر. لكن وصاياه تظل ثقيلة عندما نظل نحن متمسكين بهذا العالم وما لنا فيه من ممتلكات وحريات وسلطة، ونحاول في ذات الوقت أن نخدمه.

١٨

كيفية دخول الملكوت

لا يصبح الشخص مواطنًا أمريكيًا بمجرد عبوره لحدود الولايات المتحدة سواء بصورة شرعية أو غير شرعية. لكن حكومة الولايات المتحدة وضعت إجراء على المهاجر أن يتبعه حتى يحصل على جنسيتها ويكون له حقوق مواطنيها. مبدئيًا يجب أن يبلغ الشخص من العمر ثمانية عشر عامًا على الأقل ويكون قد أقام إقامة شرعية في البلاد لمدة خمس سنوات وله شخصية أخلاقية حسنة. كما يجب أن يكون باستطاعته قراءة وكتابة اللغة الإنجليزية البسيطة ولديه معرفة بحكومة وتاريخ أمريكا. وأخيرًا يجب على المتقدم للحصول على الجنسية أن يقسم قسم الولاء الأمريكي.

هناك بالمثل إجراءات أو خطوات على الشخص أن يتخذها قبل أن يكون باستطاعته دخول ملكوت الله. مبدئيًا، قبل أن يدخل الشخص ملكوت الله يجب أن يتحرر، هذا لأن كل البشرية إنما هي واقعة تحت نير الخطية وإبليس والموت. مات يسوع فدية عنا كي يحررنا من هذا النير، وبموته قيّد إبليس وطهر كل المؤمنين بدمه. ينتفع الإنسان بدم يسوع المسفوك من خلال الإيمان بإتباع الخطوات التالية المذكورة في الكتاب المقدس.

درب يسوع رسله على مساعدة الآخرين لدخول الملكوت. وبعد صعوده إلى

السماء بفترة قصيرة أُتيحت الفرصة أمام الرسل لتنفيذ تدريبهم على أرض الواقع. في يوم الخمسين دخلت أول مجموعة جديدة من المتقدمين إلى الملكوت. يصف لنا الإصحاح الثاني من سفر الأعمال كيف حدث هذا:

> «فَلَمَّا سَمِعُوا نُخِسُوا فِي قُلُوبِهِمْ وَسَأَلُوا بُطْرُسَ وَسَائِرَ الرُّسُلِ: "مَاذَا نَصْنَعُ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ؟" فَقَالَ لَهُمْ بُطْرُسُ: "تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. لأَنَّ الْمَوْعِدَ هُوَ لَكُمْ وَلأَوْلاَدِكُمْ وَلِكُلِّ الَّذِينَ عَلَى بُعْدٍ كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ إِلَهُنَا". وَبِأَقْوَالٍ أُخَرَ كَثِيرَةٍ كَانَ يَشْهَدُ لَهُمْ وَيَعِظُهُمْ قَائِلاً: "اخْلُصُوا مِنْ هَذَا الْجِيلِ الْمُلْتَوِي". فَقَبِلُوا كَلاَمَهُ بِفَرَحٍ وَاعْتَمَدُوا وَانْضَمَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ نَفْسٍ» (أعمال ٢: ٣٧-٤١).

دعونا نراجع الخطوات التي باتباعها دخل من سمعوا بطرس إلى ملكوت الله:

- سمعوا رسالة يسوع المسيح وملكوته وامنوا بها. وهذا لم يكن مجرد إيمان سطحي إذ أنهم "نخسوا في قلوبهم."
- وبعدها تابوا عن حياتهم السابقة. ما معني هذا؟ يعرف قاموسي كلمة "يتوب" بمعنى "يشعر بالندم أو عدم الرضا بشأن فعل ما أو غرض ما في الماضي ويغير فكره نحوه."[١] أي أن من سمعوا بطرس غيروا فكرهم بشأن كيف يريدون أن يحيوا. لقد قرروا أن يعيشوا بقية حياتهم كرعايا ليسوع المسيح.
- تعمدوا بالماء.
- قبلوا الروح القدس.

وبإتمام هذه الخطوات دخلوا الملكوت.

من فضلك لاحظ أن هؤلاء الأشخاص كان عليهم أن يتوبوا عن خطاياهم لا

أن يكفروا عنها هذا؛ لأن يسوع هو من كفر عن خطايانا نيابة عنا. نحن لا نخلص أنفسنا. يسوع هو الذي يخلصنا. من فضلك لاحظ أيضًا أنه لم يكن ينبغي عليهم فعل أي شيء للحصول على هذا الخلاص وللحصول على الملكوت إذ كانوا جميعًا غير مستحقين. لقد كان فوزهم بالخلاص وبالمواطنة في الملكوت عطايا مجانية، إذ خلصوا بالنعمة لا ببرهم الذاتي.

ما تفعله الولادة الجديدة

ما الذي حدث للجمع الذين آمنوا وولدوا ثانية يوم الخمسين؟ الكثير من الأشياء المدهشة. كل خطاياهم الماضية غُفرت لهم ومُحيت وأصبح لهم سجل نظيف أمام الله. علاوة على ذلك، ولدوا ثانيًا كخلائق جديدة، أي أنهم مروا بعملية تحول روحية خارقة للطبيعة. لقد أصبحوا مواطنين في الملكوت. وهؤلاء المواطنون الجدد أصبحوا أغصانًا في كرمة يسوع (يوحنا ١٥: ٥). ولو أنهم ماتوا مباشرة بعد هذا فبكل تأكيد كانوا قد ذهبوا إلى الفردوس.

جانبا الخلاص

وهذا طبقًا لبشارة الإيمان السهل هو نهاية الأمر. طبقًا لهذه البشارة المنتشرة، كل خطية ارتكبها الشخص في الماضي، بالإضافة إلى كل خطية سيرتكبها في المستقبل قد غُفرت عندما ولد ثانية. تعلن هذه البشارة أن الخلاص هو مجرد خطوة واحدة. بمجرد أن يولد الشخص ثانية، يمكن الحديث عن خلاصه بصيغة الماضي.

إلا أن يسوع لم يَقُل شيئًا من هذا. بشارة الإيمان السهل ليست هي بشارة الملكوت إذ تقول بشارة الملكوت أن للخلاص جانبين أحدهما في الماضي والآخر في المستقبل. وإن لم يفهم الشخص هاتين المرحلتين فلن يتمكن أبدًا

من فهم بشارة الملكوت أو تعليم العهد الجديد عن الخلاص.

تتحدث بعض نصوص العهد الجديد عن الخلاص بصيغة **الماضي**. على سبيل المثال، يقول الكتاب المقدس: «وَكَانَ الرَّبُّ كُلَّ يَوْمٍ يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ... لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ... لأَنَّنَا بِالرَّجَاءِ خَلَصْنَا» (أعمال ٢: ٤٧، أفسس ٢: ٨، رومية ٨: ٢٤).*

هذا يعني أننا عندما نولد ثانية نكون قد خلصنا. نُؤخذ من العالم وبعد ذلك مباشرة ندخل ملكوت الله. وفي نفس اللحظة تُكتب أسمائنا في سفر الحياة. عندما كتب بولس رسالته إلى أهل فيلبي أشار إلى شركائه العاملين بعبارة «الَّذِينَ أَسْمَاؤُهُمْ فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ» (فيلبي ٤: ٣).

لكن الكتاب المقدس يشير أيضًا إلى جانب **مستقبلي** للخلاص. يقول يسوع: «وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي. وَلكِنِ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ (في الإنجليزية *will be saved*)» (متى ١٠: ٢٢). هذا يعني أن هناك جانب مستقبلي للخلاص. علينا أن نصبر إلى نهاية حياتنا حتى يكون خلاصنا نهائيًا. يوضح يسوع هذا الأمر كذلك في مثل الكرمة: «أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ. الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هَذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا. إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَثْبُتُ فِيَّ يُطْرَحُ خَارِجًا كَالْغُصْنِ فَيَجِفُّ وَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ فَيَحْتَرِقُ... كُلُّ غُصْنٍ فِيَّ لاَ يَأْتِي بِثَمَرٍ يَنْزِعُهُ» (يوحنا ١٥: ٥، ٦، ٢).

يوضح هذا النص جانبي الخلاص: الماضي والمستقبلي. المولودون ثانية الذين خلصوا يمكنهم أن يكونوا أغصان في كرمته. هذا هو الجانب الماضي. لكن ليس معنى أننا أغصان في كرمة يسوع أننا سنبقي في الكرمة. إن لم نحافظ

---

* يقتبس الكاتب هذه النصوص من ترجمة كينج جيمس الجديدة (*New King James Version*) والتي ترد فيها كل أفعال الخلاص في صيغة الماضي. وينوه إلى أن هذه النصوص عينها بحسب ترجمة كينج جيمس الأصلية (*KJV*) ترد في صيغة المضارع.

على علاقة المحبة المطيعة التي لنا بالله فسيقطعنا من الكرمة. ولهذا علينا أيضًا أن نتحدث عن جانب مستقبلي للخلاص.

وبسبب هذا الجانب المستقبلي للخلاص يقول يسوع للمسيحيين في ساردس: «مَنْ يَغْلِبُ فَذلِكَ سَيَلْبَسُ ثِيَابًا بِيضًا، وَلَنْ أَمْحُوَ اسْمَهُ مِنْ سِفْرِ الْحَيَاةِ، وَسَأَعْتَرِفُ بِاسْمِهِ أَمَامَ أَبِي وَأَمَامَ مَلاَئِكَتِهِ» (رؤيا ٤: ٥). لذلك ليس لأن أسمائنا كُتبت في سفر الحياة عند ميلادنا الثاني نسلم بأنها ستظل مكتوبة فيه. في الواقع نشعر من كلمات يسوع للكنيسة في ساردس أنه كان سيمحو أغلب أسمائهم من سفر الحياة، إذ أنه يقول: «عِنْدَكَ أَسْمَاءٌ قَلِيلَةٌ فِي سَارْدِسَ لَمْ يُنَجِّسُوا ثِيَابَهُمْ، فَسَيَمْشُونَ مَعِي فِي ثِيَابٍ بِيضٍ لأَنَّهُمْ مُسْتَحِقُّونَ» (رؤيا ٣: ٤).

وبسبب هذا الجانب المستقبلي للخلاص أخبر يسوع المسيحين في ثياترا: «وَإِنَّمَا الَّذِي عِنْدَكُمْ تَمَسَّكُوا بِهِ إِلَى أَنْ أَجِيءَ. وَمَنْ يَغْلِبُ وَيَحْفَظُ أَعْمَالِي إِلَى النِّهَايَةِ فَسَأُعْطِيهِ سُلْطَانًا عَلَى الأُمَمِ» (رؤيا ٢: ٢٥، ٢٦). وبسبب هذا الجانب المستقبلي للخلاص يخبرنا الكتاب المقدس:

- «لاَحِظْ نَفْسَكَ وَالتَّعْلِيمَ وَدَاوِمْ عَلَى ذلِكَ، لأَنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هذَا تُخَلِّصُ نَفْسَكَ وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَكَ أَيْضًا» (١تيموثاوس ٤: ١٦).
- «إِنْ كُنَّا نَصْبِرُ فَسَنَمْلِكُ أَيْضًا مَعَهُ. إِنْ كُنَّا نُنْكِرُهُ فَهُوَ أَيْضًا سَيُنْكِرُنَا» (٢ تيموثاوس ٢: ١٢).
- «لأَنَّهُ إِذَا كَانُوا بَعْدَمَا هَرَبُوا مِنْ نَجَاسَاتِ الْعَالَمِ، بِمَعْرِفَةِ الرَّبِّ وَالْمُخَلِّصِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، يَرْتَبِكُونَ أَيْضًا فِيهَا، فَيَنْغَلِبُونَ، فَقَدْ صَارَتْ لَهُمُ الأَوَاخِرُ أَشَرَّ مِنَ الأَوَائِلِ. لأَنَّهُ كَانَ خَيْرًا لَهُمْ لَوْ لَمْ يَعْرِفُوا طَرِيقَ الْبِرِّ، مِنْ أَنَّهُمْ بَعْدَمَا عَرَفُوا يَرْتَدُّونَ عَنِ الْوَصِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ الْمُسَلَّمَةِ لَهُمْ» (٢ بطرس ٢: ٢١، ٢٢).

في بعض الأحيان نسيء فهم بعضنا البعض

كم يحزنني أن أسمع مسيحيي الملكوت يتجادلون فيما بينهم بشأن الخلاص، غير عالمين أن له جانب ماضي وجانب مستقبلي. لقد سمعت وقرأت بعض المحادثات التي تدور بين مسيحي الملكوت والتي تشبه المحادثة التالية بين المسيحي رقم ١ والمسيحي رقم ٢ في المشهد التالي:

المسيحي رقم ١ هو مسيحي بحسب الملكوت يحب يسوع ويعيش وفقًا لتعاليمه. لكنه ينتمي إلى كنيسة تركز على الجانب المستقبلي للخلاص. المسيحي رقم ٢ هو أيضًا يحب يسوع ويطيع وصاياه لكنه ينتمي إلى كنيسة تركز على الجانب الماضي للخلاص. وللأسف الشديد، على الرغم من أن كلا الكنيستين تؤمنا في الواقع بجانبي الخلاص إلا أن تركيزهما على الجانبين غير متساو. ونتيجة لذلك قد نسمع محادثات بين أعضائهما تشبه المحادثة التالية:

المسيحي رقم ٢: "هل خلصت أيها الأخ؟"

المسيحي رقم ١: "ماذا تعني بقولك 'خلصت'؟ بالطبع لا! من الجسارة أن يدعي أحدهم أنه خلص لأن يسوع سيقرر هذا الأمر عند وفاتي."

المسيحي رقم ٢: "حسنًا إن كنت لا تعرف أنك قد خلصت بالفعل فسيكون الأوان قد فات عند موتك. إنك تتبع بشارة زائفة."

المسيحي رقم ١: "لا بل أنت الذي تتبع بشارة زائفة – بشارة الادعاء المسلم به."

ربما يبدو أن سنوات ضوئية تفصل بين معتقدات هذين المَسِيحيَيَن. ربما يكون الأمر كذلك بالفعل. لكن معتقداتهما كثيرًا ما تكون واحدة. لو أن كلاهما مسيحي حقيقي بحسب الملكوت فمن الأرجح أن كنيسة كلاً منهما تؤمن بجانبي الخلاص الماضي والمستقبلي. لكن لأن كل كنيسة تركز على جانب

واحد فقط لدرجة أنها قد تقصى الأخر، يكون لدي أعضائها فهم مشوش للخلاص ولا يتمكنوا من التعبير عن بشارة الملكوت بوضوح على الرغم من أنهم يتمسكون بها في قلوبهم.

إن سؤالك لأحدهم "هل خلصت؟" يشبه سؤالك لموظف ما: "هل توقفت عن السرقة من صاحب العمل؟" لن يكون بمقدور الموظف الأمين أن يجيب عن هذا السؤال بنعم أو لا. أليس كذلك؟ ما سيفعله هو أن يعترض على هذا السؤال المضلل ويجيبك: "أنا لم أسرق من صاحب العمل من قبل وبالتالي ليس هناك شيء أتوقف عنه."

السؤال عن الخلاص هو أيضًا سؤال مخادع على الرغم من أن هذا ليس هو القصد منه. ولن تكفيه الإجابة بنعم أو لا. الشخص الذي يفهم بشارة الملكوت عليه أن يقابل الخداع الكامن في هذا السؤال بأن يجيب: "نعم خلصت عندما وُلدت ثانية. لكن خلاصي النهائي لن يتحدد إلا عندما أصبر إلى المنتهي."

قبل أن أنهي حديثي عن الخلاص هنا أود أن أقول بعض الكلمات عن الطمأنينة. لا نعيش نحن مسيحيو الملكوت في كرب وعدم أمان مستمرين، بل نعيش في انتظار فرح لوعود يسوع لنا، عالمين أن نعمته ستمكننا من البقاء راسخين في كرمته طالما نستمر في محبته وطاعته. لكن في نفس الوقت ينبغي ألا نكون مسرفين في الثقة جسورين في التوقعات. كما لا يجب أن نفقد مخافة الرب. نعم نتمتع بالطمأنينة لكنها طمأنينة مشروطة.

هل الخلاص باللاهوت؟

ليكن واضحًا لك عزيزي القارئ إن الشخص لكي يخلص، ليس في حاجة إلى التعبير بوضوح عن مختلف الموضوعات التي ناقشتها في الفصلين

السابقين. يسوع لا يهتم بما نقول بل بما نفعل. وقد عبر عن هذه الحقيقة بوضوح في أحد أمثاله: «كَانَ لإِنْسَانٍ ابْنَانِ فَجَاءَ إِلَى الأَوَّلِ وَقَالَ: "يَا ابْنِي اذْهَبِ الْيَوْمَ اعْمَلْ فِي كَرْمِي". فَأَجَابَ: "مَا أُرِيدُ". وَلكِنَّهُ نَدِمَ أَخِيرًا وَمَضَى. وَجَاءَ إِلَى الثَّانِي وَقَالَ كَذلِكَ. فَأَجَابَ: "هَا أَنَا يَا سَيِّدُ". وَلَمْ يَمْضِ. فَأَيُّ الاثْنَيْنِ عَمِلَ إِرَادَةَ الأَبِ؟ قَالُوا لَهُ: "ٱلأَوَّلُ"» (متى ٢١: ٢٨-٣١). ما يهم هو ما نفعله لا ما نقوله.

أبسط الأشخاص يمكنه أن يفهم تعاليم يسوع، إذ هي لا تحتاج أي قدر من التعليم لفهمها. لو أن لاهوتنا يتطلب من الشخص سنوات من الدراسة كي يفهمه جيدًا ويستطيع أن يعلمه للآخرين فهناك شيء خاطئ خطير بشأنه. لم يؤسِّس يسوع كما لم يؤسس رسله أي معاهد لاهوتية. لأن بشارة الملكوت لا تحتاج إلى معهد لاهوتي. كذلك نادرًا ما أسس مسيحيو الملكوت معاهد للاهوت وعندما فعلوا انتهوا إلى فقد بشارة الملكوت.

بشارة الملكوت سهلة جدًا وبعيدة جدًا عن كل تعقيدات اللاهوت، لدرجة أن إعلان الإيمان التالي كان كافيًا للمسيحيين لمدة ثلاثة قرون:

> "نؤمن بالله الآب القدير صانع السماوات والأرض، وبيسوع المسيح ابنه الوحيد ربنا الذي ولد بالروح القدس من مريم العذراء، وتألم على عهد بيلاطس البنطي، وصُلب ومات ودُفن وفي اليومَ الثالث قام من الأموات، وصعد إلى السماوات، وهو الآن جالس عن يمين الله الآب القدير، وسيأتي ثانية ليدين الأحياء والأموات. نؤمن بالروح القدس، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة، وبشركة القديسين، وبمغفرة الخطايا، وقيامة الأجساد، والحياة الأبدية."[٢]

يُعرف هذا التعبير البسيط عن الإيمان باسم قانون الإيمان الرسولي. كان للمسيحيين الأوائل بكل تأكيد تعاليم وأراء أعمق من الإيمان البسيط هذا. إلا

أن هذا القانون عبر عن كل ما يحتاج المسيحي أن يؤمن به من لاهوت. لو أراد بعض المسيحيين معرفة أمور أكثر فلهم الحق في ذلك طالما لا يبالغون في الأمر ويتخطوا الإيمان المسلم لهم.

إذا كان قانون الإيمان الرسولي لاهوتًا كافيًا للمسيحية في القرون الثلاثة الأولى، فقد كان لاهوتًا كافيًا فيما تلي من قرون، وما يزال لاهوتًا كافيًا لنا اليوم. لم تنمُ الكنيسة الرسمية في فهم أفضل للمسيح بمجرد أن تخلّت عن بشارة الملكوت. ولكنها ابتعدت أكثر فأكثر عن المسيح الحقيقي.

١٩

غير مسموح للفريسيين بالدخول

تحدثت كثيرًا عن الالتزام الكامل الذي يتطلبه الملكوت. وكيف أن الملكوت ليس مكانًا لغير المنضبطين وغير الموالين له بالكامل، ومحبي العالم. كما رأينا أن أغلب البشر لن يدخلوا الملكوت، وأن الكثيرين ممن دخلوا سيُطردون في النهاية.

من الطبيعي إذًا (من منظور البشرية الساقطة) أن نشعر نحن مواطنو الملكوت بأننا أفضل شأنًا من غير المسيحيين ومن المسيحيين الدنيويين. من السهل جدًا على أي مسيحي ينتمي للملكوت أن يحتقر من هم خارجه.

ولأن يسوع يعلم بهذا الميل في طبيعتنا الساقطة، حذرنا قائلاً: «لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ. وَلِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ لأَخِيكَ: دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ وَهَا الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ. يَا مُرَائِي أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ!» (متى ٧: ١-٥)

صحيح أن أصحاب القلوب الضعيفة والفكر المزدوج لا ينتمون إلى الملكوت، لكن لا ينتمي إليه أيضًا أصحاب البر الذاتي ومن يدينون غيرهم. إن وصية يسوع بعدم إدانة الآخرين هي وصية ثورية ملزمة مثلها مثل تعليمه عن اللامقاومة.

لكن للأسف الشديد، الكثيرون ممن يطيعون تعاليم يسوع عن اللامقاومة والمال يرفضون الاعتراف بمبدأ "لا تدينوا" إذ قد أقنعوا أنفسهم بطريقة ما أن يسوع لم يكن يقصد ما قاله.

يكون من الأسهل علينا أن نحيا حياة الملكوت فقط إن استطعنا أن نربت على ظهورنا، ونتهلل مفتخرين بطاعتنا وقداستنا، ونرفض بازدراء هؤلاء الذين لا يستطيعون الوصول إلى نفس مستوانا من القداسة. لكن عندما نفعل ذلك فنحن لا نحيا حياة الملكوت إنما حياة الخداع والوهم النفسي. وحينها نكون بالنسبة ليسوع أكثر بغضة من الذين نحتقرهم.

الباب الضيق

لا عجب إذًا أن يسوع يشير علينا قائلاً: «اُدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ لأَنَّهُ وَاسِعٌ الْبَابُ وَرَحْبٌ الطَّرِيقُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْهَلاَكِ وَكَثِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ! مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ» (متى ٧: ١٣، ١٤). الطريق إلى الحياة الأبدية ضيق وصعب حقًا ويوجد على جانبيه شقوق.

يوجد على أحد الجانبين شق التراخي والدنيوية، وهو شق يسقط فيه الكثير من المسيحيين إذ أن طريق الملكوت ضيق جدًا بالنسبة لهم وهم يريدون طريقًا أسهل. إلا أن هناك الكثير من الوعاظ الذين يطمئنوهم قائلين إن ليس عليهم إطاعة تعاليم يسوع. كما يخبرونهم أيضًا أنهم ليسوا في حاجة إلى الانفصال عن العالم.

أما على الجانب الأخر من طريق الملكوت الضيق فيوجد شق الفريسية وهذا الشق هو هاوية البر الذاتي. إن لم نسقط في الشق الأول فمن المحتمل أن نسقط في الشق الثاني، إذ أن الطريق ليست سهلة.

في عام ١٩٨١ كنت أعمل محاميًا لشركة بترول صغيرة في شرق تكساس. وفي أحد الأيام كان لدينا جلسة استماع مع وكالة تكساس للسكك الحديدية في أوستن. ربما يبدو هذا غريبًا على من هم من خارج تكساس لكن في ولايتنا وكالة السكك الحديدية هي الجهة المسؤولة عن تنظيم إنتاج الغاز والبترول. على أية حال كانت جلسة الاستماع بشأن تغيير القواعد الميدانية لأحد حقول الغاز. ولأن شركتنا كانت تملك طائرة هليكوبتر خاصة بها، قررنا أن نسافر بها إلى أوستن. وفي طريقنا إلى هناك توقفنا في فينا (*Fina*) كي نأخذ معنا مهندس بترول وجيولوجي كانا سيحضران معنا جلسة الاستماع.

مر الاجتماع في أوستن بلا مشاكل وفي طريق العودة جلست في الأمام إلى جانب الطيار وكنت أشاهده وهو يقود الهليكوبتر. قلت لنفسي: "لا يبدو الأمر صعبًا بل ويمكنني أن أقود الطائرة بنفسي." لذلك سألت الطيار إن كان بإمكاني أن أمسك بجهاز القيادة لفترة قصيرة وقد وافق بسرور. سألته عما يجب أن أفعله فأراني كرة صغيرة في قرص لوحة القيادة وشرح لي قائلاً: "كل ما عليك فعله هو أن تحتفظ بالكرة في منتصف القرص. بدا لي الأمر سهلاً وعندها أخبرته أني مستعد فسلم لي جهاز القيادة.

لكن سرعان ما اكتشفت أن الحفاظ على الكرة في منتصف القرص هو أمر صعب جدًا بالنسبة لمبتدئ. كان جهاز القيادة حساس جدًا لدرجة أن أخف حركة تجعل الهليكوبتر تلف في اتجاه ثم تعود فتلف في الاتجاه المعاكس عندما أحاول أن أصحح خطأي. وهكذا ظللنا منطلقين في خطوط متعرجة في سماء تكساس وأنا أحاول يائسًا أن أحافظ على الكرة في منتصف القرص. وأخيرًا صاح المهندس الذي من فينا والذي كان جالسًا في المقعد الخلفي ويشعر بالغثيان: "ابعد هذا المحامي عن جهاز القيادة" وسرعان ما استعاد الطيار القيادة. وعندما هبطنا بالطائرة كان الرجلان من فينا ينظران لي نظرات قاسية.

كان علينا أن نعود إلى أوستن لجلسة استماع ثانية بعد ذلك بشهر، فاتصلنا بمهندسي فنا لنعرف إن كانا يريدان الذهاب معنا ثانية بالطائرة. لكنهما اعتذرا بلطف وقالا أنهما سيذهبان بالسيارة ويقابلاننا هناك. أعتقد أنهما كان يخشيان أن أجلس أمام جهاز القيادة مرة ثانية.

أن نعيش الحياة المسيحية يشبه قيادة الهليكوبتر إلى حد كبير. علينا أن نظل في منتصف الطريق وليس من السهل فعل ذلك لأن الطريق ضيقة. كما أن حدود الطريق لا تسمح لنا بالسير في خطوط متعرجة. علينا ألا نعرج ناحية شق الأمور الدنيوية ولا ناحية شق البر الذاتي. علينا أن نسير في خط مستقيم.

هل يمكننا أن نتحدث ضد الخطية؟

علمنا يسوع ألا ندين الآخرين لكنه لم يقل لنا ألا نتحدث ضد الخطية. تحدث بولس ويعقوب وبطرس وغيرهم من كتاب العهد الجديد ضد الخطية في الكنيسة ليس من منطلق البر الذاتي لكن من منطلق طاعة يسوع.

الغرض من هذا الكتاب هو تعريف المسيحيين وغير المؤمنين ببشارة الملكوت. وهي بشارة لم يعد أحد يكرز بها. وأشرت في سياق الكتاب إلى الكثير من مواطن الضعف في الكنيسة اليوم وإلى بعض انحرافاتها عن الطريق الصحيحة على مدار القرون. تحدثت عن بشارة "الإيمان السهل" وقارنت بين مسيحيي الملكوت والمسيحيين الذين يعترفون بمسيحيتهم فحسب.

إلا أنني أوكد لكم أني لم أكتب هذا الكتاب بروح البر الذاتي إذ أنني أعلم جيدًا أن ديفيد بيركوت يحتاج إلى رسالة الكتاب بقدر ما يحتاج إليها القارئ. وصلاتي هي أن تكون قراءة هذا الكتاب تحديًا للقارئ بقدر ما كانت كتابته تحديًا لي. إنني وبكل صدق لا أدين أحد ولا أفترض أنني أعرف موقفهم النهائي من

المسيح. إلا أنني مهتم جدًا بحالة المسيحية اليوم. ولهذا السبب كتبت هذا الكتاب.

وفي الوقت عينه أعلم أن بعض القراء ربما يشعرون أنه ما كان على أن استخدم صفة "مسيحي" عندما أتحدث عن هؤلاء الذين يحبون العالم ويتمسكون بأخطاء لاهوتية خطيرة وهؤلاء الذين ارتكبوا شرور جسيمة باسم المسيح. لذلك أوضح هنا مرة ثانية أن كلمة "مسيحي" في كل هذا الكتاب تشير إلى هؤلاء الذين يعلنون أنهم مسيحيون. صحة مسيحيتهم هي محل تساؤل بكل تأكيد لكنني اترك هذا ليسوع.

يجب أن أوضح أيضًا أنني استخدم تعبير "مسيحيو الملكوت" للإشارة إلى المسيحيين الجادين بشأن مواطنتهم في ملكوت الله والذين يثبتون في المسيح من خلال علاقة المحبة المطيعة. إلا أني باستخدامي لهذا التعبير لا أقصد أن كل شخص أخر إنما هو تحت الدينونة. هذا أيضًا قرار يسوع وليس قراري.

وأخيرًا أريد أن أوضح أن تعبير الكنيسة الرسمية يشير إلى كل جماعات المسيحيين المعترفين بمسيحيتهم. إلى أي مدى تتوافق الكنيسة الرسمية مع جماعة المسيحيين المؤمنين الحقيقية؟ أثق أيضًا أن هذا سؤال متروك ليسوع.

قوانين أخرى للملكوت

قوانين الملكوت الأربعة أو الخمسة التي ناقشناها هنا هي بالطبع بعض أكثر تعاليم يسوع تحديًا للفكر. لكنها مجرد جزء صغير من القوانين التي أعطاها لنا ملكنا. توجد بقية القوانين والتعاليم في كل العهد الجديد. وكوني لم أناقش هذه البقية لا يعني أنها ليست في نفس أهمية تلك التي ركزنا عليها.

تحتوي الموعظة على الجبل وحدها على أكبر مجموعة من قوانين

الملكوت. لو كنت جادًا في أن تصبح من مسيحيي الملكوت أشجعك على قراءتها ثانية متأملاً في كل تعليم، التقييم حياتك الشخصية بمقياس هذه التعاليم.

٢٠

لا يمكن أن يبقى الملكوت سراً

عندما ننضم إلى جماعة ما من شأنها أن تجعل العالم يكرهنا، من الطبيعي أن نرغب في أن نجعل أمرها سرًا. لماذا نسبب المشاكل؟ من الأفضل أن نصمت. لكن ملكنا لا يريد أن يُبقى أمر ملكوته سرًا: «اَلَّذِي أَقُولُهُ لَكُمْ فِي الظُّلْمَةِ قُولُوهُ فِي النُّورِ وَالَّذِي تَسْمَعُونَهُ فِي الأُذُنِ نَادُوا بِهِ عَلَى السُّطُوحِ» (متى ١٠: ٢٧).

علينا أن نتذكر أن الشخص الذي لم يولد ثانية لا يقدر أن يري ملكوت الله. إذًا كيف يمكن لأي شخص أن يعرف عن الملكوت إن لم نخبره نحن؟ لم يقم يسوع باستئجار وكالة إعلانات كي تذيع أمر ملكوته. لكنه كلف كل مواطنيه. هذا الأمر.

بمجرد أن رجع يسوع من البرية بعد معموديته ابتدأ يكرز. وعما كان يكرز؟ يخبرنا إنجيل متى أنه: «مِنْ ذَلِكَ الزَّمَانِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَكْرِزُ وَيَقُولُ: "تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ"» (متى ٤: ١٧). لم يضع يسوع الوقت بل سافر عبر الجليل كارزًا ببشارة الملكوت. وسريعًا ما ابتدأ يجند آخرين كي ينضموا إلى مملكته.

علم يسوع تلاميذه عن ملكوت الله، وفي ذات الوقت أعطاهم تدريبات خاصة بشأن كيفية الكرازة عن الملكوت للآخرين. بمجرد أن اختار يسوع تلاميذه الاثنا عشر أرسلهم كي يكرزوا. وبما كان عليهم أن يكرزوا؟ «وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ اكْرِزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ» (متى ١٠: ٧). فيما بعد درَّب يسوع

سبعين تلميذًا وأرسلهم إلى كل مدينة اثنين اثنين وأخبرهم قائلاً: «اَشْفُوا الْمَرْضَى الَّذِينَ فِيهَا [أي في المدينة التي يدخلونها] وَقُولُوا لَهُمْ: قَدِ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ» (لوقا ١٠: ٩).

تنبأ يسوع قبل موته قائلاً: «وَيُكْرَزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هَذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الأُمَمِ. ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى» (متى ٢٤: ١٤). وكان من أخر الأمور التي أخبر بها تلاميذه: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ» (متى ٢٨: ١٩، ٢٠).

لم تكن الكرازة بالملكوت ستنتهي بعد أن ترك يسوع الأرض إذ كان على تلاميذه أن يكزوا بكل الأشياء التي علمهم إياها عن الملكوت. كان عليهم كذلك أن يجندوا مواطنين جدد للملكوت. كان العالم كله سيسمع الأخبار السارة عن هذه المملكة المقلوبة رأسًا على عقب. ولأن الله معهم لم يكن باستطاعة أي شخص أن يوقفهم.

اصمتوا وسنترككم وشأنكم

لا عجب إذًا أن يكون هذا الجانب الجهاري للملكوت هو الذي تسبب في أغلب المشاكل. لو أن التلاميذ انعزلوا في واحة صحراوية وكونوا هناك مجتمعًا روحيًا بعيدًا عن العالم، فمن المحتمل أن كل صدام بينهم وبين السلطات الحكومية ما كان ليقع. فلا السلطات اليهودية ولا الحكومات الرومانية اهتمت بمجتمع قمران على البحر الميت (حتى حرب الاستقلال اليهودية). لو اتبع تلاميذ يسوع نفس الأسلوب لكانوا عاشوا حياة أطول في سلام.

إلا أن الملك ما كان ليقبل بهذا، فهو أيضًا كان يمكن أن يحيا حياة طويلة هادئة لو كان قد صمت. لكن الآب أرسل يسوع إلى العالم، لا بعيدًا عنه. ويسوع فعل الشيء

نفسه مع تلاميذه. كانت إرساليتهم هي نشر الأخبار عن الملكوت وليس إخفائه.

ولذلك بمجرد أن حل الروح القدس على التلاميذ ابتدأوا يكرزون بيسوع المسيح مخبرين رفقاءهم اليهود عن ملكوته. حتى تلك اللحظة كانت السلطات اليهودية لا تسعى وراء الرسل. ولكن عندما زاد الأمر، ألقت السلطات القبض على الرسل وأمرتهم أن يكفوا عن تعليم الناس عن يسوع. لكن الرسل أجابوا بكل شجاعة: «إِنْ كَانَ حَقًّا أَمَامَ اللهِ أَنْ نَسْمَعَ لَكُمْ أَكْثَرَ مِنَ اللهِ فَاحْكُمُوا. لأَنَّنَا نَحْنُ لاَ يُمْكِنُنَا أَنْ لاَ نَتَكَلَّمَ بِمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا» (أعمال ٤: ١٩، ٢٠). وبعدها أعلنوا للسلطات: «يِنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ» (أعمال ٥: ٢٨).

بعد ذلك بوقت قصير، حكمت السلطات اليهودية على استفانوس، وهو أحد التلاميذ بالموت. كما وضعوا الكثير من المسيحيين في السجن. إلا أن كل هذا لم يعرقل الملكوت. استطاع المسيحيون الذين هربوا من أورشليم أن يكرزوا بالكلمة في كل مكان ذهبوا إليه (أعمال ٨: ٤). لم يقبل مسيحيو الملكوت بالصمت. عندما وصلت بشارة الملكوت إلى تسالونيكي، احتج اليهود هناك لدى السلطات قائلين: «إِنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمَسْكُونَةَ حَضَرُوا إِلَى هَهُنَا أَيْضًا» (أعمال ١٧: ٦).

كرازة الملكوت

الملكوت لا يمكن أن يبقى سرًا بل يجب أن يُعلن، وهذه واحدة من خصائصه الأساسية. يجب أن تستمر رسالته حتى ينضم إليه رعايا جدد. وعندما تصمت جماعة ما من مسيحيي الملكوت وتفقد اهتمامها بالشهادة يبدأ تدهورها الروحي وتصبح مثل تيار ماء سكن وركد ثم ما لبثت الطحالب أن نمت به. وأخيرًا أصبح ماؤه كريهًا ورائحته فاسدة. المسيحيون الراكدون بالمثل يمكن أن يصبحوا ذوي رائحة كريهة لملكهم.

الجزء الرابع

مولد هجين

٢١

ماذا حدث لبشارة الملكوت؟

ناقشنا فيما سبق تعاليم يسوع ورسله، ورأينا كيف أن الكنيسة ظلت لما يقرب من ثلاثة قرون تتبع تعاليم يسوع حرفيًا. إلا أن الكثير من المسيحيين اليوم لا يمارسون هذه التعاليم، فما الذي حدث؟

خلال الأربعين سنة الأخيرة من القرن الثالث (من عام ٢٦٠م إلى ٣٠٠م تقريبًا) نعمت الكنيسة بفترة سلام غير مسبوقة لم تعانِ فيها من أي اضطهاد واسع النطاق من قبل الإمبراطورية ما إلا مجرد حوادث اضطهاد محلي متفرقة. بدا الأمر كبركة بالنسبة للكنيسة المرهقة المحاصرة التي تحملت موجة تلو موجه من الاضطهاد الشرير منذ يوم نشأتها.

إلا أن الكنيسة بدأت تفقد محبتها الأولى، ونتيجة لذلك نسيت قول يسوع إن في الاضطهاد بركة. تخلت الكنيسة عن حذرها، وبدأ المسيحيون، وقد نسوا الاضطهاد، في التشاحن مع بعضهم البعض. وأصبح اللاهوت (الذي يتخطى مبادئ الإيمان) والذي كان دائمًا أمرًا ثانويًا بالنسبة للكنيسة متصدرًا للمشهد إذ احتدمت الحروب اللاهوتية في كل الإمبراطورية.

كذلك نسى المسيحيون كلمات يسوع عن القوة الكنسية: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ وَالْعُظَمَاءَ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ. فَلاَ يَكُونُ هَكَذَا فِيكُمْ. بَلْ

مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلاً فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا» (متى ٢٠: ٢٥-٢٧). لم يُرد أساقفة المدن الكبرى في الإمبراطورية (روما وأنطاكية والإسكندرية) أن يكونوا خدامًا فابتدأوا يتصارعون ويحتالون فيما بينهم سعيًا للسلطة. أدعى أسقف روما أنه خليفة بطرس وأن لديه حق السلطة على كل الكنائس.

كذلك بدأ المسيحيون يفقدون انفصالهم عن العالم، فتحول انضباطهم إلى تساهل، خاصة في روما. ولأول مرة بدأ المسيحيون يتبوأون مناصب حكومية. ومع ذلك كله كانت الكنيسة عام ٣٠٠ م أكثر انضباطًا وأكثر انفصالاً عن العالم من معظم الكنائس اليوم. إلا أن مستواها تدني كثيرًا عما كان عليه قبلاً.

ثم انتهي سلام الأربعين عامًا فجأة، ذلك السلام الذي جعل الكثير من المسيحيين غافلين مرتخين. في عام ٣٠٣ بدأ الإمبراطور ديوكليشيان اضطهادًا كاسحًا لم تشهد الكنيسة مثله من قبل، إذ أحرق الكنائس في كل مكان وأمر كذلك بإبادة الكتب المقدسة. وكان جنوده يجرون الرجال والنساء إلى السجون وهناك يعذبونهم بأبشع الطرق التي لا تخطر على بال أشر وأفسد العقول. وعلى الرغم من أن معظم المسيحيين قبلوا بالحلول الوسط خلال ذلك الاضطهاد إلا أن الكنيسة ككل ظلت ثابتة. وعلى الرغم كذلك من أن المسيحيين كانوا قد فقدوا حماستهم وغيرتهم نحو الملكوت، إلا أنهم كانوا لا يزالون على استعداد للموت من أجل ملكهم.

ظل الاضطهاد مشتعلاً ضد المسيحيين لمدة ثماني سنوات. مع ذلك لم تتمكن الحكومة من تدمير الكنيسة. وفي النهاية انتصر ملكوت الله. لم تكن المعركة سهلة لكن المسيحيين أكدوا لإبليس أنه لا يمكن أن يهزم الملكوت بالقوة الوحشية. بعد أن استنفذ ديوكليشيان كل قوته أصدر مرسوم التسامح

الديني عام ٣١١ وبهذا المرسوم انتهى الاضطهاد. اعترف الإمبراطور بهزيمته وطلب من المسيحيين أن يصلوا لأجله ثم ترك منصبه وأخيرًا انتحر. وهكذا هُزم إبليس.[١]

أو ربما لم يُهزم؟ ما لم تدركه الكنيسة حينها هو أن إبليس كان يمتلك في مستودعه أكثر من سلاح مثل المكر والرياء. إن لم يستطع هو والعالم هزيمة الملكوت فليدخلوه إذًا. أو ربما يخدعان المسيحيين حتى ينضموا إليهما.

مرسوم ميلان

في عام ٣١٢ استقبل المسيحيون خبرًا سارًا أخر وهو أن قسطنطين، أحد من لهم حق الجلوس على عرش الإمبراطورية، والذي خلف ديوكليشيان، هزم منافسه ماكسنتيوس في روما. كان هذا خبرًا سارًا لأن قسطنطين كان يميل إلى المسيحيين. في الوقت الذي عانى فيه المسيحيون عامة من اضطهاد ديوكليشيان، كان المسيحيون في الأقاليم التي يحكمها قسطنطين بعيدين عن معظم أشكال هذا الاضطهاد.

جلب عام ٣١٣ مزيدًا من الأخبار السارة وهو أن قسطنطين وليسينيوس شريكه في الحكم أصدرا مرسومًا جديدًا يساوي بين المسيحية والأديان الأخرى. يُعرف هذا المرسوم باسم مرسوم ميلان والذي يقول: "قررنا أن نمنح المسيحيين وكل من في الإمبراطورية حرية إتباع أية ديانة يختارونها وعليه نعترف نحن وكل من يعيش تحت حكومتنا بكل إله موجود."[٢] كما أصدر قسطنطين وليسينيوس مراسيم أخري ينص إحداها على استعادة المسيحيين لأملاكهم التي صودرت في عصر ديوكليشيان وينص أخر على إعادة بناء كنائسهم التي أُحرقت أو هُدمت أثناء عصر الاضطهاد على نفقة الدولة.

لم يجعل مرسوم ميلان من المسيحية ديانة الدولة إلا أنه دشن الحرية الدينية في الإمبراطورية الرومانية. لكن سريعًا ما تبني قسطنطين سياسيات واضحة لصالح المسيحيين في الجزء الذي يحكمه من الإمبراطورية (كان ليسينيوس شريكه في الحكم لا يزل يسيطر على معظم الإمبراطورية الشرقية). كتب يوسيبوس وهو مؤرخ للكنيسة في القرن الرابع يصف أعمال قسطنطين التي كان معجبًا ومأخوذًا بها على النحو التالي:

"أعلن الإمبراطور التقى، متهللاً بالصليب المنتصر، أعلن ابن الله للرومانيين شاهدًا بجسارة عظيمة ... والكل بصوت واحد أعلنوا أن قسطنطين أتي بنعمة الله كبركة عامة للبشرية ...

كما سعي الإمبراطور بصورة شخصية إلى صحبة خدام الله، فميزهم وأكرمهم بأعظم طرق الاحترام والتشريف الممكنة. وأظهر نحوهم المحاباة بالقول والفعل باعتبارهم أشخاص مكرسين لخدمة الله. وعليه دعاهم إلى مائدته... واصطحبهم معه في أسفاره مؤمنًا أن الله سيكون في معونته بسببهم حيث هم خدام الله."[٣]

مباركة الكنيسة

وعليه في غضون سنوات قليلة تحول المسيحيون من أقلية مضطَهَدَة إلى المفضلين لدى البلاط الإمبراطوري. لكن للأسف لم يأتِ هذا التمييز الحكومي بلا قيود، إذ أن الحكومة عندما كانت تقرر مساعدة المسيحية بشكل ما، غالبًا ما كان يصاحب هذه المساعدة نوعًا من التدخل الحكومي في الكنيسة.

على سبيل المثال، ذكرت كيف أمر قسطنطين بإعادة بناء الكنائس التي هُدمت أثناء الاضطهاد على نفقة الدولة. ولأن الدولة هي التي كانت تمول البناء،

شعر قسطنطين أن له حقًا طبيعيًا في تقرير شكل الكنائس الجديدة.

كانت لدي قسطنطين رغبة صادقة في تعزيز المسيحية ورفع شأنها في كل الإمبراطورية، لكنه كان إنسانًا طبيعيًا لم يختبر تغييرًا من الله، متمسكًا بمبادئ العالم. وعليه لم تكن وسائله لتعزيز المسيحية والعمل على تقدمها سوي وسائل بشرية، إذ لم يكن يعرف غيرها. كان قسطنطين متيقنًا من أن كنائس المسيحيين القديمة لن تستوعب الأعداد الغفيرة التي ستأتي إليها بعد أن أصبح هو الإمبراطور الذي يعمل على تقوية المسيحية. ولذلك أصدر تشريعًا يقتضي بتوسيع أماكن العبادة المسيحية عبر كل الإمبراطورية، بل ووضع بناء الكنائس الجديدة تحت مراقبة الحكام الرومان المحليين.[٤]

لم يقتصر قرار قسطنطين على مجرد توسيع دور العبادة بل قرر كذلك أن تكون أكثر فخامة؛ فلماذا تظل دور عبادة المسيحيين مجرد مبانٍ بسيطة في حين أن الهياكل الوثنية ضخمة مزخرفة؟ ألا يجب أن يكون الوضع معكوسًا؟ ألا يجب أن يحظى الدين الحقيقي بالمباني الأكثر فخامة؟ بناء على هذا المنطق البشري قرر قسطنطين أن تتزين الكنائس بأعمدة ضخمة وأسقف مقببة. كما زينها بالعديد من الينابيع الجميلة وأرضيات الرخام الأنيقة. أراد قسطنطين أن يكون جمال الكنائس مغريًا لأي شخص غير مؤمن فيدخلها كي يري المزيد من هذا الجمال.

أجهد قسطنطين ذهنه بالتفكير في طرق أخرى يمكنه من خلالها أن "يبارك" الكنيسة، إذ كان يؤمن بصدق إنه لو بارك الكنيسة فسيبارك الله الإمبراطورية.

لاحظ قسطنطين أن الكثير من أساقفة المسيحيين وشيوخهم يعيشون في فقر، وقرر أن هذا لا يليق بممثلي الإله الواحد الحقيقي. وعليه بدأ في دفع رواتب

لهم من الموارد المالية للدولة، بل ومنح أحد بيوته وهو قصر لاتيران إلى أسقف روما وخلفاؤه. كما عفا كل الأساقفة والشيوخ والشمامسة من الضرائب وعفا كل الكنائس من دفع ضرائب الملكية. ولأن الضرائب في روما كانت مرتفعة (وارتفعت أكثر في عهد قسطنطين) كانت هذه الإعفاءات الضريبية أمرًا ذا نفع عظيم للكنائس والقائمين عليها.

والجزء الأفضل في هذا الأمر كله هو أنه لم يترتب على هذه الرواتب والإعفاءات الضريبية أية أمور غير مرغوبة، أو هكذا بدا الأمر.

الدوناتستية

حدث انشقاق في الكنيسة بشمال أفريقيا بشأن قادة الكنيسة، الذين خوفًا على حياتهم في عصر اضطهاد ديوكليشيان قبلوا بتسليم الكتب المقدسة والأدوات الكنسية. أُطلق على المسيحيين الذين رفضوا التعامل مع هؤلاء القادة اسم الدوناتستيين في حين كان الآخرون يعرفون باسم الكاثوليك. أدي هذا الانقسام إلى وجود أسقفين وجماعتين من الشيوخ وجماعتين من المؤمنين في قرطجنة بشمال أفريقيا وهما الدوناتستيين والكاثوليك. وكانت كل جماعة منهما تدعي أنها تمثل الكنيسة الشرعية في المدينة.

في الماضي كان أمرًا مثل هذا هو أمر كنسي داخلي محض، إلا أن ”بركات“ قسطنطين للكنيسة أوجدت وضعًا جديدًا. أيًا من الأسقفين هو الذي سيُمنح الراتب السخي من قبل الدولة؟ أيًا من الأسقفين ومعه جماعته من شيوخ الكنيسة هو الذي سيتمتع بالإعفاء الضريبي؟ أيًا من الأسقفين هو الذي سيستلم المبني الكنسي الجديد العظيم الذي أعيد بناؤه على نفقة الدولة؟

في البداية اعترفت حكومة قسطنطين بالأسقف الكاثوليكي كاسيليان أسقفًا

شرعيًا لقرطجنة. وعليه كان كاسيليان هو من يأخذ راتب الدولة. وكان كل رجال الأكليروس التابعين له هم الفريق المعفى من الضرائب. غضب الدوناتسيين من هذا الأمر ورفعوا شكوى أمام الحاكم الإداري الروماني لأفريقيا مدعين أنهم يمثلون كنيسة قرطجنة الشرعية. وبدوره رفع الحاكم الإداري الشكوى لقسطنطين الذي قام بتعيين أسقف روما لسماع القضية، إذ لم يكن يعرف ماذا يفعل بشكوى الدوناتستيين. لم يكن من المستغرب أن يأخذ أسقف روما المتساهل جانب كاسيليان الأسقف الكاثوليكي الذي كان صديقًا له.

وإذ شعر الدوناتسيين أن تلك لم تكن محاكمة عادلة طلبوا من قسطنطين أن يعين شخصًا أخر لا محاباة لديه لنظر قضيتهم. وعليه دعا قسطنطين إلى عقد مجمع من الأساقفة في مقاطعة الغال (فرنسا اليوم). لنظر القضية اجتمع أعضائه في أرليس عام ٣١٤ وانتهوا كذلك إلى تأييد الكاثوليك. فتظلّم الدوناتستيون للمرة الأخيرة لدي قسطنطين الذي نظر شخصيًا في قضيتهم وحكم فيها أيضًا لصالح الكاثوليك.

مثلت مباحثات الدوناتسيين تلك، السابقة الأولي التي يدعو فيها إمبراطور روما لعقد مجلس كنسي، بل ويقضي هو شخصيًا في الأمور الكنسية. لقد انهار السور الفاصل بين الكنيسة والدولة كلية، وأصبح المسيحيون على استعداد لدمج أمر ملكوت الله مع أمور العالم.

قسطنطين الأسقف الجديد

عين قسطنطين المسيحيين في مناصب حكومية رفيعة إذ كان يعتقد أن الله سيبارك حكمه إن امتلأت حكومته بالمسيحيين. ومن المفارقة أن لاكتينوس كان قد كتب قبل ذلك بعدة سنوات قائلاً: "ربما أنعم الله على شعبه (أي المسيحيين) بالثروات والممالك كما أنعم على اليهود من قبلهم، الذين نحن

ورثتهم وذريتهم. لكنه كان يفضل أن يعيش المسيحيون تحت سلطة وحكم الآخرين لئلا تفسدهم متع الغنى فينزلقوا إلى الترف والتنعم وينتهي بهم الأمر إلى احتقار وصايا الله لأن هذا هو ما فعله أسلافنا.""[٥]

وحدث ما تنبأ به لاكتنيوس عن غير قصد، حيث بمجرد أن صعد المسيحيون إلى السلطة فسدوا وزلت أقدامهم إلى طريق الترف والتنعم وانتهوا إلى احتقار وصايا الله.

في ذلك الوقت كان قسطنطين يري نفسه ""أسقف من هم خارج الكنيسة"" أي أن الأساقفة مسؤولون عن رعاية من داخل في الكنيسة أما هو فمسؤول عن الرعاية الروحية لمن هم خارج الكنيسة. وباعتباره أسقفًا علمانيًا أصدر قسطنطين قرارًا بمنع المسؤولين الحكوميين من تقديم الذبائح للأوثان ومن ممارسة العرافة.

لكن لم يمض وقت طويل حتى بدأ قسطنطين يري نفسه حاكمًا أو ""أسقفًا عامًا"" لمن هم داخل الكنيسة أيضًا.

٢٢

ملكوت اللاهوت

بحلول عام ٣٢٥ كانت الكنيسة متورطة في جدال محتدم حول طبيعة ابن الله وطبيعة الآب. كان طرفا الجدال الرئيسيان هما اسكندر أسقف الإسكندرية، وأريوس أحد شيوخ المدينة. وإذ كان قسطنطين يري في نفسه أسقفًا عامًا، أخذ على عاتقه عقد مجمع من الأساقفة في مدينة نيقية كي يسوى هذا الجدال، بل ورأس المجمع بنفسه.

دعونا نلقي بعض الضوء على طبيعة الهرطقة الأريوسية التي نوقشت في ذلك المجمع.

فهم "الطبيعة" و"الوظيفة"

منذ القرن الأول كانت الكنيسة تتمسك بمفاهيم أساسية عن الآب والابن جميعها مؤسسة على ما ورد في الأسفار المقدسة. ولكي يفهم الشخص تعاليم الكنيسة التاريخية عن الآب والابن عليه أن يفهم أولاً الفرق بين "الطبيعة" و"الوظيفة". تشير "الطبيعة" في علم اللاهوت إلى جوهر الشخص وإلى النوع الذي ينتمي إليه. لا يوجد أي إنسان رجلاً كان أو امرأة هو أقل بشرية من أي إنسان أخر. إلا أن البشر يختلفون عن بعضهم البعض من حيث الوظيفة التي

يشغلونها. الرئيس له دور غير نائب الرئيس. يتساوى الاثنان في الطبيعة لكنهما يختلفان في الوظيفة.

دائمًا ما نادت الكنيسة أن الآب والابن لهما نفس الطبيعة أو نفس الجوهر، فالابن ليس غريبًا عن الآب. ليس للابن طبيعة الملائكة لكن له نفس طبيعة الآب. الآب والابن كلاهما له ذات الطبيعة الإلهية. يمتلك الابن ذات الطبيعة الإلهية التي يمتلكها الآب.

إلا أن الآب والابن يختلفان في الوظيفة. إن المساواة في الجوهر لا تعني المساواة في الوظيفة، فكما يوجد تراتب مكاني بين الزوج وزوجته، يوجد تراتب مكاني داخل الثالوث المقدس. شرح بولس هذه الحقيقة بقوله: «وَلَكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَأْسَ كُلِّ رَجُلٍ هُوَ الْمَسِيحُ. وَأَمَّا رَأْسُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ. وَرَأْسُ الْمَسِيحِ هُوَ اللهُ» (١كورنثوس ١١: ٣). الابن أُرسل من قبل الآب، وهو ينفذ مشيئة الآب، ويجلس عن يمين الآب. هذا ا الترتيب في الوظيفة لا يمكن أن يكون معكوسًا. إلا أن الاختلاف في الوظيفة لا يلغي أبدًا إلوهية الابن.

عندما لا يفهم المسيحيون الفرق بين الطبيعة والوظيفة ينتهون إلى فهم مشوش للثالوث المقدس. تلك كانت مشكلة أريوس الشيخ في القرن الرابع. بسبب التراتب المكاني داخل اللاهوت اعتقد أريوس خطأً بوجود تراتب في الجوهر كذلك. وعليه قال إن الابن ليس له ذات طبيعة الآب ولكنه في مكان ما بين الملائكة والآب.

الحل الذي قدمه قسطنطين

رأينا كيف دعا قسطنطين إلى عقد مجمع عالمي في نيقية (نيس) كي يضع حدًا لهذا الجدال. لكن عندما عُقد المجمع في المرة الأول رأي أتباع أريوس أنهم سيخسرون النقاش إذ كان الطرف الأخر يفوقهم عددًا. لذلك تعهدوا بالخضوع

وطلبوا التسامح معهم نظرًا لطبيعة الأمور الصعبة التي ناقشها المجمع بل ووافقوا على عدم استخدام أي لغة أو تعبيرات لم ترد في الأسفار المقدسة.

لكن بدلاً من التعامل مع أريوس وأتباعه بالمحبة والعمل على إنهاء هذا الانقسام اللاهوتي داخل الكنيسة، قابل الأساقفة الأرثوذكس تعهدات الأريوسيين وطلبهم للمصالحة باحتقار. بل وسعوا عمدًا إلى حل من شأنه أن يغلق كل طريق للمصالحة بين الفريقين.

لم يكن أي أسقف أرثوذكسي على استعداد أن يقترح قيام المجمع بما كان قبلاً أمر غير وارد بالمرة، وهو إضافة شيء إلى الأسفار المقدسة. وهكذا وصل المجمع إلى طريق مسدودة. عند هذه النقطة تدخل قسطنطين "لمساعدة" الكنيسة، فاقترح إضافة كلمة (*homoousian*) أي من نفس الطبيعة، قائلاً إن الآب والابن لهما نفس الطبيعة. وسريعًا ما قبل الأساقفة حل قسطنطين وقبلوا قانون الإيمان الجديد، بعد حوالي ٣٠٠ سنة من قبول قانون الإيمان الأول.

اعتقد أن قانون الإيمان المسيحي الذي وضعه مجمع نيقيه هو أحد أفضل قوانين الإيمان إذ يعبر بإيجاز عن إلوهية المسيح وعن العلاقة بين الآب والابن. يلخص هذا القانون بكل دقة ما آمن به المسيحيون عن ابن الله منذ أيام الرسل وحتى عهد قسطنطين.*

نيقية نقطة تحوّل كبرى في تاريخ الكنيسة

ومع ذلك يمثل مجمع نيقية نقطة تحول كبري في التاريخ المسيحي – تحول إلى الأسوأ إذ، أدخل المجمع إلى الكنيسة أربعة أمور فاسدة أبعدتها أكثر فأكثر عن ملكوت الله وعن مسيحيتها الأصلية:

---

* يناقش الكاتب هذا بالموضوع بالتفصيل في كتاب سابق له بعنوان "قاموس معتقدات المسيحيين الأوائل"

١- المضَطهَد يتحول إلى مضطهِد

بعد مجمع نيقية قامت الكنيسة بحرمان أريوس الذي سبب شقاقًا بها والذي كان ينادي بتعاليم خاطئة. وكان قرارها في هذا الشأن صائبًا. لو كان مثل هذا الأمر وقع في الثلاثة قرون الأولى لكان قرارا الكنيسة وقف عند حد الحرمان. إلا أن قسطنطين تجاوز الحد وأمر بنفي أريوس من الإسكندرية موطنه إلى مقاطعة إيليريا (*Illyricum*) عبر البحر المتوسط. ثم أمر بحرق كل كتابات أريوس. والأسوأ من ذلك أنه حكم بالموت على أي شخص تُضبط معه كتابات أريوس.[١] وبدلاً من الاعتراض على هذه الإجراءات أثني الأساقفة عليها.

قبل ذلك الحدث بأربعة عشر عامًا كان المسيحيون مضطهَدين أما حينها فكانوا هم المضطهِدين. كان قسطنطين يؤمن أن حماية الإيمان "الكاثوليكي" والحفاظ عليه هو من أهم واجبات الحاكم المدني، وأن الهراطقة والمنشقين الذين يعارضون أوامره هم مجرد مجرمين عنيدين. وانتهي به الأمر إلى استخدام نفس اللغة التي كان ديوكليشيان يستخدمها في مراسيمه (التي ابتدأت أعظم وأخر عصر اضطهاد ضد المسيحيين) استخدامًا حرفيًا في المراسيم التي يصدرها لقمع الهراطقة.[٢]

هذا النوع الجديد من الاضطهاد كان أكثر خطورة في تأثيره من أي شيء ارتكبته روما الوثنية في حق المسيحيين. لم يكن هذا الاضطهاد موجهًا ضد كل من يؤمن بيسوع ربًا ومخلصًا الأمر الذي كانت روما ضالعة فيه بل يستهدف فقط كل من كانت الكنيسة الرسمية تنعتهم بالهرطقة. كان أريوس وأتباعه هراطقة بكل تأكيد. إلا أن هذا لا يبرر الاضطهاد الذي وقع عليهم. كما أن الكثيرين ممن اضطهدتهم الكنيسة فيما بعد لم يكونوا هراطقة على الإطلاق بل كانوا مسيحيين حقيقيين ينتمون للملكوت.

لم يقتصر هذا الاضطهاد الجديد على استهداف مسيحيين أبرياء ينتمون للملكوت، بل لوث ولطخ أيادي الُمضطهدِين المسيحيين أنفسهم بالدماء. وجعل أرجلهم تنزلق إلى السلوك الفاسد الذي لأهل العالم. اعتقد المسيحيون أن بإمكانهم استخدام أدوات إبليس لو فعلوا ذلك لأسباب صالحة. هذا الاضطهاد الجديد جعل من الصعب جدًا على الكنيسة أن تنصلح أو تعود إلى نقائها الأول. هذا لأن أي مصلح محتمل كان سريعًا ما يُتهم بالهرطقة ويتم إسكاته.

بإقراره لهذا الاضطهاد الذي تراعاه الكنيسة، أبطل مجمع نيقية أي عمل جيد كان يمكن أن يصدر عنه.

٢- تخطى الأسفار المقدسة

كان تأثير مجمع نيقية على اللاهوت أخطر بكثير من تأثيره على الاضطهاد. هذا لأن قانون الإيمان الذي أصدره المجمع جعل الأرثوذكسية تأتي بكلمة لا تظهر في الأسفار المقدسة وهي كلمة (*homoousian*). هذه الكلمة اليونانية تعني ''من نفس الطبيعة'' وهي تصف بدقة العلاقة بين ابن الله والآب كما ناقشناها. لا اعتراض لدى هنا على هذه الكلمة.

إلا أن مجمع نيقيه عندما جعل من كلمة لا ترد في الأسفار المقدسة حجر زاوية الإيمان الأرثوذكسي فتح بذلك صندوق باناندورا. هذا لأن المجمع بإضافته لهذه الكلمة كان يقول إن الأسفار المقدسة غير كافية وأن هناك حقائق أساسية بدونها لا يمكن أن نخلص لا ترد في الأسفار المقدسة بما يلزم من دقة ووضوح. وبدلاً من أن يضع الأساقفة ثقتهم في الله مؤمنين أن أسفاره المقدسة دقيقة ووافية، لجأوا إلى حل بشري لإنهاء الجدال الأريوسي. وما ترتب على ذلك من نتائج أضر بالكنسية أكثر بكثير مما أضرت بها بدعة أريوس.

ولأن الأساقفة تجاوزوا الأسفار المقدسة، شعروا على الفور أنهم يجب أن يعلنوا أن قرار مجمع نيقية إنما هو بوحي من الله وأنه مساوٍ للأسفار المقدسة. بعبارة أخرى، لم ينتهِ الإعلان الخاص مع انتهاء عصر الرسل. بعد فترة صمت لأكثر من مائتي عام كان الروح القدس يعطي وحيًا خاصًا مساويًا للأسفار المقدسة. وإلى اليوم تعلن الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، أن قرارات مجمع نيقية وقرارات غيره من المجامع التي يصفونها بالمسكونية لها نفس سلطة الأسفار المقدسة.

بمرور القرون أضافت الكنيسة الكثير والكثير من الكلمات التي لا ترد في الكتاب المقدس إلى العقيدة المسيحية. على سبيل المثال، بعد مجمع نيقية بحوالي ٤٦٠ سنة أي في عام ٧٨٥ م انعقد مجمع مسكوني أخر في نيقية وأصدر القرارات التالية:

> "يجب أن تحفظ مع الصليب المحيي المكرَّم جميع التماثيل المقدسة سواء كانت نقوشًا أو مجسمات في كنائس الله المقدسة، وعلى الأواني والملابس المقدسة...
>
> كل هذه الأشياء المقدسة يجب أن تُقبل ويُسجد لها (في اليونانية *proskineo*) إنما بدون التعبد (في اليونانية *latria*) الخاص بالإله وحده. يمكننا أن نقدِّم البخور ونشعل الشموع أمام هذه الأشياء المقدسة كما للصليب المحيي المكرّم ولكتب البشائر بحسب العادة التقية القديمة. هذا لأن الإكرام الذي يقدَّم للتماثيل المقدسة إنما يذهب إلى ما تمثله، والذي يسجد أمام التمثال المقدس إنما يسجد لما يمثله... وهكذا نسير على نهج بولس الذي تكلم في المسيح، ونسير على نهج كل الرسل القديسين والآباء القديسين متمسكين بما تسلمناه من تقاليد...

إننا نقدم الإكرام لهذه التماثيل المقدسة ومن لا يفعل ذلك عليه أناثيما.
أناثيما على كل من لا يقدم الإكرام لهذه التماثيل والأشياء المقدسة.
أناثيما على كل من يسمي التماثيل أوثانًا."[٣]

يدين الكتاب المقدس استخدام التماثيل وأدانته كذلك الكنيسة الأولى. أما حينها فقد أدانت الكنيسة كل من لم يستخدم التماثيل.

٣- أصبح اللاهوت هو جوهر المسيحية

بعد مجمع نيقية بدأت الكنيسة تعتقد أن اللاهوت هو جوهر المسيحية، وأن الشخص يمكن أن يصبح مسيحيًا بمجرد التصديق العقلي على قائمة من المعتقدات دون أن يحدث أي تغيير جذري في حياته.

والأكثر من ذلك أن الكنيسة لم تعد مكتفيه باللاهوت الأساسي لبشارة الملكوت. وبدلاً من ذلك بدأت تركز على أمور لاهوتية دقيقة ليس بمقدور المسيحي العادي أن يفهمها. وهكذا أنتج مجمع نيقية نوعًا جديدًا من المسيحيين: اللاهوتيين أو آباء الكنيسة. ومنذ ظهر هؤلاء اللاهوتيين لم تشهد الكنيسة عامًا واحدًا دون جدال لاهوتي.

يقول هيلاري أسقف بوينتايرز من القرن الرابع: "التشابه الجزئي أو الكلي بين الآب والابن هو موضوع جدال دائم في هذه الأيام البغيضة. كل عام، لا بل كل شهر، نضع قوانين إيمان جديدة كي نصف أسرار غير منظورة. نتوب عما فعلنا، وندافع عمن تابوا، ونحرم من دافعنا عنهم. نشجب معتقدات الآخرين في أنفسنا أو نشجب معتقداتنا في الآخرين. ويمزق كلاً منا الأخر إلى أشلاء. نحن باختصار سبب تدمير بعضنا البعض."[٤]

شهد القرن الرابع القليل نسبيًا من المجامع الكنسية، وأصبحت الصراعات بين اللاهوتيين أكثر وحشية. كان هؤلاء اللاهوتيون ينسبون الفضيلة والبواعث

النقية لأنفسهم ويتهمون خصومهم بالشر وفساد البواعث. لم يكن أي شخص مستعدًا لتصديق أن أي خطأ يتمسك به المعارضون ربما يكون بريئًا أو أن إيمانهم ربما يكون صادقًا.

لم يقترب أي شخص إلى أخيه بمحبة محاولاً أن يساعده على رؤية الحق. بل كل ما سعى اللاهوتيون إليه هو تفنيد وإدانة آراء معارضيهم. لا عجب إذًا أن يكتب المؤرخ الروماني أمينيوس مارسيلينيس (*Ammianus Marcellinus*) واصفًا عداء المسيحيين نحو بعضهم البعض بأنه يفوق ضراوة الحيوانات المفترسة نحو الإنسان.[٥]

في خلال قرن واحد بعد مجمع نيقية أصبحت الكنيسة تؤمن أن دراسة الكتاب المقدس وحده لا تكفي كي يفهم الشخص الإيمان فهمًا دقيقًا. وأصبح من الضروري دراسة كتابات آباء الكنيسة الجدد وقوانين الإيمان التي أصدرتها المجامع الكنسية المختلفة. إن كان هناك شخص تقي قارئ ودارس للكتاب المقدس فهذا لا يؤهله للوعظ في الكنيسة. ما كان يُعتد به ليس هو معرفة الشخص بما يقول الكتاب المقدس بل معرفته بما تقول الكنيسة.

وإذ انتشر سم هذه "المسيحية الجديدة" في نسيج الكنيسة، أعلنت الكنيسة في نهاية الأمر أنه ليس من حق أي شخص مهما كان تقيًا أن يبشر بالإنجيل (سواء داخل أو خارج مبنى الكنيسة) بدون تصريح رسمي من الكنيسة. وعليه أصبح الوعظ دون رخصة جريمة تُعاقب بالسجن أو حتى بالموت.

لم يُسن هذا القانون بالضرورة لأن الكنيسة أرادت متعمدة أن تُبقى الناس في الظلمة، بل أعتقد أن دوافعها كانت صادقة؛ فالواعظ الذي لا يحمل رخصة ربما ينتهي إلى إساءة فهم الكتاب المقدس وبالتالي يضلل الناس ويجعلهم

يفقدون حياتهم الأبدية. إلا أن الكنيسة كانت تستخدم طرق بشرية لحل مشاكلها بدلاً من أن تضع ثقتها في طرق الله.

٤- تحول الكتاب المقدس إلى كتاب خطير

إذ كانت الكنيسة تحرص على استخدام تعريفات من خارج الكتاب المقدس، وعلى استخدام لاهوت معقد، انتهى بها الأمر إلى تحويل الكتاب المقدس إلى كتاب خطير. كانت الكنيسة تعتقد أن المسيحيين الذين يقرؤون الكتاب المقدس بأنفسهم عليهم ألا يأملوا في الوصول إلى التعليم "الصحيح" إذ سيقعون في الهرطقة بكل تأكيد. وهكذا لم يعد بمقدور المسيحيين أن يسمعوا ما قاله يسوع في عبارات واضحة ومباشرة بل كان عليهم أن يؤمنوا بما توجههم الكنيسة للإيمان به.

وفي النهاية وصلت الكنيسة إلى الاعتقاد بأن الشخص يمكن أن يخسر روحه إذا قرأ وآمن بالكتاب المقدس. ونتيجة لذلك أصدر مجلس تولوز قانونًا ينص على الآتي: "لا يُسمح للعلمانيين بامتلاك كتب العهدين القديم والجديد بل فقط سفر المزامير وكتاب الصلوات اليومية أو كتاب صلوات مريم المطوبة، ويجب ألا تكون هذه الكتب باللغات العامية الدارجة."[٦٦]

أصبح الكتاب المقدس كتابًا خطيرًا ولم تعد كلمات يسوع ورسله آمنة كي يقرأوها الأشخاص غير المتعلمين.

٢٣

هل كان الله يغير قواعده؟

في فترة قصيرة لم تتجاوز خمسة عشر عامًا طرأت تغيرات هائلة على المسيحية. المملكة التي كانت "ليست من هذا العالم" أصبحت الآن شديدة الارتباط بمملكة من هذا العالم.

كيف حدث هذا التحول الكامل للقيم في تلك الفترة الزمنية القصيرة؟ لماذا لم يتفوه قادة الكنيسة بشيء في هذا الشأن؟ السبب هو أن هؤلاء القادة أقنعوا أنفسهم أن الله هو من كان يغير القواعد. كل الأمور التي يقولها الكتاب المقدس عن السلمية ومحبة الأعداء وعدم الانتماء لهذا العالم أصبحت تنطبق على وقت مختلف، وتمثل نموذجا فكريا مختلفًا.

كان معظم المسيحيين يعتقدون أن الله بارك الكنيسة حقًا من خلال قسطنطين. وكان الأمر يبدو كما لو أن الله هو من يقوم بهذه التغييرات. لقد صلي المسيحيون كي ينتهي الاضطهاد وبدا كل شيء كما لو كان استجابة لصلواتهم. لكن هل كانت هذه الأمور بركة من الله حقًا، أم هل كانت امتحانًا سمح الله لإبليس أن يجيز الكنيسة فيه؟ كيف كان يمكن لمسيحين القرن الرابع أن يعرفوا؟

كانت هناك طريقة سهلة جدًا لمعرفة الإجابة: كان كل ما عليهم فعله هو

الاستمرار في فعل الأشياء بحسب الملكوت. ما كان عليهم أن يحيدوا ولو مقدار ذرة عن تعاليم المسيح: «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ» (عبرانيين ١٣: ٨) وعليه لن يتغير شيء في الطريقة التي يسير بها الملكوت حتى يوم عودة الرب، ولن يكون هناك تغيير في قوانينه. لو أن الله أرسل قسطنطين كبركة ما كانت الكنيسة لتقبل بالتسويات والحلول الوسط تحت أي ظرف من الظروف، وما كانت لتقلل من شأن رسالتها. كان كل ما يحتاجه المسيحيون هو أن يظلوا أمناء لملكوت الله ووقتها كانوا سيعرفون إن كان الإمبراطور بركة أم لا.

تكميم البشارة

كما سبق وذكرت، عين قسطنطين العديد من الأساقفة والشيوخ مستشارين له. وقد كانت تلك فرصة عظيمة كي يختبروا إن كان قسطنطين مرسلاً من الله أم لا. كل ما كان عليهم فعله هو إسداء نصائح صريحة له بلا مداهنة ثم الانتظار لرؤية رد فعله. لو رفض قسطنطين المشورة الصالحة أو غضب بسببها حينها يكون برنامجه ليس من عند الله. دائمًا ما تكلم أناس الله بصراحة واستقامة مع الحكام. أنظر على سبيل المثال إلى صموئيل وناثان وإيليا وإشعياء وأرميا. لم يخف هؤلاء من إعلان الحق الآتي من الله أمام الملوك.

أو لنتأمل في يوحنا المعمدان. أتي قادة اليهود الدينيين إلى يوحنا وسألوه عما يجب أن يفعلوا. كان بإمكان يوحنا أن يفكر في نفسه قائلاً: "إن الله يبارك خدمتي حقًا. حتى قادة اليهود يأتون إلى ليسمعوا ما أبشر به، ومن خلال دعمهم أستطيع أن أصل إلى كل الأمة اليهودية." إلا أنه لم يفعل ذلك بل وبخهم على خطاياهم قائلاً لهم: «يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي؟ فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ» (متى ٣: ٧، ٨).

كما كان يوحنا على نفس موقفه الواضح هذا مع الملك هيرودس. كان هيرودس يري أن يوحنا هو نبي من عند الله. وباعتباره ملكًا كان يمكن أن يقدم مساعدة عظيمة ليوحنا. لكن هل عمل يوحنا على إرضاء هيرودس أو غير في رسالته من أجله؟ لا على الإطلاق! بل يخبرنا الكتاب المقدس أن «هِيرُودُسَ نَفْسَهُ كَانَ قَدْ أَرْسَلَ وَأَمْسَكَ يُوحَنَّا وَأَوْثَقَهُ فِي السِّجْنِ مِنْ أَجْلِ هِيرُودِيَّا امْرَأَةِ فِيلُبُّسَ أَخِيهِ إِذْ كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا. لأَنَّ يُوحَنَّا كَانَ يَقُولُ لِهِيرُودُسَ: «لاَ يَحِلُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ امْرَأَةُ أَخِيكَ!» فَحَنِقَتْ هِيرُودِيَّا عَلَيْهِ وَأَرَادَتْ أَنْ تَقْتُلَهُ وَلَمْ تَقْدِرْ لأَنَّ هِيرُودُسَ كَانَ يَهَابُ يُوحَنَّا عَالِمًا أَنَّهُ رَجُلٌ بَارٌّ وَقِدِّيسٌ وَكَانَ يَحْفَظُهُ. وَإِذْ سَمِعَهُ فَعَلَ كَثِيرًا وَسَمِعَهُ بِسُرُورٍ» (مرقس ٦: ١٧-٢٠).

كان بإمكان يوحنا باعتباره نبيًا أن يتنعم ماديًا بمساندة الملك له. إلا أن صمته كان سيُفهم ضمنيًا على أنه يعني الموافقة، وكان هذا من شأنه أن يضلل هيرودس وهيروديا. لكن عندما تحدث يوحنا أعطى فرصة لهيرودس أن يتوب. كان هيرودس يرى أن يوحنا رجل بار وقديس، ولو كان يريد أن يخدم الله حقًا لكان سمع لكلام يوحنا. لكنه لم يرد أن يحمل صليبه وفي النهاية قتل يوحنا بغير رضا هيرودس.

ترك لنا ملكنا نفسه مثالاً. عندما أتى إليه الشاب الغني، استمع إلى شهادته باحترام. ثم أخبره قائلاً: «يُعْوِزُكَ أَيْضًا شَيْءٌ. بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَوَزِّعْ عَلَى الْفُقَرَاءِ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي» (لوقا ١٨: ٢٢). ونتيجة لذلك خسر الشاب الغني كتلميذ له.

كان بإمكان القادة الدينيين في عهد قسطنطين أن يفعلوا نفس الشيء. كان بإمكانهم أن يخبروا قسطنطين أن يتخلى عن ثروته وسلطانه. كان بإمكانهم أن يذكروه بكلمات يسوع للشاب الغنى. كان بإمكانهم أن ينصحوه بأن يحب أعدائه ويصنع خيرًا لهم. لكنهم لم يفعلوا أيًا من هذه الأمور.

أول إمبراطور مؤمن

يعتقد الكثيرون أن قسطنطين هو أول إمبراطور مسيحي. لكن كان هناك إمبراطور روماني قبله اعترف بالمسيحية وهو فيليب العربي (*Philip the Arabian*) الذي حكم لفترة قصيرة في القرن الذي سبق قسطنطين. كان فيليب متزوجًا من امرأة مسيحية وكان يؤمن أن المسيحية هي الديانة الحقيقية. يخبرنا يوسيبيوس:

"توفي جورديون بعد ستة سنوات من جلوسه على عرش الإمبراطورية. وخلفه فيليب في الحكم. ويقال إنه كان مسيحيًا وأراد أن ينضم للمؤمنين في صلواتهم في الكنيسة في آخر صلاة مسائية في يوم عيد الفصح. إلا أن الأسقف وقتها رفض دخوله حتى يعترف علانية ويقف في صفوف من حكم عليهم أنهم خطاة ويجلسون (في الكنيسة) في المكان المخصص للتائبين. وإن لم يفعل فيليب كل هذا ما كان استُقبل في الكنيسة بسبب الاتهامات العديدة التي كانت موجهه ضده. يُقال إنه أطاع عن طيب خاطر مظهرًا بأعماله كيف كان يميل بصدق وورع نحو خوف الله."[١٠]

كان يمكن للأساقفة في عهد قسطنطين أن يفعلوا نفس الشيء. كان يمكنهم بلا محاباة أن يدعوا قسطنطين إلى التوبة. وبعدها كانوا سيكتشفون مدي صدق إيمانه.

تجاهل علامات التحذير

هناك العديد من علامات التحذير التي تدل على أن الشخص يعاني من أزمة قلبية أو على وشك أن يعاني منها، من بينها: ضغط غير مريح، أو ألم في الصدر

وألم في الذراع الأيسر، وضيق في التنفس. تجاهل مثل هذه العلامات عادة ما يكلف الشخص حياته.

لقد تجاهل المسيحيون في عهد قسطنطين علامات التحذير التي أعطاها يسوع عن الملكوت: «وَيْلٌ لَكُمْ إِذَا قَالَ فِيكُمْ جَمِيعُ النَّاسِ حَسَنًا. لأَنَّهُ هَكَذَا كَانَ آبَاؤُهُمْ يَفْعَلُونَ بِالأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ. طُوبى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ مِنْ أَجْلِي كَاذِبِينَ. اِفْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُمْ هَكَذَا طَرَدُوا الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ» (لوقا ٦: ٢٧ – متى ٥: ١١، ١٢).

تميل طبيعتنا البشرية إلى جعلنا نشعر بأننا على الطريق الصحيح عندما نتمتع بالقبول بين الناس، وعندما يتحدث الناس عنا بالخير. إلا أن الوضع يختلف في الملكوت. يجب أن نستشعر وجود خطأ ما عندما يتحدث الناس عنا حسنًا ويسعون إلى صداقتنا. للأسف الشديد يبدو أن مسيحيي القرن الرابع تجاهلوا تمامًا تحذيرات يسوع.

٢٤

كيف اختفت تعاليم المسيح

قبل ذلك بثلاثمائة عام كان على المسيحيين أن يُخضعوا هيكلهم الفكري لنقله جوهرية حتى يدخلوا ملكوت الله. لكن في ذلك الوقت الذي تجاهلوا فيه علامات التحذير التي أعطاها يسوع لهم كانوا على قناعة بأن الوقت قد حان لتغيير جوهري أخر في الهيكل الفكري. اعتقد المسيحيون أن الله يبدأ عهدًا ذهبيًا جديدًا يتحررون فيه من كل اضطهاد وينعمون فيه بالسلطة والغنى الأرضيين. لكن هل يقول العهد الجديد أي شيء عن هذا العصر الذهبي؟

هنا تكمن المشكلة. لا يوجد شيء في العهد الجديد يتناسب مع نموذج هذا العهد الذهبي الجديد المفترَض. لذلك كان على الكنيسة أن تبحث في فترة العهد القديم عن نموذج كتابي يتفق مع تصوراتها. وهكذا بدلاً من أن تسير الكنيسة إلى الأمام رجعت إلى الخلف، إلى إسرائيل القديمة كي تبحث عن نموذج يناسب دورها. كانت هذه نقلة فكرية لكن إلى الخلف.

سنشير إلى هذا النموذج الجديد باسم "الهجين القسطنطيني."* كان هذا النموذج محاولة للصق قوانين ولاهوت العهد الجديد في أخلاقيات وأسلوب

* يستخدم ليونارد فيردون هذا المصطلح في كتابه الشهير "تشريح الهجين" كي يشير إلى كنيسة الدولة المهجنة.

حياة العهد القديم. كما كان محاولة للدمج بين ملكوت الله وممالك العالم. تمثل الحكومة العلمانية نصف هذا الهجين وتمثل الكنيسة نصفه الأخر ويكون الاثنان معًا واحدًا صحيحًا هو "ملكوت الله" الجديد المهجن.

كما كانت مملكة العهد القديم تمتد على نفس الحدود المادية لإسرائيل هكذا كان ملكوت الله الجديد المهجن يمتد على نفس الحدود المترامية للإمبراطورية الرومانية. لم يعد ملكوت الله "داخل" الشخص بل صار إمبراطورية حقيقية ملموسة ظاهرة للعيان. وكما كان الإسرائيليون يحاربون للدفاع عن مملكتهم وليخضعوا أعداء الله، أصبح المسيحيون مدعوون لفعل الشيء نفسه. كان المسيحي الذي لا يقبل هذا الهجين القسطنطيني يرمى بالهرطقة.

دور الإمبراطور

كان ملوك إسرائيل مثل داود وسليمان ويوشيا متداخلين في عبادة شعب إسرائيل وحياته الروحية. بالمثل أصبح من حق الأباطرة الرومان أن يطالبوا "بالحق الشرعي في التدخل" في عبادة الكنيسة وحياتها الروحية. يقول يوسيبوس: "كان (قسطنطين) يمارس نوعًا خاصًا من الرعاية نحو كنيسة الله. أينما وُجد اثنان مختلفان في الرأي في أية مقاطعة من مقاطعات الإمبراطورية العديدة كان، مثل أسقف عام معينّ من قبل الله، يدعو إلى عقد مجامع الكهنة. كما لم يتردد في الحضور والجلوس معهم في هذه المجامع، وكان يتشارك في نقاشاتهم مبديًا الرأي في كل ما يتعلق بسلام الله."[١٠]

ماذا حدث لتعاليم المسيح؟

ناقشنا في الجزء الأول من هذا الكتاب بعضًا من قوانين الملكوت. والسؤال هنا هو: ماذا حدث لهذه القوانين في وجود الهجين القسطنطيني؟ أولاً: تخلى

الهجين الجديد عن كل تعاليم المسيح فيما عدا تلك التي تناسب نموذج العهد القديم. في وجود ذلك الهجين، ما كان مباحًا لليهود، أصبح مباحًا للمسيحيين كذلك. دعونا لا ننسي هذه النقطة ونحن نلقي الضوء على تعاليم الكنيسة المهجنة بشأن المال والقسم والطلاق واللامقاومة.

المال: لا يوجد أي وصية في العهد القديم تمنع الشخص من أن يكنز لنفسه ثروات هنا على الأرض. وعليه كان مباحًا للمسيحيين في ظل الهجين أن يكنزوا لأنفسهم ثروات أرضية. كان من المقبول أيضًا أن يحتفظ المسيحي بمنصب من مناصب السلطة الأرضية أو أن يسعي إلى شغله. بل وكانت الكنيسة تعلم في ذلك الوقت أن الله هو من أوجد الفوارق الطبقية بين البشر. لا ينبغي لشخص من طبقة النبلاء أن يلبس أو يعيش كواحد من الفلاحين، ولا ينبغي لفلاح أن يسعى للعيش كرجل من النبلاء.

القسم: لأن القسم كان مباحًا في العهد القديم، فقد كان مباحًا كذلك في ظل الهجين الجديد. علاوة على ذلك، أدركت الكنيسة أن جموع الناس التي تحتشد في الكنيسة لم يكونوا مجددين حقًا. لذلك لم تكن كلمتهم محل ثقة. وعليه شعرت الكنيسة أنه يجب عليها إعادة العمل بالقسم. وهكذا أصبح القسم من أساسيات مجتمع وحكومة روما في العصور الوسطى.

اللامقاومة: لا يُعلم العهد القديم شيئًا عن اللامقاومة أو عن محبة الأعداء وعليه لم تعلم الكنيسة شيئًا عنهما. وفي خلال عقود قليلة تحول المسيحيون من الجماعة الوديعة المسالمة إلى الجماعة الوحشية المتسلطة. رأينا كيف كان المسيحيون قبل قسطنطين لا يرفعون السيوف دفاعًا عن أنفسهم أمام البرابرة الوثنيين. أما في ظل الهجين فلم يترددوا في ذبح إخوانهم الرومانيين والمسيحيين كذلك.

الطلاق: كانت الأمور مختلفة قليلاً فيما يتعلق بالطلاق. هذا لأن العهد القديم منح حق الطلاق للزوج فقط في حالة إن وجد في زوجته "عَيْبَ شَيْءٍ". وعلى الرغم من أن بعض الحاخامات اليهود يفسرون هذه الآية ببعض التحرر، إلا أن الكنيسة فسرتها في حدود ضيقة، معطية الزوج الحق في طلاق زوجته فقط لعلة الزنا (*porneia*).

فسرت الكنيسة في الغرب كلمة (*porneia*) على أنها تعني انتهاك قوانين اللاويين الواردة في العهد القديم والتي تمنع الزواج في وجود صلات قرابة معينة. على سبيل المثال لا يحل للرجل أن يتزوج أخته أو أرملة ابنه (لاويين ١٨: ٩، ١٥). ولأن العهد القديم أصبح هو النموذج الذي تتبعه الكنيسة فقد أصبحت الكنيسة تعمل بقوانين زواج اللاويين بجملتها في ظل الهجين. وعليه لو كان زواج أحدهم مخالفًا لقوانين اللاويين فعليه أن يطلق زوجته (نطلق على هذا الأمر اليوم: الحصول على إلغاء أو بطلان الزواج). كانت هذه القوانين هي ما استند إليه هنري الثامن بعد ذلك بقرون كي يطلق زوجته الأولى كاثرين أوف أراجون إذ أنها كانت أرملة أخيه الأكبر.

هكذا انتهي هذا العصر الذهبي المزعوم إلى صورة مشوهة من المشابهة لإسرائيل القديمة، لكن دون القوانين الطقسية اليهودية. كان القسم وتكديس الثروات والعنف المشرع من قبل الدولة كلها أمور مقبولة. لكن الزنا والعرافة والسحر كانت محرمة لأن العهد القديم حرمها. وبعد ما يقرب من ٧٠٠ سنة سنجد أن هذا الارتباط بأخلاقيات العهد القديم هو الصفة المميزة للكنائس التي انحدرت من الهجين القسطنطيني.

في السابق قلب شعب الملكوت العالم رأسًا على عقب والآن يحاول العالم بكل قوته أن يعيد الملكوت إلى الوضع الطبيعي بالنسبة له، أي للعالم.

هل أُحبطت خطة اللّه؟

هل هذا يعني أن قصد الله قد أُحبط؟ هل لم تعد الأمور تسير كما خطط لها؟ بالطبع لا. لقد سار الهجين القسطنطيني تمامًا كما كان الله يعلم أنه سيسير. وقد سبق يسوع وأخبرنا عن كل هذا في تعاليم وأمثال الملكوت.

أخبرنا يسوع في اثنين من أمثاله أن ملكوته سيتمدد ويتسع: «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ حَبَّةَ خَرْدَلٍ أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَزَرَعَهَا فِي حَقْلِهِ وَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُزُورِ. وَلَكِنْ مَتَى نَمَتْ فَهِيَ أَكْبَرُ الْبُقُولِ وَتَصِيرُ شَجَرَةً حَتَّى إِنَّ طُيُورَ السَّمَاءِ تَأْتِي وَتَتَآوَى فِي أَغْصَانِهَا. قَالَ لَهُمْ مَثَلاً آخَرَ: يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ خَمِيرَةً أَخَذَتْهَا امْرَأَةٌ وَخَبَّأَتْهَا فِي ثَلاَثَةِ أَكْيَالِ دَقِيقٍ حَتَّى اخْتَمَرَ الْجَمِيعُ» (متى ١٣: ٣١-٣٣).

كما أوضح يسوع أنه: «مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ!» (متى ٧: ١٤). وقال أيضًا: «لاَ تَخَفْ أَيُّهَا الْقَطِيعُ الصَّغِيرُ لأَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ سُرَّ أَنْ يُعْطِيَكُمُ الْمَلَكُوتَ» (لوقا ١٢: ٣٢).

ناقشنا فيما سبق كيف أن أغلبية الأشخاص في الملكوت سيُطردون في النهاية. كان يسوع يعلم أن الهجين القسطنطيني آتٍ، وقد استخدمه كامتحان كي يغربل هؤلاء الذين لا يحبونه ولا يحبون طرقه حقًا.

٢٥

العصر الذهبي الذي لم يأتِ قط

تحدثت كثيرًا عن الجوانب السلبية للهجين القسطنطيني. ومن الخطأ أن نعتقد أنه كان سيئًا في مجمله ليس له أية جوانب ايجابية. لم تكن الكنيسة لتقع في فخ الهجين لو كان سيئًا كله. لذا دعونا في هذا الفصل نتحدث عن تلك الإيجابيات.

إضفاء الشرعية على المسيحية كان هو التغيير المنظور المباشر الذي أحدثه الهجين. أصبحت الدولة تفضل المسيحية [على غيرها من الديانات] وأعفت ممتلكات الكنيسة من الضرائب. بل وجعل قسطنطين يوم الأحد يوم عطلة رسمية كي يمكن أفراد الشعب من حضور صلاة الأحد في الكنائس. كما جرم كل الممارسات السرية.[١]

هذا الصعود المفاجئ للمسيحية، وخاصة على الصعيد العام، صاحبه انحطاط سريع للوثنية التقليدية إلى أن أُبطلت تمامًا في النهاية. وعلى الرغم من أن قسطنطين تساهل مع العبادة الوثنية وأعلن حرية العبادة للجميع (ماعدا الهراطقة) إلا أنه منع موظفي الدولة من تقديم أية ذبائح وثنية نيابة عنها. كما توقف عن مد الهياكل الوثنية بالمزيد من التمويلات بل وحول بعض هذه الهياكل إلى كنائس.

أما على الصعيد الاجتماعي، فقد أصدر قسطنطين قانونًا تقدم الدولة بمقتضاه معونات مالية للأسر الفقيرة حتى تتوقف عن ممارسة عادة شائعة في ذلك الوقت، وهي التخلي عن الأطفال غير المرغوبين حتى يموتوا. كذلك منع قسطنطين مباريات المصارعة الوحشية في عدة مدن وأغلق بيوت الدعارة وجرّم البغاء. كما حظر اتخاذ المحظيات وعاقب الزنا وجعل الحصول على الطلاق أكثر صعوبة.[٢]

الجانب المظلم من الهجين

أعتقد أن قسطنطين أراد حقًا أن يحسن المجتمع الروماني ويجرم الأشياء المكروهة لدى الله. إلا أنه لم يكن مسيحيًا مولودًا ثانية وكان لا يزل رجلاً "من العالم" ولذلك كانت الطريقة التي عرفها لتنفيذ ما يريد هي طريقة العالم والتي كانت في الغالب وحشية وقاسية. على سبيل المثال جعل قسطنطين الاعتداء والإغراء الجنسي جرائم أكثر خطورة مما كانت عليه في السابق وكان هذا حسنًا. لكن القصاص الذي حدده لمثل هذه الجرائم لا يصح ذكره: إحراق المتهم حيًا أو تمزيقه إلى إشلاء بواسطة الحيوانات المفترسة أو صب رصاص مصهور في حلقه.[٣]

إلى جانب ذلك استمر قسطنطين وجنوده في ممارسة العنف بصورة روتينية كما كان يفعل أسلافهم الوثنيين. بل أن قسطنطين تحول بمرور السنين إلى حاكم وحشي مستبد ينفق المال العام ببذخ شديد. ولكي يغطي تبذيره هذا أثقل كاهل الناس بأعلى ضرائب عرفتها الإمبراطورية في تاريخها.[٤]

شهوة السلطة

ذكرنا فيما سبق أن يسوع أوصانا بأن نتخلى عن كل ما من شأنه أن يربطنا بالأرض. علينا إذًا أن نتخلى عن كل ملكية تسبب لنا القلق وعن كل كنز يمكن

أن ترتبط به قلوبنا. السلطة الأرضية مثلها مثل ممتلكات الذهب والفضة، تسمم الحياة مثل المال تمامًا، وإن لم يكن أكثر. بمجرد أن يشرب الشخص جرعته الأولي من شراب السلطة، تجده عطِش للمزيد. ولن يمر وقت طويل حتى يفعل أي شيء للاحتفاظ بالسلطة التي يريدها، بل وسيعمل إن أمكن الأمر على زيادة ما يملكه من سلطة. هذا هو السبب الذي لأجله طلب مسيحيو القرون الثلاثة الأولى من أصحاب المنازل الرفيعة من المسؤولين الحكوميين التخلي عن مناصبهم لو أرادوا أن يكونوا مسيحيين.

كان قسطنطين محبًا للسلطة الأرضية وكان قاس عديم الرحمة فيما يتعلق بحماية سلطته. على سبيل المثال، أسس قسطنطين نظامًا للجاسوسية في كل أنحاء الإمبراطورية حتى يكون مطلعًا على كل نقد يوجه إليه وعلى كل منافس محتمل له أو على أي استعدادات للتمرد عليه. لو اتهم جواسيس قسطنطين أي شخص بعدم الولاء له، تجرجر السلطات هذا الشخص إلى ميلان أو القسطنطينية كي يواجه التهم المنسوبة إليه. ولو لم يكن هناك ما يكفي من أدلة ضده، يعذبه السجانون حتى يعترف "بجريمته." كانت هذه الإجراءات تُنفذ ضد كل متهم حتى وإن كان مسيحيًا. فكون المتهم مسيحيًا لم يكن يصنع فرقًا.

ذكرت فيما سبق أن قسطنطين وزوج أخته ليسينيوس أصدرا معًا مرسوم ميلان عام ٣١٣. وكان قسطنطين يحكم الإمبراطورية الرومانية الغربية وليسينيوس يحكم الإمبراطورية الشرقية. إلا أن قسطنطين لم يرغب حقًا في تقسيم الإمبراطورية وكان يتطلع إلى حكم كل الإمبراطورية الرومانية. كما كان يخشى أن يكون لدي ليسينيوس التطلعات عينها.

وعليه قام قسطنطين عام ٣٢٤ بغزو الأراضي التي يحكمها ليسينيوس وبرر فعله هذا للكنيسة على أساس أن ليسينيوس ابتدأ يضطهد المسيحيون من

جديد.[٥] وعلى عكس الحروب الرومانية السابقة كان هناك مسيحيون في صفوف هذا الجيش وقد شاركوا في عمليات القتل أثناء الحرب على ليسينيوس. كما طلب قسطنطين من بعض أساقفة الكنيسة أن يرافقوا جيشه ويصلوا من أجل الجنود أثناء الحرب. كذلك أمر بعمل صليب كبير كراية للحرب يحملها الجنود كتعويذة من شأنها أن تضمن لهم النصر.[٦]

وبالفعل انتصرت قوات قسطنطين وأُسر ليسينيوس. وبعد أن أصبح قسطنطين هو الحاكم الأوحد للإمبراطورية الرومانية أعلن أن الله هو من حقق له كل ذلك:

> "بالطبع لا يمكن أن يوصف من أخذ من يد الله العون الكثير، بالعجرفة والتكبر، عندما يستخدم أرفع وأمجد كلمات الثناء لوصف هذا العون والاعتراف به. لقد كنت أنا نفسي الوسيلة التي اختار الله أن يقدم من خلالها معوناته. كنت أنا الشخص الذي رآه مناسبًا لإتمام مشيئته... وبقوة المعونة الإلهية قضيت تمامًا على كل شر كان قائمًا. وقد تم كل ذلك على أمل أن يلتفت الجنس البشري – الذي استنار من خلال استخدامي كأداة في يدي الله – إلى قوانين الله المقدسة ويتبعها كما يجب. وكذلك على أمل أن يزدهر إيماننا المقدس تحت إرشاد يد الله القدير."[٧]

بعد أن انتصر قسطنطين على ليسينيوس وعد زوجة ليسينيوس، التي هي أخته، بأن يقضي زوجها بقية حياته في سلام وراحة. بل وأكد لها وعده بأن أقسم لها على كلامه. لكن في خلال شهر كان قسطنطين قد أعدم ليسينيوس[٨] إذ لم يستطع أن يبقي على حياة منافس محتمل لها.

إلا أن قسطنطين كان له منافسون محتملون في كل مكان. ولذلك لم يتوقف قسطنطين عند ليسينيوس، فلم يمض وقت طويل حتى قتل ابنه كريسبوس

وبعدها قتل ابن أخته الذي ظن أنه يسعى وراء العرش. كما قتل زوجته الثانية فوستا خوفًا من أن تتآمر ضده.[٩] ومع ذلك حولت الكنيسة وجهها بعيدًا ولم تدنه أو تنتقده على كل هذه الجرائم.

قام قسطنطين وهو على فراش الموت بتوريث عرش الإمبراطورية الرومانية لمن تبقى من أبنائه وكانوا ثلاثة وهم قسطنطيوس وقسطانس وقسطنطين الثاني وكذلك لأبني أخته الأكبر سنًا. وكان الخمسة رجال مسيحيين. كان معني هذا أن روما ستستمر كدولة مسيحية. إلا أن الخمسة كان لهم نفس شهوة قسطنطين للسلطة. وبالتالي بعد وفاة قسطنطين بفترة قصيرة قام ابنه قسطنطيوس بذبح ابني الأخت بل وذبح كل ذكر في هذا الجانب من العائلة.

وبموت ابني أخت قسطنطين قسم الثلاثة أبناء الإمبراطورية فيما بينهم. كان من المفترض أن يسود السلام إذ أن الثلاثة هم إخوة وأيضًا مسيحيون.

إلا أن المسيحية الجديدة لم يكن لها علاقة بمسيحية الملكوت الحقيقية. لم يكن أي من الأخوة الثلاثة مكتفيًا بثلث الإمبراطورية. قام قسطنطين الثاني لغزو إيطاليا كي ينتزع القسم الواقع تحت سيطرة أخيه قسطانس. إلا أنه مات أثناء محاولة الغزو. وهكذا تبقي اثنين من الحكام الخمسة. حكم قسطانس الإمبراطورية الغربية وحكم قسطنطيوس الإمبراطورية الشرقية.

لكن حتى هذا التقسيم البسيط للسلطة لم يستمر طويلاً. قام جنرال في الجيش يدعى ماجننتيوس بقتل قسطانس والاستيلاء على الإمبراطورية الغربية. ولم يكتف بذلك بل سعى للاستيلاء على كل الإمبراطورية فقام هو وجنوده بمهاجمة قسطنطيوس الابن الوحيد المتبقي لقسطنطين. هذه المرة هُزم ماجننتيوس وهرب إلى الغال تاركًا قسطنطيوس الحاكم الأوحد للإمبراطورية.[١٠]

لكن أين هو العصر الذهبي الذي كان من المفترض أن تجلبه المسيحية للإمبراطورية؟ شهدت الإمبراطورية الرومانية المسيحية الجديدة في نصف قرنها الأول حروبًا أكثر من تلك التي شهدتها الإمبراطورية الرومانية الوثنية في قرنيها الأولين. استطاع أوائل الأباطرة الرومان الوثنيون إرساء قرنين من الاستقرار والرخاء والسلام (عهد السلام الروماني). أما الأباطرة المسيحيون فابتدأوا فترة من الحروب الأهلية التي لا نهاية له، وفرض الضرائب الثقيلة، ومن ثم التدهور السريع للإمبراطورية.

فالنتنيان

بعد موت قسطنطيوس أصبح ابن أخت قسطنطين ويدعى جوليان هو الإمبراطور الجديد. كان جوليان قد استطاع الفرار من المذبحة التي قام بها قسطنطيوس ولما كان قد رأي من المسيحية على أرض الواقع ما يكفيه لم يرد أن يكون له أي ارتباط بها. وعليه حاول إحياء الوثنية التقليدية في الإمبراطورية على الرغم من أنه كان متسامحًا مع المسيحية. إلا أن محاولاته باءت بالفشل.

بعد موت جوليان بعام تم إعلان فالنتنيان إمبراطورًا. كان فالنتنيان مسيحيًا متدينًا، وكمسيحي كاثوليكي عاش حياة الطهارة. كما أصدر العديد من القوانين الجديرة بالثناء. على سبيل المثال، أقام فالنتنيان طبيبًا عامًا في كل مقاطعة من مقاطعات روما الأربع عشر كي يعتني بالفقراء. كما سمح بالحرية الدينية للوثنيين واليهود والمسيحيين من كل المذاهب.[١١] كان يجب أن تكون الحياة في عهد فالنتنيان هي العصر الذهبي الذي انتظره المسيحيون. لكنه لم يكن كذلك.

مثل كل الأباطرة المسيحيين قبله، كان فالنتنيان دائم الخوف من أن يقوم أحدهم بانقلاب ضده ويأخذ عرشه الثمين. ولذلك - مثل قسطنطين من قبله - استخدم الجواسيس لكشف أي خيانة، وعلى الأخص من جانب أي شخص قد

يكون منافسًا محتملاً له. وأصبح فالنتنيان يقيم اجتهاد الحكام والقضاة في عملهم بعدد أحكام الإعدام التي ينفذونها في محاكمهم. كان الجواسيس والأعداء السياسيون يوجهون لمن يقبضون عليهم - ومنهم مواطنون شرفاء - اتهامات لا تُحتمل وينتزعون منهم الاعترافات بالتعذيب القاسي ثم يستخدمونها كدليل إثبات ضد المتهمين. الكثير من العائلات الثرية أصبحت معدمة ومئات من أعضاء مجلس الشيوخ والفلاسفة ماتوا بطرق شائنة وهم محتجزون في زنزانات رطبة أو في حجرات التعذيب.[١٢]

عاش المواطنون الأبرياء في كل مكان وهم يخشون أن يُتهموا بالخيانة. كان فالنتنيان يري أن الشك في أحدهم هو دليل إدانة كاف لو كان الأمر يتعلق بعدم الولاء لحكمه.[١٣] كما كانت أقل إهانة حقيقية أو متخيلة قد يترتب عليها قطع لسان مواطن أو حرقه حيًا. علق أحد المؤرخين قائلاً إن أكثر الكلمات التي كان فالنتنيان يستخدمها هي: "اقطعوا رأسه" و"أحرقوه حيًا" و"اضربوه بالهراوات حتى يلفظ النفس الأخير"[١٤]. كان بإمكانه أن يشاهد المواطنين وهم يتلوون من شدة الألم وهو هادئ تمامًا دون أن يشعر بأي شفقة تجاههم. كما لم يشعر أبدًا أن ما يفعله يناقض المعتقدات المسيحية بأي شكل من الأشكال.[١٥]

في النهاية كان طبع فالنتنيان الحاد وغضبه الذي لا يتحكم به هما سبب خرابه. كان أحد ضباطه قد دعي ملكًا بربريًا لمأدبة لكنه قتله غدرًا. ردًا على ذلك قامت قبيلة الملك البربري بالانتقام من الرومان بأن نهبت وسلبت العديد من المقاطعات الرومانية.

لكن بدلاً من الاعتذار عن جريمة القتل والسعي إلى الصلح، قاد فالنتنيان الجيوش الرومانية ضد البرابرة وانتقم منهم انتقامًا دمويًا. وعندما أتي رسل من البرابرة إلى خيمة فالنتنيان طلبًا للرحمة ثار غضبه عليهم لدرجة أن وجهه

تحول إلى اللون الأرجواني. وأخذ يصرخ في وجوههم بكل قوة. لكن في نوبة غضبه تلك انفجر شريان دم في مخه فمات في الحال.[١٦]

سقوط روما

إن واحدة من الأساطير التاريخية الثابتة هي أن روما سقطت لأنها انجرفت إلى الرذائل الوثنية وإلى الانغماس المفرط في حفلات السكر والعربدة وأشكال التسلية الوحشية. يشير الكثير من الكتاب المسيحيين إلى روما كمثال لما سيحدث لأمريكا لو لم تستعد الأخلاقيات الكتابية.

إلا أن روما لم تسقط عندما كان الوثنيون يحكمونها. عندما سقطت روما كانت ألعاب المصارعة قد جُرّمت وفُرض على الشعب أخلاقيات العهد القديم الصارمة. بالإضافة إلى ذلك كان كل سكان روما تقريبًا مسيحيين.[١٧]

وفي يد من سقطت روما؟ تعكس الصورة الشائعة للحدث أنها وقعت في يد قبائل وحشية من أنصاف العراة البرابرة الذين يعبدون ثور إله الرعد والأمطار، وتصورهم وهم يتدفقون على أسوار روما ويقتلون كل من يرونه. إلا أن هذه الصورة هي أيضًا أسطورة. الشعوب الجرمانية التي غزت روما لم تكن شعوب وحشية غير متحضرة بل كانوا نصف رومانيين في ثقافتهم وكان الكثيرون منهم حلفاء للإمبراطورية بل ومدافعين عنها. والأكثر من ذلك أنهم كانوا مسيحيين يعترفون بمسيحتيهم.[١٨]

العصر الذهبي الذي كان من المفترض أن يزدهر لم يأت أبدًا. بالطبع كانت الإمبراطورية الرومانية منهارة بالفعل عندما ورثها المسيحيون. ومع ذلك لم يكن المسيحيون حكامًا أفضل من أسلافهم الوثنيين، فبدلاً من تحسين الأوضاع جعلها الأباطرة المسيحيون أسوأ. وكانت النتيجة أن عَجَلت الضرائب الباهظة

التي فرضوها، وحروبهم الداخلية التي لم تكن تنتهي، من سقوط الإمبراطورية، الذي بدأ مع حكامها الوثنيين في القرن الثالث حتى انهارت كل الإمبراطورية الغربية تمامًا.

استبدل المسيحيون في أوائل القرن الرابع. مملكة العالم بملكوت الله وهذه هي أسوأ الصفقات في كل التاريخ إلى جانب صفقة عيسون التي استبدل فيها طبق العدس ببكوريته. لكن على الأقل عيسو أكل العدس، أما المسيحيون فلم يخسروا فقط ملكوت الله بل خسروا أيضًا الإمبراطورية الرومانية.

الأحداث التي وقعت منذ تبوأ قسطنطين عرش روما عام ٣١٢ إلى أن خُلع أخر أباطرة الإمبراطورية الغربية عام ٤٧٦ بها الكثير الجدير بتأمل المسيحيين. حقق الأباطرة الوثنيون النصر في معظم حروبهم في حين لم يحققه الأباطرة المسيحيون. المسيح هو رئيس السلام. لماذا إذًا كان الأباطرة الوثنيون – حتى الأشرار منهم مثل كاليجولا ونيرون – قادرين على الحفاظ على السلام الروماني في حين فشل الأباطرة المسيحيون في ذلك؟ لماذا استمرت الإمبراطورية وازدهرت تحت حكم الأباطرة الوثنيين في القرنين الأول والثاني في حين انهارت تحت حكم الأباطرة المسيحيين في القرنين الرابع والخامس؟

مع حلول عام ٤٦٧ كان يجب أن يكون واضحًا أن الهجين القسطنطيني لم يكن من الله.

نموذج الهجين

لم يَقُد سقوط روما الكنيسة إلى التوبة كما لم يؤدِّ إلى نهاية الهجين القسطنطيني. في الواقع أصبحت الكنيسة هي المؤسسة المهيمنة في العصور الوسطى، والتي استمر فيها النموذج الاجتماعي للهجين القسطنطيني. كانت

الخطايا الجنسية والعرافة والإجهاض والتسلية البذيئة جميعها أمور مدانة (على الرغم من أنه فيما يتعلق باللا أخلاقية الجنسية كان هناك معيار مزدوج متاح للنبلاء). أما تكديس الثروات والقسم والقتل في الحرب فكانت مقبولة. كان هذا هو شكل الحياة في عهد قسطنطين واستمر هكذا في العصور الوسطى كنموذج لمعظم الحكومات "المسيحية" منذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا.

٢٦

أغسطينوس - المدافع عن الهجين

كانت الإمبراطورية الرومانية تتداعي، وكانت الكنيسة تغوص في العالم بدلاً من أن تقلبه رأسًا على عقب. وكان ملكوت الله في حاجة شديدة إلى رجل مثل بولس أو يوحنا المعمدان كي يقف بقوة في وجه الهجين القسطنطيني. إلا أن ما حصلت عليه الكنيسة وقتها بدلاً من هذا الرجل هو أغسطينوس، المدافع الأول عن الهجين.

كان أغسطينوس مثالاً نموذجيًا لعصره، يقبل الهجين القسطنطينى بكل تفاصيله ويقبل ما أحدثه من تغييرات في الكنيسة. كما كان مدافعًا مقتدرًا عن الهجين. للأسف لم يكن هناك ناطقون موهوبون باسم الملكوت وبالتالي سادت أراء أغسطينوس.

إلا أن أغسطينوس فعل أكثر من مجرد الدفاع عن الهجين. حاول أغسطينوس الدفاع عن المسيحية القويمة ضد ادعاءات المهرطقين مثل الغنوسيين. وكانت طريقته في الدفاع هي الاستماع إلى رأي خصومه أولاً ثم تبني الرأي المناقض تمامًا لما يقولونه.

لتوضيح الأمر دعونا نشبه أحد المعتقدات الرسولية باللون الأخضر – والذي

نحصل عليه من دمج اللونين الأزرق والأصفر. ودعونا نشبه موقف الهراطقة من هذا المعتقد باللون الأزرق. وهذا يعنى أن المهرطق يملك بعض الحق لأن الأزرق هو جزء من الأخضر. إلا أنه لا يملك الحقيقة كاملة بل قام بتبديل المعتقد الرسولي بترك جزء أساسي منه وهو اللون الأصفر.

لم تكن طريقة أغسطينوس هي دعوة خصومه إلى الحق الرسولي الكامل الذي يمثله اللون الأخضر. كان كل ما يفعله هو تبني الموقف المعاكس بأن يقول إن الأمر ليس أزرق نهائيًا بل هو في الواقع أصفر. وهو هكذا يرفض الاعتراف بامتلاك خصمه لجزء من الحق. وكانت طريقته تلك تنجح في الفوز بالمجادلات.

ربما نجح أغسطينوس في الفوز بالمجادلات لكنه في أثناء ذلك كان يقلب المسيحية الكتابية التاريخية، فالأصفر الذي تبناه هو نصف حقيقة الإيمان الرسولي (الأخضر) تمامًا مثل الأزرق الذي نادي به الهراطقة. سأعطى فيما يلي مثالين لتوضيح ما أقصده.

أغسطينوس ضد الغنوسيين

كانت الغنوسية من بين أوائل الهرطقات التي واجهتها المسيحية. علَّمت الغنوسية أن العالم المادي هو شر وأن إله أخر غير إله العهد الجديد هو من خلقه. ولكي يثبت الغنوسين صحة رأيهم أشاروا إلى حقيقة اختلاف تعاليم يسوع عن تعاليم موسي. على سبيل المثال، أمر إله العهد القديم شعب إسرائيل بالذهاب إلى الحرب في حين أن يسوع أخبر تلاميذه أن يحبوا أعدائهم. بالطبع قبل الكثير من الغنوسيين تعاليم ملكوت يسوع لكنهم رفضوا كل العهد القديم باعتباره من عمل إله أخر. بل وأنكروا أن ابن الله تجسد.

كان الكتاب المسيحيون الأوائل مثل إيريانوس وترتيليان قد دافعوا بكل مهارة عن المسيحية التاريخية ضد تعاليم الغنوسية. قال هؤلاء المدافعون الأوائل عن الإيمان إنه لم يكن هناك إله جديد بين العهدين القديم والجديد، بل كان هناك استمرارية في الوحي بين العهدين. كان ناموس موسى بمثابة معلِّم يُعد شعب إسرائيل للمسيح، وإن تعاليم يسوع كانت هي الهدف الأساسي الذي كان الناموس يعد شعب إسرائيل له.

لكن مثل هذا الدفاع لم يناسب الهجين القسطنطيني. قلنا سابقًا أن الهجين كان في الأساس مزيجًا من لاهوت العهد الجديد وأخلاقيات وأسلوب حياة العهد القديم. كان الاعتراف بأن العهد الجديد يقدم قوانين أخلاقية جديدة أعظم من تلك التي يقدمها العهد القديم يعني الاعتراف بخطأ الهجين. وهذا لا يصلح.

ولذلك هاجم أغسطينوس الغنوسيين (الذين كانوا يُعرفون في وقته بالمانويين *Manichaeans*) بأن أنكر منطقهم الضمني. قال أغسطينوس إن تعاليم يسوع لم تكن مختلفة عن العهد القديم، فالقتل في العهد الجديد مشرع تمامًا كما كان في العهد القديم. كتب أغسطينوس: "ما هو شر الحرب؟ هل هو موت شخص سيموت بأية حال حتى يعيش آخرون في خضوع سالمين؟ هذا كره للحرب ناتج عن جبن وخوف وليس عن أي مشاعر دينية. إن الشر الحقيقي للحرب يكمن في محبة العنف وقسوة الانتقام والخصومة العنيدة والبغيضة والمقاومة الجامحة والتعطش للسلطة وما إلى ذلك. ومن أجل معاقبة هذه الأمور – إن تطلب الأمر القوة لتنفيذ العقاب – يذهب بعض الرجال الصالحين للحرب طاعة لله أو للسلطة القانونية. وإذ يجدون أنفسهم في هذا الموقف، الذي يتعلق بإدارة الأمور البشرية، يتطلب السلوك الصحيح أن يتصرف أحدهم بالطريقة الملائمة، أو يدفع آخرين للتصرف بطريقة معينة."[١]

لكن ألم يوصينا يسوع بمحبة أعدائنا وبعدم مقاومة الشر؟ أجاب أغسطينوس عن هذا السؤال قائلاً: "ربما لم يشرع الله الحرب لأنه في وقت لاحق قال يسوع «لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا» لكن اعتقد أن المقصود هنا ليس فعل جسدي بقدر ما هو توجُّه داخلي."[٢] بعبارة أخرى يمكنك أن تقتل أي شخص طالما تحب من تقتله!

يستمر أغسطينوس قائلاً: "يأمرنا الرب بالصبر عندما قال «مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا». ربما يكون هذا موقف داخلي على الرغم من أنه لا يظهر في فعل جسدي أو في كلمات. لأن الرسول عندما كان محزون القلب... صلي لكي يغفر الله للمسيء إليه في العالم الآخر، على ألا يترك ما أوقعه عليه من ضرر بلا عقاب. ففي داخله كان هناك مشاعر رقيقة تجاهه لكن في الخارج تمنى أن يعاقب الرجل كمثال."[٣]

يمكن لمثل هذا المنطق أن يفوز بمناقشة في بحث. إلا أنه تلاعب مع المسيح. يقول أوغسطينوس إنه يمكننا أن نمارس نفس هذه الأفعال القاسية مثل العالم. يمكن أن تكون أفعالنا في مثل عنف أفعال شعب إسرائيل في العهد القديم. علينا فقط أن نتأكد أن مشاعرنا الداخلية هي لطف وسلام ومحبة.

بإتباع هذه الطريقة في المناقشة، كان بإمكان أغسطينوس أن يبرر ويسوغ أي شيء. على سبيل المثال، قال أغسطينوس إن اضطهاد الدوناتين هو عمل محبة مسيحية إذ إن هذا أرجعهم إلى حقل الكنيسة: "أليس من بين أعمال الراعي عندما يترك خروف القطيع، على الرغم من أنه لم يُجبر بالعنف على تركه، بل ضل بسبب كلمات رقيقة أو تملق ومداهنة، أن يعيده إلى قطيع سيده عندما يجده. ربما يعيده بالسوط، يخيفه به أو حتى يؤلمه به لو أظهر أي مقاومة."[٤]

ما لم يفهمه أوغسطينوس هو أن الوسيلة في ملكوت المسيح هي في نفس أهمية الغاية. لا يستخدم المسيحيون الشر والعنف كوسيلة في محاولة للوصول إلى غاية صالحة. الكيفية التي نصنع بها الشيء هي في نفس أهمية الشيء الذي نفعله.

الحرب العادلة

ينسب البعض الفضل لأغسطينوس في وضع عقيدة "الحرب العادلة." إلا أنه لم يفعل، بل من وضعها هم الفلاسفة والحكام اليونانيون الوثنيون. وكل ما فعله أغسطينوس هو أنه اقتبس ما علموه لمئات السنين قبله.[٥]

رأيت قوائم عديدة للمعايير التي وضعها أغسطينوس حتى تكون الحرب عادلة وبالتالي مقبولة أخلاقيًا لدي المسيحي. إلا أن هذه القوائم مضللة إلى حد ما. لم يكتب أغسطينوس أبدًا رسالة عن عقيدة "الحرب العادلة." ولم يكتب أبدًا قائمة بالمعايير التي تجعل من الحرب عادلة. لكن بدلاً من ذلك نجد العديد من لاهوتي العصور الوسطى مثل توما الأكويني يضعون قوائم وينسبونها لأغسطينوس.

الحقيقة هي أن أغسطينوس برر الحرب كما أسلفنا، وقدم العديد من مبررات الحرب في أعماله المتعددة. إلا أنه لم يقل إن كل هذه المعايير يجب أن تتوافر حتى تكون الحرب عادلة. لكن بناء على كتابات أغسطينوس خرج اللاهوتيون في العصور الوسطى بقائمة من الشروط التي تجعل الحرب عادلة. يري هؤلاء اللاهوتيون أنه من المقبول والمشروع أن يقتل المسيحي إنسان أخر إذا:

- كان المسيحي يحب الرجل الذي يقتله.
- كان المسيحي يقتل فقط في الحرب التي كانت له ملاذًا أخيرًا بعد أن لجأ إلى كل الحلول الممكنة وفشل.

- كان المسيحي يقتل فقط في حرب قامت من أجل إعادة حقوق انتُهكت أو من أجل مقاومة مطالب غير عادلة مؤيدة بالقوة.
- كان المسيحي يقتل فقط في حرب قامت تحت سلطان الحاكم.
- كان المسيحي يقتل فقط في حرب لجيشه فيها فرصة انتصار معقولة.
- حاول المسيحي أن يميز بين الجنود والمدنيين ولا يحاول أبدًا قتل المدنيين عن عمد.
- كان المسيحي يقتل فقط في حرب، القتل فيها يتوافق مع الغاية التي قامت لأجلها.
- كان المسيحي يقتل فقط في حرب الخير الذي يتحقق بالعنف فيها، يفوق الشر الذي يترتب على هذا العنف.
- كان المسيحي يقتل فقط في حرب لا يسعي الطرف الفائز فيها إلى إذلال الخاسر.[٦]

لو كنت مسيحيًا عزيزي القارئ فستبدو لك هذه الشروط سخيفة. أو ربما لا تبدو كذلك إن كنت متأثرًا بالهجين القسطنطيني، وبالتالي بدفاع أغسطينوس عنه. اسمح لي إذًا أن أساعدك على رؤية سخافة هذه الشروط.

بحسب قانون الحرب القديم كان أمر شرعي وجدير بالاحترام أن يقتل المحارب رجال العدو ويغتصب نساءهم. رأينا كيف برر أغسطينوس قتل الرجال. دعونا نري إذًا كيف ستبدو نفس شروطه لو طُبقت على الاعتداء على النساء. دعونا نقول إنه من المقبول والمشروع أن يعتدي المسيحي على امرأة إذا:

- كان المسيحي يحب المرأة التي يعتدي عليها.
- كان المسيحي يعتدي على النساء فقط في الحرب التي كانت له

ملاذًا أخيرًا بعد أن لجأ إلى كل الحلول الممكنة وفشل.

- كان المسيحي يعتدي على النساء فقط في حرب قامت من أجل إعادة حقوق انتُهكت أو من أجل مقاومة مطالب غير عادلة مؤيدة بالقوة.
- كان المسيحي يعتدي على النساء فقط في حرب قامت تحت سلطان الحاكم.
- كان المسيحي يعتدي على النساء فقط في حرب لجيشه فيها فرصة انتصار معقولة.
- حاول المسيحي أن يميز بين زوجات الجنود وزوجات المدنيين ولا يحاول أبدًا الاعتداء على زوجات المدنيين عن عمد.
- كان المسيحي يعتدي على النساء فقط في حرب الاعتداء على النساء فيها "يتناسب" مع الغاية التي قامت لأجلها.
- كان المسيحي يعتدي على النساء فقط في حرب الخير الذي يتحقق بالعنف فيها، يفوق الشر الذي يترتب على هذا العنف.
- كان المسيحي يعتدي على النساء فقط في حرب لا يسعي الطرف الفائز فيها إلى إذلال الخاسر.

ربما ليس من الصعب رؤية مدى سخافة هذه المعايير عندما تُطبق على الاعتداء على النساء. لماذا من الصعب إذًا أن نري نفس السخافة عندما يكون الحديث عن قتل الرجال؟ هذا لأن أغلبنا واقع تحت تأثير الهجين. لقد نشأنا في مجتمعات تقبل وتروج لقيم الهجين. تذكر أنه في ظل الهجين لم تكن خطايا العنف مثل القتل والتعذيب مدانة طالما كانت تتم تحت سلطة الحكام. لكن الهجين كان دائمًا ينتقد كل أنواع الخطايا الجنسية.

إن شروط "الحرب العادلة" هي انتهاك مباشر لتعاليم يسوع. على سبيل المثال، تقول أحد هذه الشروط إن الحرب كي تكون عادلة يجب أن تقوم من أجل

إعادة حقوق انتُهكت أو من أجل مقاومة مطالب غير عادلة مؤيدة بالقوة. لكن يسوع كان قد تناول هذه القضية حين قال لا تقاموا الشر، وإن أخذ أحد رداءك فأعطه الثوب أيضًا، وإن أجبرك على حمل عدته لمسافة ميل فاحملها له ميلين. المسيحيون لا يشنون الحرب لإعادة الحقوق المنتهكة بل يرحبون بمكابدة الخسارة ويحولون الخد الأخر. المسيحيون لا ينتقمون أو يردون القتال بالقتال ثم يقولون إنهم يفعلون ذلك في محبة.

من الذي يقرر إن كانت الحرب عادلة أم لا؟

ومع ذلك دعونا نفترض أن الحرب التي تنطبق عليها كل الشروط التي أوردتها سلفًا ستكون عادلة حقًا في نظر الله. في هذه الحالة يكون سؤالنا التالي هو: "من الذي يقرر أصلاً انطباق هذه الشروط على الحرب من عدمه؟" الكنيسة أم الفرد المسيحي أم الدولة؟ يجيب أغسطينوس إن الدولة هي التي تقرر. وعليه كيف يمكن للشخص المسيحي أن يعرف أن الحرب التي يشارك فيها هي حقًا عادلة؟ الإجابة هي لا يمكنه أن يعرف.

يعترف أغسطينوس قائلاً: "ما من سلطان يمكنه أن يأمر أو يجيز إلا بسماح من الله. وعليه يمكن لشخص صالح أن يخدم ملك شرير. ويمكنه أن يؤدي دوره الذي يفرضه عليه منصبه في الدولة وذلك بالقتال تحت إمرة ملكه. لأنه في بعض الأحيان تكون إرادة الله الواضحة هي أن يحارب. لكن في أوقات أخري لا تكون واضحة، وتكون الحرب مجرد أمر من ملك شرير. ومع ذلك يظل الجندي برئ لأن منصبه يجعل الطاعة واجبة عليه."[٧]

في النهاية إذًا حتى عقيدة "الحرب العادلة" هي مسرحية هزلية. على المسيحي أن يطيع الوصايا الشريرة لملكه وهو برئ من فعله هذا. كان أغسطينوس يعلم أن الشخص لا يمكن أن يعطى ولائه الكامل لملكين: ملك

أرضي وملك سماوي. ولذلك كان حله للقضية هو أنه طالما نحن هنا على الأرض يكون ولاءنا الكامل للملك الأرضي. الاستثناء الوحيد هو أن يأمرنا الملك بعبادة إله زائف أو يأمرنا بالإيمان بعقائد زائفة لا تقرها الكنيسة.

إلا أن هذا الحل الذي يقدمه أغسطينوس غير مقبول بالمرة لدي المسيح الذي لا يسمح لنا أن نمنح الولاء الأعلى لأي شخص أو سلطة. لو أن الملك الأرضي أمرنا بشيء يخالف تعاليم يسوع فعلينا ألا نطيعه هو بل نطيع ملكنا السماوي.

يحاول الهجين القسطنطيني أن يحل المسيحيين من أي مسؤولية فردية تجاه المسيح. إذ يقول إن الكنيسة هي التي تقرر ما نؤمن به وما نمارسه. وطالما نطيع الكنيسة نكون في حل من أي ذنب على المستوي الروحي. وبالمثل يقول الهجين إن الحاكم المدني هو الذي يقرر متى يكون قتل الآخرين أو تعذيبهم أو نفيهم أو سلبهم مقبولاً. وطالما نطيع حكومتنا فنحن أبرياء أمام المسيح على المستوي الدنيوي. ومنذ ذلك الوقت قتل مئات الآلاف من المسيحيين أخوتهم في الإنسانية وحتى أخوتهم في المسيح دون أن يشعروا بأي مسؤولية أخلاقية لفعلهم هذا إذ كانوا ببساطة يتبعون الأوامر.

في الواقع تطالب معظم الحكومات "المسيحية" جنودها بطاعة كل أوامر الضباط الأعلى رتبة بغض النظر عن أي اهتمام لديهم بمدى الاستقامة الأخلاقية للأمر. على سبيل المثال طالبت روسيا المسيحية تحت حكم القياصرة جنودها بما يلي:

> المادة ٨٧: "تنفيذ الأمر الذي يصدره الضباط الأعلى رتبة دون التفكير فيما إذا كان جيدًا أم لا أو إذا كان يمكن تنفيذه أم لا. الضباط الأعلى رتبة مسؤول عن تبعات الأمر الذي يصدره."
>
> المادة ٨٨: "يجب على المرؤوس ألا يرفض أبدًا تنفيذ أوامر الضابط

الأعلى رتبة إلا إذا كان يري بكل وضوح أن تنفيذه لهذا الأمر يخل...”[٨]

بما أن هذه المواد هي من وضع روسيا المسيحية ربما نتوقع أن بقية المادة ٨٨ هو: ”إلا إذا كان يري بكل وضوح أن تنفيذه لهذا الأمر يخل بوصايا المسيح.“ لكن لا. بقية المادة هو: ” إلا إذا كان يري بكل وضوح أن تنفيذه لهذا الأمر يخل بقسم الإخلاص والولاء لقيصر.“[٩]

تطالب المبادئ الأمريكية للعدالة العسكرية الجنود بهذه الطاعة عينها، إذ تطالب الجنود بطاعة كل أوامر القيادات العليا إلا إذا كانت ”مخالفة للدستور أو لقوانين الولايات المتحدة أو لأوامر قانونية عليا.“[١٠]

لكن هل السلوك وفقًا لهذه القواعد مقبول لدى المسيح عندما يصدر من مواطنيه؟ لا على الإطلاق. أوضح يسوع أن طاعتنا الكاملة هي له، فهو ملكنا الشخصي. ولا يهم إن قالت أي سلطة سواء كنسية أو مدنية أو عسكرية عكس ما يقول. ما يقولونه غير مقبول طالما سبق ملكنا وتحدث في الأمر. عندما نقف أمام عرش الدينونة لن نقف كجماعة بل سيقف كلاً منا بمفرده.

إلغاء المسؤولية الشخصية

في أيام أغسطينوس كان هناك قائد مسيحي من بريطانيا يدعى بلاجيوس. سافر بلاجيوس عبر كل العالم الروماني واعظًا ضد الرخاوة الروحية في تلك الأيام. وقد كان محقًا في تأكيده على مسؤوليتنا الشخصية أمام المسيح. إلا أنه – هو أو أتباعه – انحرف بفكره قليلاً وقال ما فحواه: إننا نحن البشر يمكننا أن نسير بكمال في وصايا يسوع دون الحاجة إلى النعمة.

كان هذا التعليم ضد عقيدة المسيحية التاريخية التي علمت أنه بدون نعمة الله المغيرة لا يمكن لأي شخص أن يخلص. في نفس الوقت دائمًا ما علم

المسيحيون أن الإنسان أيضًا له دور في خلاص نفسه. على الشخص أن يكون راغبًا في أن يتخلى عن العالم وأن يصلب جسده وأهوائه كل يوم. الخلاص هو قضية يعمل فيها الله والإنسان معًا لأن الله يريد للأمر أن يكون هكذا.

لكن، وبطريقته المعتادة، عارض أغسطينوس البلاجية بتبني الاتجاه المعاكس. حيث أعلن أن الإنسان ليس لديه أي قوة على الإطلاق لإطاعة المسيح كما لا يتمتع بالحرية الكفاية كي يختار طاعته. بعبارة أخري، لا يلعب الإنسان أي دور في عملية الخلاص. ادعى أغسطينوس إن حالة الإنسان هي هكذا لأن الله قبل أن يخلق الكون اختار على نحو ارتجالي من سيحصل على الخلاص الأبدي ومن سيُحكم عليه بالهلاك الأبدي. وليس بوسع الإنسان عمل أي شيء لتغيير هذا المصير الذي تحدد له قبل أن يولد.[١١]

إلا أن هذا الكلام يلغي تمامًا جوهر بشارة يسوع. لو أن ما نادي به أغسطينوس في هذا الشأن صحيح فلماذا أعطانا يسوع الموعظة على الجبل؟ لماذا حذرنا قائلاً إنه ينبغي أن نبني بيتنا على الصخر بطاعتنا لتعاليمه؟ لو أن ما قاله أغسطينوس صحيح فهذا يعني أننا لا نملك أي قوة لطاعة تعاليم يسوع وبالتالي لا يمكننا فعل أي شيء مما أوصانا به. لماذا إذًا يحثنا يسوع على بناء بيتنا على الصخر لو أن القرار في هذا الشأن قد سبق الله واتخذه قبل أن نولد؟

لماذا يحذرنا يسوع قائلاً «من يصبر إلى المنتهى يخلص» إن لم يكن هناك شيء بإمكاننا فعله حتى نثبت؟ ماذا كان قصده من مثل فصل الخراف عن الجداء لو أن الفصل كان قد تم بالفعل قبل أن يأتي يسوع إلى الأرض؟ لماذا أدان يسوع الكتبة والفريسيين لو أن أعمالهم قد سبق الله وحددها لهم؟ على أي أساس يدان الفريسيون لو أنهم فقط يعيشون "النص" الذي كتبه الله لهم؟ ما القصد من كل التحذيرات الموجودة في العهد الجديد؟ لماذا نكرز بالبشارة

لو أن كرازتنا لن تصنع فرقًا في المصير الأبدي لأي شخص؟

عندما تبني أغسطينوس الاتجاه المعاكس كي يفوز بالنقاش ابتدع نظامًا سخيفًا منافيًا للعقل يمكن فضحه بكل سهوله من قبل أي دارس للكتاب المقدس. لا تتأسس بشارة الملكوت على برهنة نصوص معينة من الكتاب المقدس وتجاهل بقية تعاليم العهد الجديد. إلا أن هذه هي الطريقة التي أسس عليها أغسطينوس نظامه الخاص وهي العمل على برهنة عدد قليل من النصوص. على العكس من ذلك تضم بشارة الملكوت كل العهد الجديد ولا تفسر أي نص من الكتاب المقدس بطريقة تنافي تعاليم يسوع.

الحقيقة هي أن أغسطينوس نفسه لم يكن مؤمنًا بعقيدته، لأنه لو كان مؤمنًا بها لما أزعج نفسه بالرد على البلاجيين. لو أن عقيدته صحيحة فأي فرق ستصنعه تعاليم البلاجية؟ لن يتأذى أحد من عقيدتهم ولن تتأثر علاقة أي إنسان بالله بسببها. وأيضًا لماذا نادي أغسطينوس باضطهاد الهراطقة والمنشقين؟ أخطائهم لن تؤذى أحدًا ولن يفقد أحد خلاصه بسببهم لأن خلاص كل شخص إنما قد تقرر قبل أن خلق الكون.

وفي النهاية أقول إن العهد الجديد في ضوء بشارة الملكوت هو كتاب مفتوح يمكن للمسيحي غير المتعلم أن يقرأه ويطيعه حرفيًا. لكن في ضوء تعاليم أغسطينوس ولاهوت الهجين القسطنطيني، العهد الجديد هو كتاب مليء بألغام أرضية يمكن فقط للعقول المدربة لاهوتيًا أن تفسره بصورة صحيحة.

٢٧

تزوير باسم المسيح

لم تنهر الكنيسة الرسمية بانهيار إمبراطورية روما الغربية بل على العكس عزز انهيار الإمبراطورية من قوة الكنيسة وسلطتها. بعد سقوط الإمبراطورية أصبحت الكنيسة هي المؤسسة الحضارية الرئيسة في أوربا الغربية. وعندما قسم الغزاة الجرمانيون الغرب إلى ممالك مسيحية صغيرة أخذ أسقف روما لنفسه المكانة التي كان يتمتع بها سابقًا إمبراطور روما الغربية. وأصبح يُعرف فقط باسم "البابا" بل وأصبح من أقوى الشخصيات في الغرب.

وبمرور القرون ازدادت كنيسة روما الكاثوليكية في الثروة والسلطة. ظلت روما هي المدينة الرئيسية في أوربا الغربية، إلا أن دخلها الأساسي حينها كان يأتي من الكنيسة. كان آلاف الحجاج يسافرون كل عام لرؤية كاتدرائية القديس بطرس في روما ولكي يروا عظام بطرس. استنزف "مسيحيو" روما الصالحون هؤلاء الحجاج إلى أقصى درجة. وفي كل أنحاء روما كان المسيحيون يبيعون قطع من الصليب وعظام القديسين وغيرها من الرفات.

وتماشيًا مع الهجين القسطنطيني كان البابا يحكم بصفتين: صفة الحاكم الأرضي لروما وصفة الأسقف العام لكنيسة روما الكاثوليكية. ولكي يبرر البابا سلطاته الأرضية قام رجل دين كاثوليكي عام ٧٥٠م بتزوير وثيقة شرعية مفادها أن

قسطنطين منح مقام الملك الأرضي لأسقف روما وكل خلفائه إلى نهاية العالم. أصبحت هذه الوثيقة المزورة تُعرف باسم وثيقة "هبة قسطنطين" وخُدعت بها تقريبًا كل أوربا في العصور الوسطى. ينص جزء من هذه الوثيقة المزيفة على الآتي:

> "لأن سلطتنا الملكية العظيمة هي سلطة أرضية، قررنا نحن [قسطنطين] أن نكرم بكل تبجيل كنيسة روما المقدسة وأن نرفع كرسي القديس بطرس المطوب بكل مجد فوق كرسي إمبراطوريتنا وعرشنا الأرضي مانحين له السلطة والجلال المجيد والقوة والشرف الملوكي...
>
> وبموجب هذه الوثيقة نهب قصرنا الملكي في لاتران والذي يفوق كل قصور العالم ويتفوق عليها، ونهب كذلك تاج السلطة الملكية الذي نلبسه على رأسنا ومعه عصابة للرأس مرصعة بالجواهر... كما نهب العباءة الأرجوانية والثوب القرمزي وكل ثيابنا الملكية...
>
> ولكي تماثل السلطة الأسقفية العليا إمبراطوريتنا ولا تهان بل تبجل بكل سلطان مجيد فوق كل جلال لكل إمبراطورية أرضية، قررنا أن نهب الأسقف المقدس الأب سلفستر البابا العام ليس فقط القصر سالف الذكر لكن أيضًا مدينة روما وكل أقاليم ومقاطعات ومدن إيطاليا والمناطق الغربية."[١]

وهكذا طالب البابا ليس فقط بالحكم المدني لروما بل بحكم كل إيطاليا ومعها "المناطق الغربية" كذلك.

الاستفادة من الهبة المزيفة

مع حلول عام ٧٥٥ كانت أحد الشعوب الجرمانية وهو شعب اللومبارد قد فرضوا سيطرتهم على القسم الأكبر من إيطاليا. وخشي البابا أن يخطط

اللومبارد للاستيلاء على روما. وأرجو أن تعلم عزيزي القارئ أن اللومبارد كانوا "مسيحيين" صالحين. إلا أن كونهم مسيحيين لم يكن له علاقة بالأمر. لم يتردد الكاثوليك في غزو بلاد كاثوليك آخرين أو حتى في ذبحهم. كان البابا ستيفن يخشى أن يستولى اللومبارد على روما ولذلك سافر إلى بلاد الغال كي يقنع الملك بيبن (*Pepin*) ملك الفرنجة بأن يمد يد العون للبابا، فأراه وثيقة هبة قسطنطين المزيفة وأقنعه أن عليه كملك مسيحي صالح أن "يرُد" المدن الإيطالية للقديس بطرس وخلفائه الباباوات. خُدع الفرنجة بتلك الوثيقة المزيفة وهبوا لمساعدة البابا ونجحوا في هزيمة اللومبارد وأعادوا حوالي عشرين مدينة إيطالية للبابا مؤسسين بذلك ما أصبح يعرف فيما بعد باسم مجموعة الولايات البابوية.

كل هذه السلطة الأرضية وكل ذلك الدخل الهائل من الضرائب الآتية من الولايات البابوية جعل منصب البابا محل أطماع رجال بلا أي أهداف دينية مقدسة. دفع "كرسي بطرس" عدة أحزاب تنتمي إلى عائلات قوية في روما للتقاتل فيما بينها. وفي عام واحد جلس أربعة رجال على الكرسي البابوي قُتل منهم الثلاثة الأوائل.

مملكتين واسمين

في عام ٩٥٤ كان ألبرك (*Alberic*) أمير روما يعد نفسه للقتال عندما أصيب فجأة بحمى مميتة. وإذ أدرك أنه على وشك الموت دعا ألبرك نبلاء روما إلى قبر القديس بطرس وهناك طلب من النبلاء أن يقسموا على عظام بطرس بأن يختاروا ابنه أوكتافيان ذا الخمسة عشر عامًا كأمير لروما بعد موته. كما جعلهم يقسمون على أن يجعلوا منه البابا القادم بعد موت البابا الحالي. وبالفعل أقسم النبلاء.

وهكذا أصبح أوكتافيان وهو في الخامسة عشر من عمره أميرًا لروما. وبعد ذلك بعام واحد أصبح البابا. ولكي يفرق بين صفته الرسمية كأمير لروما وقيامه بمهام

هذا المنصب وصفته كبابا للكنيسة وقيامه بمهام البابا، أتي أوكتافيان بفكرة رائعة وهي أن يختار لنفسه بصفته البابا اسمًا غير اسمه الحقيقي وهو يوحنا الثالث عشر. أما باعتباره أميرًا لروما فيستخدم اسمه الحقيقي أوكتافيان. لقد كان يحكم مملكتين، فلماذا لا يحصل على اسمين؟ هذه السابقة في اتخاذ اسم غير الاسم الحقيقي أصبحت واحدة من الممارسات البابوية منذ ذلك الحين.

ولكي يحمى كرسي البابا وعرش الأمير أحاط أوكتافيان (البابا يوحنا) نفسه بعصابات من قطاع الطرق المسلحين. وقد كان شريرًا جدًا لدرجة أن أحد المؤرخين وصفه بـ"كاليجولا المسيحي."[٢] كان مدمنًا للخمر والمقامرة وكل أنواع الفسوق التي يمكن للشخص أن يتخيلها، لدرجة أنه حول قصر لتيران إلى منزل للبغاء. وقد اتهمه معاصروه بأن الحاجات من النساء يُعتدى عليهن داخل كنيسة القديس بطرس ذاتها.

وأخيرًا دعا بعض القساوسة والأساقفة، بمساعدة أوتو (*Otto*) ملك ألمانيا، إلى عقد مجمع لمحاكمة البابا يوحنا محاكمة كنسية. إلا أن البابا رفض الحضور وأخفى نفسه في مخبأ آمن. وبمجرد أن غادرت الجيوش الألمانية عاد البابا إلى روما وصب غضبه على رجال الدين الذين شهدوا ضده في المجمع. أحد هؤلاء القساوسة جُلد حتى الموت وأخر قُطع لسانه وثالث ضُربت يده ضربة قاطعة بالفأس ورابع قطعت أنفه وأصابعه.[٣]

دعونا نطارد فاعلي الإثم الحقيقيين

على الرغم من أن عددًا من الباباوات كانوا وحوش شريرة، إلا أن الكنيسة لم تعاقب أيًا منهم على جرائمهم وفسقهم. المرات الوحيدة التي أزيح فيها الباباوات عن منصبهم هي عندما كانوا يُقتلون على يد منافسيهم أو يجبرون على ترك الكرسي البابوي.

لكن في حين تجاهلت الكنيسة الفساد والشر الممارَس في وسطها، تعقبت "الهراطقة" إلى أبعد حد، فعذّبتهم بوحشية وألقت بهم في زنزانات رهيبة رطبة ومظلمة. كما قامت الكنيسة بذبحهم بأشنع الطرق الممكنة. بعضًا من ضحايا الكنيسة كانوا متمسكين بالفعل بأخطاء عقائدية خطيرة في بعض الأحيان، والبعض الأخر كانوا كاثوليك صالحين كل جريمتهم أنهم شككوا في سلطة روما. كما كان الكثير من "الهراطقة" في الواقع مسيحيين بحسب الملكوت يحاولون طاعة ملكهم.

يعطينا قانون ألماني سُنَّ عام ١٢١٥ صورة عن القوانين التي كانت تُشرع ضد الهراطقة في العصور الوسطى. يقول القانون:

> "حين يُعتقد أن شخصًا ما مهرطق يتم اتهامه أمام المحكمة الروحية، إذ ينبغي أن يُحاكم أولاً من قبل الكهنة. وعندما يدان يُؤخذ إلى المحكمة المدنية التي ربما تصدر حكمًا ضده وهو أن يُحرق حيًا. لكن لو قام القاضي بحمايته أو أعطاه أي امتيازات غير مشروعه ولم يصدر حكمًا ضده فسيُحرم كنسيًا بأقسى شكل."[٤]

يستمر القانون موضحًا أنه حتى الأمير لو قام بحماية الهراطقة أو حتى فشل في مقاضاتهم فسيتم حرمانه كنسيًا وتصادر كل ممتلكاته.

في عام ١٢٢٩ أصدر مجلس تولوز ٤٥ قانونًا بشأن كيفية ملاحقة وعقاب الهراطقة. إليكم بعضًا من هذه القوانين:

- على الأساقفة في كل أبرشية أن يلزموا [بالقسم] – سواء داخل المدينة أو خارجها - كاهنًا ومعه اثنين أو أكثر من العلمانيين ذوي السمعة الحسنة بالبحث عن الهراطقة بكل جهد وأمانة في أبرشيتهم وفي كل بيت يشكون فيه وفي الحجرات السرية وملحقات المنازل وغيرها من المخابئ.

- كل منزل يوجد به هرطوقي يُهدَم والممتلكات تصادر.
- الهراطقة الذين يرجعون إلى الكنيسة كرهًا خوفًا من الموت أو لأي سبب أخر يُسجنون من قبل الأسقف.
- يجب على كل شخص في الأبرشية أن يقسم أمام الأسقف على أن يتمسك بإيمانه الكاثوليكي ويضطهد الهراطقة بحسب قدرته.
- يجب أن يجدد هذا القسم كل عامين.[٥]

هل يغفر الزمن للكنيسة؟

اليوم تعترف الكنيسة الكاثوليكية أن الفظائع التي لا توصف، والتي ارتكبتها الكنيسة في العصور الوسطى ضد الهراطقة كانت خاطئة. لكن الكاثوليك عادة ما يحاولون تبرير سلوك الكنيسة بقولهم إنها كانت تسلك بحسب معايير المجتمع في العصور الوسطى. المجتمع اليوم لا يقبل أبدًا أن يحرق أحدهم حيًا لكن المجتمع في العصور الوسطى أراد هذا. كل ما هنالك أن الكنيسة كانت تتماشي مع المعايير الاجتماعية لعصرها.

لكن هل هذا يبرر للكنيسة ما فعلته؟ بالطبع لا. القيم والوصايا التي أعطاها الله لنا هي قيم ووصايا دائمة لا تتغير بتغير المجتمع. «يسوع المسيح هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد» (عبرانيين ١٣: ١). ولأن ملكوت الله ليس من هذا العالم، يجب ألا نعتد بالمعايير الاجتماعية التي تخالف معايير الملكوت. لا يمكن أن يبرر أحدٌ مسيحيًا يسجد للأوثان فقط لأن هذا هو العرف في المجتمع الذي يعيش فيه. لم يقل لنا يسوع: "أحبوا أعدائكم إلا إذا قالت لكم الحكومة أو الكنيسة عذبوهم."

الجزء الخامس

عندما كان من غير القانوني أن تكون

مسيحيًا يعيش بحسب الملكوت

٢٨

الملكوت السري

ناقشنا في الجزء السابق من هذا الكتاب موضوع الهجين القسطنطيني بالتفصيل، حيث عرفنا بماذا كانت الكنيسة المهجنة تؤمن ورأينا كيف كانت تتصرف. ورأينا كذلك كيف كانت الدولة "التي تحولت إلى المسيحية" تتصرف. أما في هذا الجزء الأخير من الكتاب فسنري معًا كيف استمر ملكوت الله على الرغم من الفشل الروحي للكنيسة الرسمية التابعة للدولة.

ما للإمبراطور والكنيسة؟

ناقشت فيما سبق أصول الدوناتستيون ورأينا كيف لم تكن بدايتهم بداية نبيلة، إذ كان كل ما يبتغونه هو الهدايا التي يقدمها قسطنطين للكنيسة الرسمية. كما لم يترددوا في دعوة الإمبراطور للتدخل في معركتهم الكنسية.

لكن كل القرارات القضائية (التي صدرت عما عُقد من مجامع) جاءت ضد الدوناتستيون. اتضح فيما بعد أن هذا إنما كان نعمة من الله عليهم، إذ أُجبروا على التراجع وعلى إعادة تقييم ما وصلت إليه الكنيسة الرسمية. وحينها رأوا أن الكنيسة لم تعد جماعة مقدسة بل تحولت إلى مؤسسة دنيوية تعطي الحظوة للأغنياء وأصحاب السلطة. ونتيجة لذلك تخلى الدوناتستيون عن

رغبتهم الأولي في قبول الإمبراطور لهم بل وصرح دوناتس نفسه قائلاً: "ما للإمبراطور والكنيسة؟"[١] وهكذا بدأ الدوناتستيون في إعادة تركيز اهتمامهم على ملكوت الله.

كانت الدوناتستية مقصورة على شمال أفريقيا حيث تواجدت جنبًا إلى جنب مع الكنيسة الرسمية أو الكاثوليكية. لكن كان هناك فرق واضح بين الجماعتين. كان الكاثوليك ينزعون إلى المدنية وكانوا أفضل تعليمًا وأكثر غنى. أما الدوناتستيون فكان الفقراء هم قوامهم. وهم في هذا يشبهون تقريبًا كل "حركات الملكوت" التي ظهرت منذ عهد قسطنطين وحتى العصر الحديث.

ممارسة حياة الملكوت داخل الكنيسة

لكن من الخطأ أن نعتقد أن مسيحيي الملكوت بعد عصر قسطنطين كانوا يوجدون فقط في مجموعات مثل الدوناتستيون. كان هناك بالطبع كنائس تعيش كما يحق للملكوت مثل النوفاتيون. إلا أن مسيحيي الملكوت كانوا يوجدون أيضًا داخل الكنيسة الكاثوليكية.

على الرغم من أن الكنيسة الكاثوليكية اتبعت أغسطينوس في كثير من تعاليمه، إلا أنها لم تقبل تعليمه بشأن التعيين المسبق. ونتيجة لذلك علمت في الكثير من الأماكن بوجوب العيش في طاعة المسيح. لكن بدلاً من التمسك الكامل بتعاليم ملكوت يسوع أبعدت الكنيسة الكاثوليكية هذه التعاليم إلى نطاق "الكمالية" حيث علمت أن من يريد أن يكون "كاملاً" هو فقط من عليه إتباع تعاليم المسيح إتباعًا حرفيًا. وهكذا شجعت الكنيسة هذه "الكمالية" المسيحية طالما ظلت تحت سلطانها. نتيجة لذلك كان عشرات الآلاف من المسيحيين في العصور الوسطى يعيشون تعاليم المسيح حرفيًا.

كان الكثير من هؤلاء المسيحيين – مثل فرنسيس الأسيزي (*Francis of Assisi*) أو توما الكمبيسي (*Thomas á Kempis*) - يعيشون أسلوب حياة الملكوت تحت رعاية نظام روحي أو جماعة روحية، فعاشوا حياة صلاة هادئة وحياة خدمة ومحبة. وكان غيرهم من مسيحيي الملكوت فلاحين قرويين أميين يعيشون بعيدًا عن مراكز القوى والتكلف الدنيوي. وكان هناك أيضًا ربات بيوت في المدن يعشن تعاليم المسيح في إطار أسرهن.

بالطبع كان هناك العديد من الأشخاص الذين كان لهم صورة حياة الملكوت دون أن يكون لهم علاقة حقيقية مع المسيح. أراد بعض هؤلاء الفوز بالسماء عن طريق حياة النسك والتقشف. والبعض الأخر كانوا مراؤون ومخادعون. ومع ذلك كله لم يكن هناك نقص في وجود مسيحيين ينتمون حقًا إلى الملكوت.

التصادم بين الملكوت والكنيسة

ذكرت للتو أن الكنيسة الكاثوليكية لم تكن تعارض أن يعيش البعض حياة الملكوت طالما لا يقومون بما يزعج النظام الديني القائم. لكن عندما بدأ مسيحيو الملكوت في التبشير برسالة الملكوت (أو عندما حاولوا إصلاح الكنيسة) هوت الكنيسة بمطرقتها على رؤوسهم.

مثال على ذلك أرنولد أوف بريشيا (*Arnold of Brescia*) وهو رجل دين إيطالي حاول إصلاح الكنيسة الدنيوية في القرن الثاني عشر. كان أرنولد ينادي أن كل الإكليروس ابتداء من البابا نفسه وحتى أصغر كاهن في قرية، عليهم أن يعيشوا كما عاش الرسل. كما وصف بعض رجال الإكليروس بأنهم "صيارفة ووكر لصوص." وأدان النظام البابوي الذي حول نظره كلية عن الإرسالية الرسولية الحقة، مؤكدًا على ضرورة أن تجرد الكنيسة نفسها من كل سلطة دنيوية وتكرس نفسها كلية لبشارة المسيح.[٢]

ماذا كان رد فعل الكنيسة؟ أمر البابا بشنق أرنولد وحرقه. وقد ألقي رماد جثته في نهر التيبر الذي يجري عبر روما. في نفس الوقت الذي كان أرنولد يبشر فيه بإيطاليا، كان هناك كاهن لقرية فقيرة يسافر حافي القدمين عبر مدن وقرى جنوب فرنسا مبشرًا بملكوت الله. كان اسمه بيير دي برويس (أي بيير الذي من برويس *Pierre de Bruys*) وقد جذب إليه عددًا كبيرًا من الفقراء. كان بيير يعلم بأن مباني الكنيسة الفخمة ما هي إلا تبذير عظيم للمال في حين أن الكنيسة هي جماعة روحية ليست في حاجة إلى مباني كي توجد. كما علم بأن الأعمال التي تُعمل لأجل الموتى هي عديمة الفائدة، وتحدث ضد القداس الروماني والصلوات المتكررة. وأخبر سامعيه أن عليهم ألا يبجلوا أو يعبدوا الصليب أو أي صور وتماثيل بل وشجعهم على تدمير كل ما يرتبط بالوثنية.[٣]

قرأ بيير البشائر الأربعة على مسامع أتباعه وكان يكرز بملكوت الله الحقيقي. لكن للأسف لم يتحلَّ بعض من أتباعه بروح اللامقاومة ولذلك حطموا المذابح والتماثيل وحرقوا الصلبان ودمروا مباني الكنيسة. وكما هو الحال مع الكثير من معلمي الملكوت في العصور الوسطى، انتهت حياة بيير حرقًا على يد خصومه من الكاثوليك.

إليك عزيزي القارئ مثال أخير على مبشري الملكوت في العصور الوسطي وهو هنري أوف لوزان الذي كان يسافر عبر شمال فرنسا في أوائل القرن الثاني عشر كارزًا بملكوت الله. لم يقتصر الأمر مع هنري على الكرازة ببشارة الملكوت بل كان يهاجم وبكل قوة رجال الإكليروس الأغنياء، مشجعًا سامعيه على عدم حضور الكنائس الكاثوليكية. جذبت عظاته المتقدة الكثيرين من الفقراء. لكن في النهاية استخدمت الكنيسة قوة النبلاء لإبعاده عن شمال فرنسا.

بعدها أخذ هنري يرتحل عبر جنوب فرنسا وشمال إيطاليا مشجعًا المسيحيين في كل مكان على العودة إلى بساطة الرسل والكنيسة الأولى. وبدلاً

من الاعتماد على سلطة الكنيسة، كان هنري يستشهد بنصوص العهد الجديد معتبرًا إياها السلطة الوحيدة. علم هنري المسيحيين أن يعترفوا بخطاياهم لبعضهم البعض وأنه ليس من الضروري أن يمنحهم الكاهن الكفارة والغفران. استجاب الآلاف من الفقراء لرسالة هنري وركزوا حياتهم على يسوع وملكوته.

اختفي هنري من سجلات التاريخ في حوالي منتصف القرن الثاني عشر. هل كان قادرًا على الابتعاد عن صائدي الهراطقة والاستمرار في الكرازة. لا نعلم. لكن ما نعلمه هو أن كرازته أتت بثمار هائلة.[٤]

سمات مشتركة

اشترك مسيحيو الملكوت في العصور الوسطى سواء كانوا أفرادًا منعزلين أو أعضاء في حركة من حركات الملكوت في صفتين أساسيتين.

أولاً: كان أغلبهم ينتمون إلى الطبقات الفقيرة غير المتعلمة. لذلك لا عجب أن يسوع قال: «طوبي للمساكين». لم يكن لهؤلاء حظ في هذا العالم وبالتالي كان لديهم القليل جدًا ليتخلوا عنه. بالفعل كان لهؤلاء ملكوت السماوات. وإذ كانوا بعيدين عن كل سفسطة وتفاصيل لاهوتية، كان باستطاعتهم أن يروا رسالة الملكوت المجردة كما هي مدونة في البشائر. وكما قال يسوع: «أَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ» (متى ١١: ٢٥).

ثانيًا: كان العهد الجديد بالنسبة لهم، وخاصة تعاليم يسوع المباشرة، هو مصدر السلطة. كان بعض مسيحيي الملكوت من دارسي اللاهوت لكن أغلبهم لم يحظَ بمثل هذه الدراسة. وقد قرأوا أو سمعوا تعاليم يسوع مرارًا وتكرارًا وكان يطبقونها حرفيًا.

هذا هو جوهر المسيحية التي بحسب الملكوت.

٢٩

الفلدانيون

كانت جماعة الفلدانيون هي أهم حركة من حركات الملكوت في العصور الوسطى. بدأت هذه الحركة عام ١١٧٠ في مدينة ليون الصاخبة بفرنسا. كان يعيش في تلك المدينة تاجر غنى اسمه فالدو*. كان فالدو يتمتع بثروته وأراد أن ينتقل إلى داخل دائرة السلطة في مدينته. كما كان كاثوليكيًا صالحًا يحضر القداس كل أسبوع.

وفي أحد الأيام بعد القداس، صادف فالدو مغني مرتحل كان ينشد أغنية شعبية عن رجل مسيحي من القرن الرابع يدعى ألكسيس، وهو ابن سيناتور روماني غني. كان ألكسيس وثني مدلل. وفي اليوم الذي كان من المفترض أن يتزوج فيه ظهر له المسيح فجأة. تأثر ألكسيس بإيمانه الجديد فترك كل شيء: أسرته وثروته وعروسه، وارتحل عبر أوربا حتى وصل إلى سوريا وهو لا يحمل معه شيء سوى ملابسه التي يرتديها. وهناك في سوريا قضى معظم حياته في الصلاة والصوم وهو يخدم الآخرين ويشاركهم محبة يسوع. تحمل ألكسيس الفقر والمعاناة من أجل المسيح.

---

* بالفرنسية *Waldesius* وتنطق *Valdes* أو *Valdesius*. وتشير إليه بعض الكتب باسم بطرس فالدو لكن من الواضح أن هذا ليس اسمه.

بعد عدة سنوات ضعفت صحته وهزل جسده فعاد إلى روما. إلا أن أسرته لم تتعرف عليه إذ كان يبدو كشحاذ قذر. لذلك قرر أن يُبقي هويته سرًا، وقَبِل أحقر الأعمال التي كُلّف بها من قبل أبوه (الذي لم يتعرف عليه) وعاش في حجرة صغيرة تحت السلم في بيت عائلته لمدة ١٧ عامًا محاولاً أن يخدم الآخرين بروح المسيح. وعندما مات وجدت أسرته مذكراته بين ممتلكاته القليلة وحينها أدركوا من هو.

تأثر فالدو كثيرًا بهذه القصة التي فجرت أزمة روحية بداخله. وإذ كان ضميره يقلقه ذهب إلى كاهن محلي طلبًا للمشورة. سكب فالدو روحه أمام الكاهن الذي استمع إليه بتركيز وبعد عدة ساعات من المناقشة الجادة فتح الكاهن الكتاب المقدس وقرأ على مسامع فالدو الإصحاح التاسع عشر من إنجيل متى والذي يتحدث عن الشاب الغني. «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي» (متى ١٩: ٢١).

عندما عاد فالدو إلى منزله ظل صدى هذه الكلمات يتردد في أذنيه. ثم ما لبث أن شعر أن ثروته لم تعُد مصدر سعادة له بل أصبحت كقيد ثقيل حول رقبته. وفي لحظة سعادة وسرور روحي، قرر فالدو فجأة أن يتخلص من قيد ثروته الثقيل، قرر أن يصبح تلميذًا للمسيح وأن يتمتع بمباهج الكنز السماوي.

في البداية استخدم فالدو بعضًا من ثروته لترجمة أجزاء من العهد الجديد إلى لغة أهل ليون العامية. ثم أعطى كل ما تبقي من ثروته للمحتاجين متسلحًا بالكتاب المقدس.

أخبر فالدو أهل ليون وهو يوزع ثروته على المحتاجين منهم: "أيها المواطنون والأصدقاء، أنا لست مجنونًا كما تعتقدون. كل ما هنالك أنني أحرر نفسي من الأشياء التي تقيدني. لقد جعلتني الثروة محبًا للمال أكثر من الله. وما أفعله الآن إنما أفعله من أجل نفسي ومن أجلكم. من أجل نفسي لكي - إذا

إن حدث وامتلكت شيء فيما بعد - تدعونني أحمق. ومن أجلكم حتى تضعوا ثقتكم في الله وليس في الثروة والمال."[١]

أخذ فالدو يتجول في مدينة ليون كارزًا ببشارة الملكوت المجردة لكل شخص. لمست جديته وإيمانه حياة الكثيرين، وسريعًا ما تجمع حوله عدد قليل من المؤمنين المتوافقين معه في الفكر، وأطلقوا على أنفسهم اسم "المساكين بالروح." أراد هؤلاء أن يتبعوا كل تعاليم يسوع حرفيًا وجديًا، وقرروا أن يتذوقوا طعم الفرح الحقيقي والتلمذة الجادة بأنفسهم. وصل ملكوت الله إلى ليون وكان يقلب المدينة رأسًا على عقب.

لم يكن لدى فالدو وتلاميذه أي رغبة في تأسيس كنيسة جديدة ولا حتى رؤية لفعل ذلك، بل ولم يكن لديهم أي نية لتحدى أو مهاجمة الكنيسة الكاثوليكية. كل ما كانوا يبتغونه هو أن يحيوا حياة مسيحية حقيقية ضمن جماعة الكنيسة الكاثوليكية وأن يتشاركوا فرحهم مع الآخرين. كما لم ينادوا بأي تعاليم جديدة بل كرزوا بنفس الرسالة التي كرز يسوع بها. وعلى الرغم من أن بعض الأغنياء والمثقفين انضموا إلى جماعة "المساكين بالروح" إلا أن قوام الجماعة الأساسي كان من الفقراء.

كان من الممكن أن يصبح المساكين بالروح جماعة روحية داخل الكنيسة الكاثوليكية لولا اثنين من معتقداتهم. أولاً: لم تسعَ الجماعة إلى طلب إذن الكنيسة فيما كانت تفعله. ثانيًا: لم يكن لدى أفراد الجماعة النية في السبات والانعزال داخل أديرة الرهبان بل كانوا يريدون الاستمرار كمواطنين في ليون، ينشرون رسالتهم في الكنائس والميادين العامة والأسواق.

كتب أحد تلاميذ الجماعة الأوائل: "القرار الذي اتخذناه هو أن نحافظ حتى موتنا على إيماننا بالله وبأسرار الكنيسة المقدسة... وأن نكرز بحرية بحسب

النعمة المعطاة لنا من الله. وهذه أمور لن نتوقف عن فعلها لأي سبب كان."[٢] كان الاستخفاف بمعتقدات الكنيسة أو تحدى سلطتها من أبعد ما يكون عن ذهن المساكين بالروح. في الواقع كان أعضاء الجماعة يشجعون سامعيهم على حضور الكنيسة بأكثر إخلاص. كيف يمكن للكنيسة إذًا أن تعترض على ما كانوا يفعلونه؟

لم يمض الكثير من الوقت حتى استفاق الفلدانيون والمساكين بالروح من بساطتهم الروحية. لم يكن لدى الكنيسة الكاثوليكية أي اعتراض على أسلوب حياة المساكين بالروح إذ كانت تري إنهم أنما يتبعون مثال "الكماليين" وهو أمر جيد، وإن لم يكن ضروريًا. كما لم تكن الكنيسة تعترض على معتقداتهم لأنه لم يكن لديهم معتقدات من الأساس.

إلا أن الأساقفة لم يتقبلوا حقيقية أن المساكين بالروح كانوا يكرزون في الشوارع في حين أنهم غير مدربين في الجامعات ولا مرسومين من قبل الكنيسة. حاولت الكنيسة منذ عهد قسطنطين أن تحتكر الكرازة. وكما سبق ورأينا كانت أحد صفات الهجين هو إيمانه بأن الأشخاص المرسومين من قبل الكنيسة الرسمية هم فقط من يمكنهم الكرازة بالبشارة. ولذلك أمر رئيس الأساقفة الفلدانيين بالمثول أمامه وطلب منهم أن يكفوا عن الكرازة. وأخبرهم موبخًا إياهم بقسوة أن الكرازة هي عمل الإكليروس فقط.

كانت الحياة الروحية لآلاف الأشخاص معلقة في الميزان [تنتظر قرار فالدو]. كان يمكن لفالدو أن يلعب دور الكاثوليكي الصالح ويمتثل لرئيس الأساقفة قائلاً: "سمعًا وطاعة يا صاحب القداسة. سأنفذ كل ما تأمر به." حينئذ كان يمكنه هو والمساكين بالروح أن يعيشوا حياة الملكوت تحت سلطة الكنيسة ويستمروا في جذب تلاميذ جدد بكل تأكيد. لكن فالدو لم يكن ليوافق على التوقف عن الكرازة. لذلك، ولصدمة رئيس الأساقفة، نظر إليه في عينيه مباشرة وأجابه بلا خوف:

"على العكس تمامًا، الكرازة هي عمل كل شخص اختار أن يعيش بالفعل مثل رسل يسوع."[٣]

لا داعي للقول إن فالدو أثار حنق رئيس الأساقفة ووضع نفسه في موقف خطير. إلا أن ثقته الساذجة في الكنيسة الكاثوليكية كانت لا تزال موجودة. كان مجمع لاتيران (*Lateran*) الثالث منعقدًا في روما في ذلك الوقت. وعليه سافر فالدو والمساكين بالروح إلى روما كي يعرضوا قضيتهم على البابا نفسه. استقبلهم البابا استقبالاً وديًا وعبرَّ عن استحسانه لترجمتهم للكتاب المقدس. بل وأُعجب بالرؤيا التي لهم. لكنه أخبرهم أن أي قرار متعلق بالكرازة هو من اختصاص الأسقف المحلى.

قرر أحد مندوبي المجمع أن يري مدى كفاءة المساكين بالروح في أن يكرزوا للآخرين، وكان راهبًا متعجرفًا من إنجلترا يدعي والتر ماب. دعا ماب المساكين بالروح للمثول أمامه وعدد من المندوبين الآخرين، ثم سألهم: "هل تؤمنون بالله الآب؟"

أجاب المساكين بالروح: "نعم نؤمن."

ثم سألهم: "هل تؤمنون بالابن؟"

أجابوا: "نعم نؤمن."

"وبالروح القدس؟"

"نعم نؤمن"

"وبوالدة المسيح؟"

أجابوا: "نعم نؤمن."[٤]

عند هذه الإجابة الأخيرة انفجر مندوبي المجمع في الضحك مما أصاب

فالدو والآخرين بالارتباك والحيرة إذ لم يعرفوا عن أي سؤال أجابوا بالخطأ. ثم طُردوا من المجمع وسط عاصفة من السخرية. سجل الراهب والتر ماب شهادته قائلاً: "انفجرت مع هذه الإجابة الأخيرة موجة من السخرية وبعدها انسحبوا مرتكبين. ولهم الحق في ذلك إذ لم يكن هناك من يرشدهم. ومع ذلك يتوقع هؤلاء أن يقودوا الآخرين!"[٥]

ما هو الخطأ الذي ارتكبه فالدو وأتباعه؟ كان مجمع أفسس قبل مئات السنين قد أعطى مريم لقب "والدة الإله." ولذلك أن يقول فالدو وأتباعه إنهم يؤمنون بوالدة المسيح فهذا إنما يدل على أنهم جاهلون لاهوتيًا. إلا أن الكتاب المقدس لا يشير إلى مريم أبدا على أنه والدة الإله، والمساكين بالروح كانوا يعرفون الكتاب المقدس. كل ما كانوا يعرفونه هو البشارة البسيطة للملكوت وكان هذا هو كل ما احتاجوا إلى معرفته.

عندما عاد فالدو ورفقاؤه المسيحيين إلى ليون استمروا في الكرازة علنًا كما كانوا يفعلون قبلاً. كما استمروا في إخبار سلطات الكنيسة المحلية أنهم ليسوا هراطقة مبتدعين لعقيدة جديدة.

بل قبل فالدو أن يوقع على إعلان موالاة للإيمان الكاثوليكي الذي قدمه له ممثل البابا. في الواقع كتب فالدو ملاحظة بيده على إعلان الإيمان البابوي يقول فيها أن دعوته لحياة الفقر جاءت كعمل طاعة ليسوع المسيح وليس أتباعًا "للكمالية" نيابة عن الكنيسة.[٦]

إلا أن سلطات الكنيسة عادت وأمرت فالدو والمساكين بالروح أن يمثلوا أمامها. وعاد رجال الإكليروس وأمروهم بصرامة أن يكفوا عن الكرازة. وردًا على ذلك استشهد فالدو بما قاله بطرس للسلطات اليهودية: «إِنْ كَانَ حَقًّا أَمَامَ اللهِ أَنْ نَسْمَعَ لَكُمْ أَكْثَرَ مِنَ اللهِ فَاحْكُمُوا. لأَنَّنَا نَحْنُ لاَ يُمْكِنُنَا أَنْ لاَ نَتَكَلَّمَ بِمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا.»[٧]

غضب رجال الإكليروس بشدة وجعلوا السلطات المحلية تنفي فالدو والمساكين بالروح من ليون نهائيًا. إلا أن هذا لم يخمد حماسة كارزي الملكوت هؤلاء الذين ابتهجوا، مثل الرسل، لأنهم اضُطهدوا بسبب اسم المسيح. وهكذا سافروا عبر جنوب فرنسا كارزين ببشارة الملكوت في الشوارع والأسواق وكتبوا نبذات دينية ونظموا مناقشات عامة. وظلوا يمدحون الكنيسة الكاثوليكية.

تلقيح تهجيني

بعد ذلك بقليل قابل الفلدانيون (كما أصبحت الكنيسة تدعوهم) بعض تلاميذ اثنين من كارزي الملكوت الذين ذكرناهم سابقًا، وهم: بيير دي بيروس وهنري أوف لوزان. كان من الواضح جدًا للفلدانيين أن هؤلاء المسيحيين ليسوا هراطقة، لكنهم كانوا ينتقدون كنيسة روما بشدة ويهاجمونها بسبب انشغالها بالشؤون الدنيوية، وبسبب ثروتها، وتسلحها بالسلطة العالمية، كما كانوا يعلمون أن تقديس التماثيل والصلاة للموتى هي أمور غير كتابية.

كانت كل هذه التعاليم جديدة على فالدو وتلاميذه. لكن كدارسين مخلصين للكتاب المقدس انكبوا على الكتاب المقدس للحكم على ما سمعوه وسريعًا ما أدركوا صحة كل هذه الانتقادات والتعاليم. ثم ابتدأوا هم أيضًا يتحدثون ضد أخطاء وخطايا الكنيسة.[٨]

كانت الكنيسة الكاثوليكية سريعة في ردها حيث قام مجمع فيرونا عام ١١٨٤ بإدانة الفلدانيين كمنشقين (وليسوا كهراطقة) خطيرين. ومن الواضح أن الراهب والتر ماب الذي سخر منهم بأسئلته المخادعة كان له دور في هذا. كتب ماب:

"ليس لهؤلاء بيوت يسكنونها بل يتجولون اثنين اثنين حفاة الأقدام ويرتدون أثوابًا من صوف. كما لا يملكون شيئًا ويتشاركون في كل شيء كما كان الرسل. وهم

عزل يتبعون مسيحيًا أعزل. كانت بداياتهم متواضعة إلى أقصى حد إذ لم يكن لهم الكثير من الأتباع. لكن لو تركناهم لإرادتهم، فسيخرجوننا جميعنا من أماكننا."[٩]

هنا أيضًا خشي الناس أن تُفتن المسكونة، وينقلب العالم رأسًا على عقب، بسبب هؤلاء الودعاء المتواضعين. وأخيرًا في عام ١١٩٠ أدانت الكنيسة الفلدانيين كهراطقة وسمحت أن يتعرضوا لأقسى أشكال القمع والموت.

لكن فالدو وتلاميذه استمروا بكل شجاعة في السفر عبر جنوب فرنسا. ثم عبروا الألب وصولاً إلى لمبارديا في شمال إيطاليا وهناك تقابلوا مع أتباع أرنولد أوف بريشيا وهو كارز آخر من كارزي الملكوت تحدثنا عنه فيما سبق. ساعدت آراء هؤلاء المسيحيين الإيطاليين (والمعرفين باسم فقراء اللومبارد) الفلدانيين على رؤية كيف أن الكنيسة لا بد ألا تتورط بأي شكل مع الدولة. وفي المقابل جددت روح وحماسة الفلدانيين فقراء اللومبارد الذين وفقوا على الانضمام إلى الفلدانيين.

جلب الفلدانيون لهذه الجماعة المتحدة حماسة تبشيرية قوية. وبدورهم جلب لها فقراء اللومبارد الاستقرار. وشكل الاثنان معًا قوة ثورية يعتد بها. إلا أنهم كانوا جيشًا بلا سلاح فيما عدا كلمة الله. كما كانوا معًا على استعداد لفتنة المسكونة.

رؤية الفلدانيين للتاريخ

رقد فالدو بعد اتحاد هاتين الجماعتين بقليل. إلا أن جماعته استمرت، إذ لم يكن أعضاؤها أتباعًا لفالدو لكن أتباع ليسوع. وبعد موت فالدو فكر الفلدانيون أكثر في هويتهم، وفي الهدف من حركتهم. كانوا يرون بوضوح أن الكنيسة الكاثوليكية حادت عن الصواب - لكن متى حدث ذلك؟ بدراستهم لتاريخ الكنيسة رأوا صوابًا أن نقطة التحول الرئيسية حدثت في أيام قسطنطين.

أدرك الفلدانيون أن تاريخ الكنيسة يمكن أن ينقسم إلى عهدين: العهد الأول وهو عهد الشهادة الأمينة (والتي تمثله كنيسة ما قبل قسطنطين) وعهد الخداع والتضليل (الذي يبدأ بقسطنطين). هل معنى هذا التقسيم أن كل مواطني الملكوت الأمناء اختفوا مع بداية عصر قسطنطين؟ يجيب الفلدانيون عن هذا السؤال بالنفي إذ يعتقدون أن سم الهجين القسطنطيني لم يسرِ بالضرورة في كل أعضاء جسد المسيح. دائمًا ما كان هناك بقية تقية، وقد كانت موجودة في أيامهم تلك. لقد خفت نور الملكوت لكنه لم ينطفئ.[١٠]

أصبح لدي الفلدانيين فهم واضح لطبيعة المملكتين. كان بإمكانهم أن يعطوا ولائهم الكامل إما لممالك هذا العالم أو لملكوت الله. لكن ليس باستطاعتهم أن يعطوه للاثنين معًا. وهكذا اختاروا أن يكون ولائهم لملكوت الله.

معتقدات الفلدانيين

لم يكن لدى الفلدانيين معتقدات لاهوتية معقدة بل كان ما يؤمنون به في الأساس هو بشارة الملكوت. وإذ كانوا على معرفة كاملة بتعاليم يسوع، علموا أن كل إنسان هو قادر على الاختيار ومسؤول عن اختياره. على كل واحد منا أن يتخذ القرار بأن يحيا تعاليم المسيح وأن يكون أمينًا لقراره هذا. كانوا يقولون: "لا يمكن للشخص أن يكون مسيحيًا حقيقيًا لو لم يُخضع حياته حقًا لسلطان الرب يسوع المسيح."[١١] وقد كانوا على حق في رؤيتهم لتعاليم يسوع كتعاليم ثورية، وفي أن المراد منها هو أن يحياها الشخص حرفيًا. ولذلك علموا ضد تكديس الثروات وضد استخدام السيف سواء في الحرب أو دفاعًا عن النفس.

كذلك رفض الفلدانيون مبدأ القسم، على الرغم من أنه كان من أساسيات مجتمع العصور الوسطى، وتمسكوا بمستوى الأمانة الراقي الذي أراده يسوع وأصبحوا مشهورين بأمانتهم لدرجة أن كاثوليكي فقير أُتُهم ظلمًا بأنه من

الفلدانيين فأخبر قضاة التحقيق: "أنا لست من تعتقدون. أنا أكذب فأنا كاثوليكي صالح."[١٢]

تقول إحدى الكتابات الدينية للفلدانيين عن المسيحية الحقيقية:

"كثيرون هم المسيحيون المزيفون المعتمة عيونهم بالإثم. هؤلاء يضطهدون الصالحين في حين يتركون المخادعين المضللين يعيشون في سلام. لكن بهذا نعرف أنهم ليسوا رعاة صالحين لأنهم لا يحبون الخراف بل الصوف. يقول الكتاب ونحن نعرف أن قوله حق إن الشخص الصالح الذي يحب يسوع المسيح لا يشتم ولا يحلف ولا يكذب ولا يزني ولا يقتل ولا يسرق ولا ينتقم من أعدائه...

وأتجرأ هنا وأقول قولة حق: إن كل البابوات منذ سلفستر وحتى اليوم وكل الكرادلة والأساقفة ورؤساء الأديرة، ومن هم على شاكلتهم ليست لديهم سلطة الغفران أو سلطة الصفح عن أي إنسان لارتكابه ولو خطية واحدة. الله وحده هو الذي يغفر الخطايا. هذا هو ما يجب على الرعاة فعله: أن يكرزوا للناس ويصلوا معهم ويغذوهم بالتعاليم التي من فوق."[١٣]

كان الفلدانيون دارسين متحمسين للكتاب المقدس وبمرور الوقت تخلصوا من كل جوانب الإيمان الكاثوليكي التي لم يستطيعوا العثور عليها في الكتاب المقدس. وعلى الرغم من أنهم ابتدأوا ككاثوليك صالحين، إلا أنهم انتهوا إلى رفض كل التعاليم والممارسات غير الكتابية، مثل التعاليم الخاصة بالمطهر وقداس الموتى وشفاعة مريم والقديسين وتقديس وعبادة التماثيل والصليب والسلطة الكهنوتية الخاصة بالقسس.[١٤]

اكرزوا بالكلمة

على الرغم من أن الفلدانيين كانوا مطاردين من السلطات البابوية ومع أنهم كانوا يعرفون أن العذاب والموت ينتظرهم إن أُلقي القبض عليهم، إلا أنهم نشروا رسالة الملكوت البسيطة في كل أوربا. منع يسوع أتباعه من دعوة أي شخص بلقب الأب ولذلك كان الفلدانيون يدعون مبشريهم المتجولين بلقب "العم." كان هؤلاء الأعمام عادة ما يسافرون اثنين اثنين عبر أوربا. وفي الغالب كان شابًا صغير السن يسافر مع عم أكبر سنًا كي يتعلم منه التلمذة مباشرة. كما كان الأعمام الفلدانيون يتنكرون كتجار مسافرين حتى يهربوا من السلطات الكنسية.

الحملة الصليبية ضد الفلدانيين

عاش الفلدانيون لما يقرب من أربعة قرون كحيوانات مطاردة لا يعرفون متى ستنقض عليهم جيوش الكنيسة. الكثير من المجتمعات الفلدانية طمسها السيف. كان واحد من أخر معاقلهم يقع في وادي بيدمنت في جبال الألب على حدود فرنسا وإيطاليا. في عامي ١٤٨٨ و١٤٨٩، أي قبل ثلاثين عامًا فقط من الإصلاح، انقضت جيوش البابا على مستوطنة الفلدانيين في جبال الألب بوحشية لا توصف.

الجيوش الصليبية الكاثوليكية "المقدسة" ذبحت الفلدانيين أينما وجدتهم. كانوا ينزعون أحشاء الآباء ويهشمون رؤوس الأبناء على الصخور. وكانوا يقودون الآباء إلى الموت وقد علقوا رؤوس أبنائهم المقطوعة حول رقابهم.[١٥]

يكتب مؤرخ الكنيسة ج. أ. وايلي (*J. A. Wylie*) عن هذه الفظائع قائلاً: "تمثل هذه الفظائع مشهدًا متفردًا وغير مسبوق في تاريخ البلدان المتحضرة.

هناك مآسي أُريقت فيها دماء كثيرة وانتهت فيها حياة أناس أكثر، لكن لم يكن منفذوها متجردين من الإنسانية بالكامل إلى هذه الدرجة، ولم تكن أشكال المعاناة فيها على هذه الدرجة المنفرة من البشاعة وهذه الدرجة من الوحشية التي لا توصف. مذابح بيدمنت تقف متفردة في كل هذه الجوانب."[١٦]

مع بدايات القرن السادس عشر كان أغلب المؤمنين الفلدانيين قد ذُبحوا. ومع ذلك استطاعت حركتهم أن تصمد أمام اضطهادات رهيبة، وإن كان في مناطق محدودة فقط. لم يكن الفلدانيون على وشك الاستسلام. وسرعان ما بدأ من تبقي منهم في طباعة كتيبات دينية مستغلين ذلك الاختراع العجيب الجديد: آلة الطباعة.

٣٠

التيار البديل

لم تركز كل حركات الإصلاح في العصور الوسطى على بشارة الملكوت، فإلى جانب تيار الملكوت كان يجري تيار أخر هو تيار المصلحين الأغسطينيين.

ربما تبدو لنا أية حركة مرتبطة بأغسطينوس من النظرة الأولي على أنها ليست حركة إصلاح حقيقية، فأغسطينوس كان هو المدافع عن كل الهجين القسطنطيني. وهذا صحيح. إلا أن الكنيسة في عهد أغسطينوس ظلت جزءًا من الهجين لأقل من قرن. وبمرور السنوات ابتعدت الكنيسة أكثر فأكثر عن تعاليم يسوع. كان تقديس التماثيل وتقديس مريم والقديسين في بداياته في أيام أغسطينوس. في تلك الأيام لم يكن هناك صكوك غفران بابوية ولا كرادلة. وكان المصلون من الشعب يشربون جميعًا من كأس العشاء الرباني.

وهكذا كانت العودة إلى المسيحية في عهد أغسطينوس هي إصلاح كبير في حد ذاته وإن كان لا يزال في نطاق الهجين القسطنطيني ولم يكن بأي حال من الأحوال عودة إلى بشارة الملكوت.

الحركات الأغسطينية وحركات الملكوت

على الرغم من وجود الكثير من نقاط الالتقاء بين حركات الإصلاح الأغسطيني

وحركات الملكوت، إلا أنهم يختلفون عن بعضهم البعض فيما يلي من جوانب:

١- **قبول الهجين القسطنطيني:** قبل كل المصلحين الأغسطينيين الهجين القسطنطيني إذ لم يكن لديهم أي اعتراض على الاتحاد بين الكنيسة والدولة. لقد سعى هؤلاء في الواقع إلى إتمام إصلاحاتهم بقوة الدولة.

٢- **رفض اللامقاومة:** بما أن المصلحين الأغسطينيين قبلوا الاتحاد بين الكنيسة والدولة لذلك لم يعترضوا على استخدام السيف. كانوا جميعهم يدركون أن السيف ضروري لعملية الحفاظ على الدولة. وبما أن الدولة اقترنت بالكنيسة، كان يجب على الكنيسة ألا تعترض على اشتراك أعضائها في الحرب وعلى أحكام الإعدام والتعذيب.

٣- **رفض تعاليم الملكوت الأخرى:** كان لكل الحركات الأغسطينية نفس الشكل تقريبًا. وإذ صبغوا أخلاقيات وأسلوب حياة العهد القديم بلاهوت (مفترض) للعهد الجديد، نادي المصلحون الأغسطينيون بأنه ما من داع لإتباع تعاليم ملكوت يسوع عن المال والقسم حرفيًا. ونادرًا ما نادوا بشيء عن الانفصال عن العالم. ومع ذلك – كي نوفيهم حقهم – عادة ما هاجموا إضافات كنيسة روما على الكتاب المقدس بعد عهد أغسطينوس. هذا مع أنهم قبلوا التغييرات التي تمت قبل موت أغسطينوس.

٤- **الاهتمام باللاهوت أكثر من أسلوب الحياة:** اختلاف أخر بين الحركات الأغسطينية وحركات الملكوت يتمثل في تركيز الأولي على اللاهوت باعتباره أساس المسيحية. على العكس من ذلك كان أسلوب الحياة هو ما انصب عليه اهتمام حركات الملكوت. إلى جانب ذلك كان اللاهوت الذي ركزت عليه الحركات الأغسطينية هو لاهوت أغسطينوس. عادة ما تحدث المصلحون الأغسطينيون عن السلطة المطلقة للكتاب المقدس. لكن عمليًا كانت السلطة

المطلقة هي للكتاب المقدس كما فسره أغسطينوس. لا عجب إذًا أن نجد معظمهم ينادي بعقيدة التعيين المسبق كبند أساسي في برنامجهم الإصلاحي.

٥- **التعليم:** كان معظم المصلحين الأغسطينيين رجالاً تخرجوا في الجامعات. وعادة ما كانوا يفخرون بمساندة - على الأقل - واحدة من الجامعات الكبرى لهم. على العكس من ذلك ابتدأ معظم حركات الملكوت رجال علمانيون لم يتلقوا أي مساعدة من أي جامعة.

جون ويكليف

ربما يكون جون ويكليف هو أول مصلح أغسطيني في العصور الوسطى. كان ويكليف أستاذًا للفلسفة واللاهوت في جامعة أكسفورد بإنجلترا في القرن الرابع عشر. كان ويكليف مشهورًا في الدوائر الأكاديمية بإنجلترا في عصره، وكان البلاط الملكي الإنجليزي يسانده.

كان ويكليف مثل من أتوا بعده من المصلحين الأغسطينيين يعلم ضد الكثير من التطورات التي حدثت في الكنيسة الكاثوليكية بعد عصر أغسطينوس مثل عقيدة الاستحالة وتقديس وعبادة رفات القديسين والتماثيل والقديسين ومنح صكوك الغفران.[١]

كما كان رافضًا لادعاءات تمجيد البابا، بل وكان يصف كنيسة روما بـ"مجمع الشيطان" والبابا بـضد المسيح. وقد أصاب حين قال: إن "بيتر وكليمنت وغيرهم من المعاونين في الإيمان ليسوا بابوات بل هم معاونو الله في عمله لبناء كنيسة ربنا يسوع المسيح."[٢] أراد ويكليف أن تكون الكنيسة القومية في إنجلترا مستقلة عن البابا. كما أدان كل الأنظمة الدينية بقوة لدرجة القول بأن أي شخص ينتمي إلى جماعة دينية ليس مسيحي حقيقي.[٣]

هاجم ويكليف في كتاباته ثروة الكنيسة الكاثوليكية هجومًا عنيفًا، معلمًا أنه لا يجب أن يكون لرجال الإكليروس أو الكنيسة أي ممتلكات. ومع ذلك لم يكن ويكليف على استعداد لقبول كل تعاليم يسوع ضد تكديس كنوز هنا على الأرض، إذ لم يكن لديه أي اعتراض على تكديس الملوك والنبلاء للثروات. كل ما أراده هو ألا تفعل الكنيسة ذلك. بل وقال إنه إن لم تسلم الكنيسة ممتلكاتها للملك يكون من حقه أن يأخذها بالقوة. وهذا هو بالضبط ما فعله هنري الثامن بعد موت ويكليف بقرن ونصف القرن.

مثل غيره من المصلحين الأغسطينيين قبل ويكليف الهجين القسطنطيني قبولاً تامًا. الأمر الوحيد الذي اعترض عليه كان مستند هبة قسطنطين الزائفة الذي ذكرته قبلاً. في أيام ويكليف كان المستند لا يزال يُقبل كمستند حقيقي. لكن لأن ويكليف كان يعتقد أن الدولة هي الجزء المكمل للكنيسة فقد علم أنه على أي نبيل علماني أن يحيا حياة الصلاح قائلاً: "ليس سيدًا على أي شيء من يعيش في خطية مهلكة."[٤] بعبارة أخري إن الحاكم الذي يعيش في الخطية يفقد حكمه وسيادته تلقائيًا وليس على رعاياه أن يطيعوه فيما بعد. هذا بالطبع لا يتوافق على الإطلاق مع تعاليم العهد الجديد. كان كل الأباطرة الرومان يعيشون عمليًا في الخطية ومع ذلك قال بولس بوجوب الخضوع للسلطات لا إسقاطها. وهكذا أرست تعاليم ويكليف أساسًا للثورات المسلحة إذا شعرت الجماعة المسيحية أن الملك أو أي حاكم أخر يعيش في الخطية (أو ينتمي للكنيسة الخطأ).

كذلك كان ويكليف يؤمن بعقيدة التعيين المسبق تمامًا مثل أغسطينوس. كان يقول إن كل شخص قبل أن يولد قد عُين تعيينًا مسبقًا لا تبديل فيه إما للحياة الأبدية أو للهلاك الأبدي وهذا ليس بناء على علم الله المسبق بل على حكم ارتجالي من قبله. كتب ويكليف يقول: "أؤكد هنا فيما يتعلق بالإيمان أن كل ما سيحدث، إنما سيحدث بالضرورة. وعليه لو أن بولس معين مسبقًا للهلاك فلا يمكنه أن يتوب بحق."[٥]

على عكس كارزي الملكوت في فرنسا وإيطاليا أراد ويكليف أن ينفذ إصلاحاته من خلال قوة الدولة. كان ويكليف منذ البداية يعمل داخل دوائر القوى في إنجلترا، وكان يتمتع بحماية الملك والنبلاء من البابا. في الواقع كان ويكليف يتمتع بحماية خاصة من قبل الدوق جون من غونت (*John of Gaunt*) الذي كان له تأثير عظيم على الملك إدوارد ملك إنجلترا المسن.

حكمت الكنيسة الكاثوليكية على الكثير من تعاليم ويكليف بالهرطقة. إلا أن أصدقائه أصحاب النفوذ أنقذوه من الإعدام حرقًا. وقد مات ميتة طبيعية عام ١٣٨٤. إلا أن الكنيسة الكاثوليكية بعد خمسين عامًا من موته أخرجت جثته وأحرقتها حتى الرماد وألقتها في النهر.

اللولارديون

استمر تأثير ويكليف في إنجلترا من خلال تلاميذه الذين أطلقت عليهم الكنيسة الكاثوليكية اسم "اللولارديون." كان ويكليف ينادي بسلطان الكتاب المقدس فوق سلطة الكنيسة، وكان أحد أهم إنجازات اللولارديين هو ترجمتهم للكتاب المقدس إلى اللغة الإنجليزية. وعلى الرغم من أن هذه الترجمة تُنسب إلى ويكليف نفسه إلا أن من وضعها هم تلاميذه وأصدقائه.[٦]

في البداية ضم اللولارديون الكثيرين من أصحاب الثروة والسلطة بين صفوفهم. ولأنهم كانوا متأثرين بشده بالهجين القسطنطيني قاموا عام ١٣٩٤ بتقديم كتيب إلى البرلمان الإنجليزي يطالبونه بإصلاح الكنيسة. ومع ذلك كانت الإصلاحات التي طالبوا بها هي مزيج من التعاليم الأغسطينية وتعاليم الملكوت.

هاجم اللولارد عزوبية الكهنة والماء المقدس والصلاة من أجل الموتى والحج إلى روما والتقدمات والصلوات للصليب والتماثيل والاعتراف للكهنة.[٧] كما دعوا

إلى إنهاء تولي البابا أو أساقفته رسم كهنة إنجلترا.[٨]

كما هاجموا وضع جمع رجال الإكليروس بين تولي المناصب الحكومية والمناصب الروحية بقولهم: "أن يكون الملك هو الأسقف، والمطران هو قاضى الأمور الزمنية، وراعي الأبرشية هو الشاغل لمنصب دنيوي، لهو أمر يفسد حكم أي مملكة. وهذا الاستنتاج صحيح ومثبت لأن الدنيوي والروحي هما نصفا الكنيسة المقدسة ككل. ومن يعمل في نطاق أحداهما عليه ألا يتدخل في الأخر إذ أنه لا يوجد شخص بإمكانه أن يخدم سيدين."[٩]

وهكذا، مثل ويكليف، لم يكن لدي اللولارديين - كما نرى - فهم كامل لبشارة الملكوت. كانوا يريدون الفصل بين المناصب الدنيوية والمناصب الروحية لكنهم كانوا يرون أن السلطتين الدنيوية والروحية يكونان معًا "الكنيسة المقدسة ككل." كان ملكوت الله لا يزال مقترنًا بالدولة.

إلا أنه بعد موت ويكليف ابتعد اللولارديون عن اللاهوت الأغسطيني وأصبحوا أقرب إلى بشارة الملكوت. على سبيل المثال، على الرغم من فهمهم المنقوص للملكوت، كان اللولارديون يرون عدم اتساق الحرب مع المسيحية:

> "إن قتل الإنسان في الحرب، أو تنفيذًا لقوانين العدالة من أجل قضية زمنية، دون أي إعلان روحي، لهو أمر يناقض تمامًا العهد الجديد، الذي هو عهد النعمة الممتلئ بالرحمة. هذا الاستنتاج تثبته كرازة المسيح هنا على الأرض. نادي المسيح بمحبة الأعداء، وإظهار الشفقة نحوهم، وليس قتلهم. وسبب ذلك (بصفة عامة) هو أنه عندما يتقاتل البشر تضيع المحبة بعد الضربة الأولى. ومن يموت بلا محبة يذهب مباشرة إلى الجحيم.
>
> وفوق ذلك نعلم أنه لا يوجد رجل إكليروس واحد يمكنه بحسب الكتاب المقدس أو وفقًا لأي سبب قانوني أن يحل خطية دون الأخرى من عقاب

الموت. إن قانون العهد الجديد هو قانون الرحمة وهو يمنع كل أشكال القتل إذ يقول: «سمعتم أنه قيل لا تقتل»... تستحق الحملات الصليبية كل مذمة من ملك السلام لأن الإيمان ينتشر بالتواضع والصبر. والمسيح يكره الحرب والقتل ويحذر من يفعل ذلك بقوله: لأن «لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون.»"[١٠]

يمكننا بالطبع أن نخمِّن أن البرلمان لم يُجِز هذه الكتابات. وفي خلال عقود قليلة اتحد العرش والكنيسة الكاثوليكية معًا في محاولة منهما للقضاء الكامل على اللولارديين. طاردت السلطات الكاثوليكية اللولارديون بكل قسوة ومات الكثيرون منهم حرقًا. وارتد بعضهم عن معتقداتهم عندما واجههم العذاب والموت. ومن تبقى منهم تحولوا إلى جماعة سرية. وكانت اجتماعاتهم البسيطة تركز على دراسة الكتاب المقدس والكرازة بالكلمة.[١١]

بعد أن خسر اللولارديون مساندة الملك والنبلاء، بدأت جماعتهم تكتسب الكثير من صفات حركات الملكوت في العصور الوسطى. أصبح غالبيتهم من التجار والفلاحين والقرويين الفقراء. ولم تنجح الكنيسة الكاثوليكية في القضاء عليهم وهكذا ظلوا موجودين حتى وصل الإصلاح إلى إنجلترا.

إلا أن ما فشلت فيه الكنيسة الكاثوليكية نجح فيه الإصلاح. انضم ما تبقي من اللولارديين إلى حركة الإصلاح الإنجليزي وما تؤمن به من اللاهوت الأغسطيني. وبعد عهد الملكة ماري (١٥٥٣-١٥٥٨) فقدوا تعاليمهم المميزة وهويتهم المستقلة.

٣١

الفلدانيون يتقابلون مع المصلحين السويسريين

في بدايات القرن السادس عشر أخذ التيار الأغسطيني الذي كان مجرد سرب هزيل في العصور الوسطى في التدفق بقوة في ألمانيا من خلال تعاليم مارتن لوثر. وفي نفس التوقيت كان يتدفق في سويسرا تحت قيادة المصلح ألريك زونجلي. وكما هو الحال مع كل المصلحين الأغسطينيين تلقي كلاً من لوثر وزونجلي تعليمًا جامعيًا. وكان كلاهما كذلك معجبًا بأغسطينوس ودارسًا لكتاباته.

كان زونجلي ابنًا لقاضٍ سويسري، وكان وطنيًا بارزًا ودارسًا للفلسفة الإنسانية وواعظًا ورجل دولة. كما كان قسًا مرسومًا يخدم كقس عسكري للمرتزقة السويسريين الذين يحاربون نيابة عن البابا. وفي عام ١٥١٩ تم تعيينه كقس للكنيسة الرئيسية في زيورخ بسويسرا.[١]

لكن زونجلي عندما قبل هذا المنصب لم يكن ينوي أن يبدأ أي إصلاح. ومع ذلك كان في عظاته لا يتبع تفسيرات اللاهوتيين الكاثوليك في العصور الوسطى بل يتبع تفسيراته الشخصية التي كان متأثرًا فيها بأغسطينوس.

كان زونجلي شخصية عامة، ولم تكن عظاته تلقى معارضة من مجلس الشيوخ المدني في زيورخ، بل كان المجلس في الواقع يشجع القساوسة الآخرين

على الوعظ من الكتاب المقدس فقط، وعدم ذكر شيء عن الإضافات البشرية. في عام ١٥٢٢ ألقى زونجلى عظة أوضح فيها أن تحريم أكل اللحوم خلال الصوم الكبير ليس له أي أساس في الكتاب المقدس. تسببت هذه العظة في عاصفة أدت إلى صراع مفتوح بين زونجلي والكنيسة الكاثوليكية وتسببت في اضطراب كبير في كل سويسرا.

طلب زونجلي من مجلس الشيوخ أن يدعو إلى مناظرة عامة بشأن قضية الصوم الكبير وهو ما فعله المجلس. فاز زونجلي في هذه المناظرة على العامة وعلى الشيوخ. وبمساندة الدولة له ابتدأ إصلاحًا كبيرًا في كنيسة زيورخ. كان هدف زونجلي هو إصلاح كل الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية لكل المواطنين تأسيسًا على قوة الكتاب المقدس (كما كان يفسره).[٢]

وبما أن الإصلاح لاقى معارضة من كل الأساقفة الكاثوليك في سويسرا، تدخل مجلس الشيوخ المدني في زيورخ مطالبًا بحقوق السلطة الحكومية والقضائية التي كان الأساقفة الكاثوليك يمارسونها من قبل. وفي عام ١٥٢٥ صادر المجلس كل الممتلكات التي كانت مملوكة قبلاً للكنيسة وبدأ يسيطر على تعليم الإكليروس.[٣]

من المؤسف أن زونجلي قبل الهجين القسطنطيني قبولاً تامًا. وكان يعظ ببشارة أغسطينوس وليس ببشارة الملكوت. رفض زونجلي كل ممارسات الكنيسة الكاثوليكية التي أُضيفت منذ عهد أغسطينوس. لكنه مثل باقي المصلحين الأغسطينيين كان زونجلي يتطلع إلى قوة الدولة لتنفيذ إصلاحاته. كما لم يتردد في استخدام السيف لتعزيز حركته، بل وقد مات في ساحة القتال وهو يخدم كقسيس لجيش الإصلاح.[٤]

لقاء الفلدانيين

كان هناك في جنوب زيورخ صديقًا لزونجلي ومؤيدًا له يدعي وليم فارل. كان فارل يعظ بعقائد الإصلاح في مدينة إيجل (*Aigle*) على الضفة الشرقية من بحيرة جنيف. كان هذا الواعظ المتقد يعمل تحت حماية الحكومة المدنية لمقاطعة برن وقد نجح في إقناع الآلاف بالانضمام إلى حركة الإصلاح السويسري.[٥]

في هذه الأثناء كانت حركة الإصلاح قد وصلت إلى الفلدنيين في إيطاليا. وعليه أرسلوا اثنين من الأعمام إلى ألمانيا ليتعلموا المزيد عنها. كان الرجلان اللذان اختارهم الفلدانيون مختلفين في هيئتهما. كان الأول والأكبر سنًا يدعي جورجيو وهو رجل ثابت العزم، ناضج وحذر. أما الأخر ويدعى مارتن جونن (*Martin Gonin*) فكان شابًا ممتلئ نشاطًا لكنه سريع التأثر إلى حد بعيد. عبر الاثنان جبال الألب السويسرية سيرًا على الأقدام وتقدموا ببطء صوب مدينة إيجل حيث كانا ينويان البقاء ليلة أو اثنتين ثم يكملان طريقهما إلى ألمانيا. لكن بينما هما في إيجل سمعا عن وليم فارل وعظاته الإصلاحية فرتبا للقائه. في هذا اللقاء قدم لهما فارل عقائد الإصلاح ومبادئه. وإذ كان فارل فعالاً في كلامه ترك تأثيرًا كبيرًا على مارتن جونن.[٦]

بعد أن عرفا الكثير عن الإصلاح ومبادئه، قرر العمان أن يرجعا إلى الأخوة والأخوات في إيطاليا ليخبروهم بما عرفوا بدلاً من أن يكملا طريقهما إلى ألمانيا. عاد الشاب الفلداني مارتن جونن إلى إيطاليا وهو متحمس للإصلاح. أما العم الأكبر جورجيو فكانت له بعض التحفظات على الانضمام إلى حركة الإصلاح. لقد سمع ورأي ما يكفي كي يدرك أن هناك اختلافات هامة بين معتقدات وممارسات الفلدانيين ومعتقدات وممارسات المصلحين في سويسرا.[٧]

استمر الفلدانيون في مناقشة الأمر في اجتماعاتهم لمدة أربعة سنوات. وفي النهاية قرروا إرسال أربعة ممثلين إلى سويسرا للبحث في الأمر أكثر. رحب فارل ومن معه من المصلحين السويسريين بممثلي الفلدانيين الأربعة ترحيبًا حارًا. كان هؤلاء هم الأبطال الذين صمدوا أمام روما لأكثر من ثلاثة قرون. أخبر المصلحون الفلدانيين: "لن تكونوا بمفردكم فيما بعد. نحن هنا لمساعدتكم."

لم يكن ما واجهه الفلدانيون في هذا اللقاء مختلفًا عما واجهه مسيحيو القرن الرابع عندما عرض عليهم قسطنطين "معونته." كان الفلدانيون أمام نفس الامتحان، فقد وجدوا في المصلحين السويسريين جماعة قريبة منهم تريد عمليًا أن يكونوا معًا جماعة واحدة. ربما قد استجاب الله أخيرًا لصلواتهم التي استمرت لقرون. ربما كان الله يفتح أمامهم بابًا جديدًا.

لكن ها هو الشرك يظهر أمام أعينهم. أخبرهم المصلحون: "هناك أشياء قليلة عليكم تغييرها حتى يمكنكم الاندماج في حركة الإصلاح." اتضح للفلدانيين أن هذه "الأشياء القليلة" هي في الواقع تخلي كامل عن المسيحية بحسب الملكوت. استمع الفلدانيون لما قاله المصلحون ووافقوا على التشاور مع كل جماعة الفلدانيين.[٨]

عاد الممثلون الأربعة إلى إيطاليا وأخبروا الجماعة بما رأوا. وسريعًا ما انقسم الفلدانيون إلى ثلاثة فرق: الفريق الأول هو فريق المحافظين الذين سمعوا ما يكفي كي يدركوا أن المصلحين ليسوا مسيحيين بحسب الملكوت وعليه اختاروا أن يبقوا منفصلين عنهم. الفريق الثاني كان فريق المتحررين مثل مارتن جونن وكانوا يقولون بضرورة انضمام الفلدانيين إلى حركة الإصلاح والقيام بما يلزم من تغييرات. أما الفريق الثالث فكان فريق المعتدلين الذين أرادوا إجراء المزيد من الحوار مع المصلحين.[٩]

وبما أن المتحررين والمعتدلين كانوا يمثلون الغالبية، قرروا دعوة وليم فارل من سويسرا كي يتحدث أمام جماعة كنسية كبيرة من الفلدانيين. اجتمع الفلدانيون في مرج بالقرب من تشانفورن (*Chanforan*) في إيطاليا للتفاوض بشأن مستقبلهم. واستطاع فارل ذو القدرة على الإقناع في استمالة الكثير من الفلدانيين إلى الإصلاح حيث وافق الكثيرون منهم في تشانفورن على النقاط التالية:

- "يمكن للمسيحي أن يحلف باسم الله دون أن يتعارض فعله هذا مع ما ورد في متى ٥ بشرط ألا ينطق باسم الرب باطلاً."
- "لم يأمر الله بالاعتراف الشفهي بالخطية بل يقرر الكتاب المقدس أن الاعتراف الحقيقي للمسيحي هو أن يعترف لله وحده."
- "يمكن للمسيحي أن يتبوأ كرسي القضاء ويكون قاضيًا على المسيحيين الذين ارتكبوا أمورًا خاطئة."
- "كل الذين خلصوا وسيخلصون قد سبق الله واختارهم قبل تأسيس العالم."
- "على خادم كلمة الله أن يظل في مكانه ولا ينتقل من مكان إلى مكان مبشرًا إلا إذا كان ذلك لصالح الكنيسة."[١٠]

بالنسبة لفارل والمصلحين، كان ما حدث انقلابًا لاهوتيًا كبيرًا. لقد وافق الفلدانيون على التخلي عن كل ما كانت جماعتهم تمثله عمليًا. لقد عانوا اضطهادات مريعة من قبل الكاثوليك لرفضهم التوقف عن التجول مبشرين. وها هم الآن يتخلون عن ذلك دون أن ينزفوا قطرة دم واحدة. كما وافقوا في تشانفورن على التخلي عن ممارسة الفقر الاختياري.[١١]

تُوج الاستسلام الروحي للفلدانيين في تشانفورن بموافقتهم على استبدال ترجمة الكتاب المقدس الفلدانية التي استخدموها لقرون بترجمة فرنسية جديدة.[١٢]

كانت هذه هي نهاية أهم حركة من حركات الملكوت في تاريخ المسيحية. لقد استمر الفلدانيون بكل تأكيد لكنهم استمروا على غرار مسيحيي الإصلاح يحملون السيف بفرح دفاعًا عن معتقداتهم. لقد اكتشفوا "خطأ" إتباعهم الحرفي لكثير من نصوص الإنجيل. لا يزال الفلدانيون بيننا اليوم في حين اختفت شهادتهم عن الملكوت.

٣٢

صهيون الجديدة في جنيف

بعد مؤتمر تشانفورن انتقل فارل إلى جنيف حيث أصبح صديقًا لواعظ شاب موهوب يدعى جون كلفن. أقنع فارل كلفن أن يكتب مقدمة الترجمة الجديدة لحركة الإصلاح التي وافق الفلدانيون على استخدامها. كما أقنعه بالبقاء في جنيف وقيادة حركة الإصلاح بها. وسريعًا ما أصبحت جنيف مركزًا للإصلاح السويسري.

مثله مثل زونجلي قبل كلفن الهجين القسطنطيني بلا أي تحفظات. وعليه بدلاً من إرجاع جنيف إلى بشارة الملكوت، أراد كلفن أن يؤسس بها دوله تشبه إسرائيل في العهد القديم. على كل مواطني هذه الدولة أن يقبلوا الإصلاح وأن يواظبوا على حضور الكنيسة. أما الدولة فستكون منخرطة في تأسيس عقيدة "صحيحة"، وحياة صالحة، والحفاظ عليهما. كان هذا بالنسبة لمؤيدي كلفن حلمًا أصبح حقيقية.

أما بالنسبة لمعارضي كلفن ومن معه من مصلحين، كان هذا عهدًا من الرعب. حيث قام مصلحو جنيف بتأسيس هيئه باسم المجلس الكنسي وذلك بغرض الحفاظ على التأديب والانضباط بين أفراد الشعب. كان ذلك المجلس يتألف من كل الرعاة في المدينة ومعهم ١٢ شيخًا. وكان أي مواطن يعارض عقيدة كلفن المعمول بها أو يتغيب عن أحد الاجتماعات الكنسية يُستدعى أمام

المجلس للتأديب.[١] كان المجلس يؤدي عمله بحماسة وفرح. وكان موظفوه منتشرين في أحياء المدينة المختلفة يراقبون سلوك الشعب ويبلغون عن أي شخص يجدونه مذنبًا ولو بأبسط المخالفات، بل وكانوا يستجوبون الأطفال للحصول على معلومات عن الآباء.[٢]

وإن كان هناك أي شخص مشكوك في أمر معارضته لحكم كلفن، كانت السلطات تقوم على الفور بتفتيش منزله للعثور على أي دليل يجرمه. وإن لم تجد أي دليل مادي، كانت السلطات تقوم بتعذيب المشتبه به وتجبره على الاعتراف، مستخدمة اعترافه هذا كدليل دامغ على إدانته. دعوني أذكر لكم بعض الأمثلة:

في شهر يونيو من عام ١٥٦٤ عُثر على ورقة مجهولة المصدر على منبر كنيسة القديس بيير في جنيف مدون بها كلمات تدين الوعاظ المصلحين وتهددهم بالانتقام. تحركت حكومة المدينة على الفور وألقت القبض على مفكر حر لا يتسم سلوكه بالاحترام يدعي جاك جروت (*Jacques Gruet*) فقط لأنها شكت في أمره. ثم قامت بتفتيش منزله فلم تجد ما يربطه بالورقة مجهولة المصدر. ومع ذلك عندما بحثت السلطات في أوراق جروت الخاصة وجدت بعضًا منها يحتوي على ملاحظات نقدية عن كلفن وكان هذا كافيًا لإدانته. وعليه قامت السلطات بتعذيبه ببشاعة حتى "اعترف" بجريمته فقاموا بقطع رأسه.[٣]

بعد هذه الحادثة بأشهر قليلة تحدث أحد الوعاظ المصلحين ويدعى جين ترولت (*Jean Trolliet*) ضد عقيدة كلفن عن التعيين المسبق المزدوج كما ترد في مبادئ كلفن للديانة المسيحية. أشار ترولت إلى أن عقيدة كلفن تجعل من الله مصدرًا للخطية، إذ تعني أن الله يعاقب الأشرار على الرغم من أنه هو من جعلهم أشرارًا. لكن كلفن رفض أن يناقش الأمر مع ترولت أو مع أي شخص أخر.

وبدلاً من ذلك رد بتعجرف قائلاً إن العقائد الواردة في مبادئه إنما وضعها الله في ذهنه. وبعدها استطاع الحصول على حكم قضائي بنفي ترولت من جنيف.[٤]

حرق الهراطقة

أرسل كلفن نسخة من مبادئه للديانة المسيحية إلى مفكر أسباني يدعى ميخائيل سرفيتوس (*Michael Servetus*). كان سرفيتوس عالماً موهوبًا وجغرافيًا. وكان أول شخص يصف الدورة الدموية في جسم الإنسان بدقة. وبالإضافة إلى اهتماماته المتعددة، كتب سرفيتوس بعض الأعمال اللاهوتية التي تحتوي على ملاحظات متبصرة لكم معها تأملات خاطئة. كان كلفن يري أنه بإرسال نسخة من أعماله اللاهوتية إلى سرفيتوس ساعده على "تصحيح" مساره.

قرأ سرفيتوس أعمال كلفن وكتب الكثير من الملاحظات الهامشية ناقدًا ومفندًا لما قرأه. انتقد سرفيتوس ثلاثة أمور في تعاليم كلفن وهي عماد الأطفال والتعيين المسبق وشرح كلفن للثالوث. وعلى الرغم من أن سرفيتوس كان يؤمن بإلوهية المسيح إلا أن فهمه للثالوث كان مشوشًا وخاطئًا في الكثير من النقاط. أرجع سرفيتوس المبادئ لكلفن مدونًا عليها كل تعليقاته. غضب كلفن جدًا من التعليقات وصرح أنه لو قدم سرفيتوس إلى المدينة فلن يغادرها حيًا.[٥]

إلا أن محكمة التفتيش عثرت على سرفيتوس قبل كلفن وألقت القبض عليه في فرنسا (حيث كان قد هرب) وحكمت عليه بالموت حرقًا كمهرطق. إلا أن سرفيتوس تمكن من الهرب وتوجه إلى إيطاليا. لكن في غير حكمة منه مر بجنيف إذ اعتقد أنه من الجيد أن يسمع كلفن يعظ. إلا أن كلفن تعرف عليه وأمر بإلقاء القبض عليه. وبعدها ألقته الحكومة في زنزانة رهيبة بلا حرارة أو ضوء والقليل من الماء.[٦]

لم يُسمح لسرفيتوس أن يكون له محامٍ في محاكمته.[٧] ووجهت له السلطات

اتهامًا بالهرطقة من أربعين فقرة كان أغلبها يتعلق بالثالوث، وفقرات تتعلق بإنكاره لمعمودية الأطفال وبقوله إن الأطفال هم بلا خطية حتى يبلغوا. كما كان من بين التهم الموجهة إليه كتابة ملاحظات مهينة عن لاهوت كلفن. لم يسمح القاضي لسرفيتوس أن يشرح الأشياء التي كتبها أو يدافع عنها.

بعد سماع الأدلة التي تدين سرفيتوس، أدانته المحكمة وحكمت عليه بالموت حرقًا بسبب تعاليمه الهرطقية على الرغم من أنه لم يكن مواطنًا بجنيف بل مجرد عابر بأراضيها. وليم فارل – الرجل الذي اقنع الفلدانيين بالانضمام إلى حركة الإصلاح – رافق سرفيتوس إلى مكان إعدامه موبِّخًا إياه طوال الطريق على هرطقته بصوت عالٍ.

عندما وصلوا إلى مكان إعدام سرفيتوس، حذر فارل الجمع الواقف لمشاهدة الإعدام قائلاً: "ها أنتم ترون القوة التي للشيطان عندما يمتلك رجلاً في قبضته. هذا الرجل هو عالم متميز وربما يعتقد أنه يتصرف بحق. والآن يمتلكه الشيطان كلية كما يمكن أن يمتلككم إن وقعتم في حبائله."[٨]

ثم قيد منفذي الحكم سرفيتوس إلى الخازوق وكوموا حزمًا من الخشب حوله، كان نصفه أخضر. وبسبب هذا الخشب الأخضر مات سرفيتوس ميتة بطيئة تعذب فيها عذابًا شديدًا بينما الجمع يشاهد مستمتعًا.

على الرغم من أن كلفن اقترح أن يموت سرفيتوس ميتة مختلفة غير الحرق، إلا أنه لم يستخدم تأثيره لوقف إعدامه حرقًا. وبعد موت سرفيتوس بعدة شهور كتب كلفن: "اتهمني الكثيرون بهذا العمل الوحشي القاسي (بزعم) أنني أريد أن اقتل ثانية الرجل الذي دمرته. لا أكترث لهذه التعليقات بل وأفرح حين يبصقون في وجهي... كل من يقول الآن أنه من الظلم ألا يُقتل الهراطقة والمجدفون يجلب على نفسه إثمهم عن دراية وطيب خاطر".[٩]

لا أستطيع أن أمنع نفسي عن التفكير في كيف رأي الفلدانيون كل هذه

الأمور. منذ بضعة عقود مضت كانوا مطارَدين ويُحكم عليهم بالموت حرقًا. أما الآن فأصبحوا جزءًا من حركة ترتكب نفس ما عانوا منه، في الآخرين.

ما هي المكاسب التي حققتها حركة الإصلاح؟

ما هي المكاسب التي حققتها حركة الإصلاح السويسرية؟ الأقاليم التي طالتها حركة الإصلاح استطاعت أن تخلص الكنائس من أغلب الأمور التي أضافتها كنيسة روما على الكتاب المقدس. ومنها: عبادة مريم، التماثيل، القديسين، الباباوات، الكرادلة، رحلات الحج إلى الأماكن المقدسة، وغيرها من الأمور غير الكتابية. وقد كان هذا رائعًا. إلا أن زونجلي وفارل وكلفن لم يفعلوا أي شيء لنشر تعاليم الملكوت التي أرساها يسوع.

في الواقع كان لاهوت حركة الإصلاح، في بعض جوانبه، أكثر تعارضًا مع بشارة الملكوت من لاهوت روما. رأينا كيف أن روما أبعدت تعاليم ملكوت يسوع إلى نطاق "الكمالية" وكانت تري أنه لو أراد الشخص أن يخطو إلى الأمام كي يصل إلى الكمال المسيحي فعليه أن يعيش طبقًا لهذه التعاليم. أما كلفن، فعلي العكس من ذلك، كان يري أن تعاليم الملكوت هي تعاليم غير أساسية وغير لازمة.

في ضوء عقيدة كلفن عن التعيين المسبق، لم يكن يهم إن كان الشخص يعيش بحسب تعاليم يسوع أم لا. هذا لأنه ما من شيء يؤثر على المصير الذي عينه الله له مسبقًا. والأكثر من ذلك أن كلفن – مثل أغسطينوس – أنكر أن يسوع قدم تعاليم مختلفة أو أسلوب حياة مختلفًا عما ورد في العهد القديم. كتب كلفن ضد مسيحيي الملكوت في عصره قائلاً:

"الذريعة الوحيدة المتبقية... هي أن ندّعى أن الرب يطلب من الكنيسة المسيحية درجة كمال أعلى من تلك التي طلبها من الشعب اليهودي. ربما ينطبق هذا على الشعائر. لكن القول بأن هناك قواعد للحياة فيما

يتعلق بالقانون الأخلاقي تختلف عما كان لدي الشعب القديم هو رأي خاطئ...

لذلك دعونا نتمسك بهذا الموقف: فيما يتعلق بالاستقامة الروحية الحقيقية أي فيما يتعلق بسلوك الشخص الأمين بضمير صالح وبكمال أمام الرب في وظيفته وفي كل ما يقوم به، يوجد دليل كامل وواضح في هذا الشأن وهو ناموس موسي الذي علينا أن نتمسك به إن أردنا أن نسير في الطريق الصحيحة. ولذلك أي شخص يضيف إليه أو يحذف منه فهو إنما يتجاوز الحدود. وعليه موقفنا ثابت ولا يشوبه أي خطأ.

نحن نعبد نفس الإله الذي عبده الآباء في القديم. ولدينا نفس الشريعة ونفس القواعد التي كانت لهم. والتي تُظهر لنا كيف نضبط أنفسنا ونسير باستقامة أمام الله. وبناء على ذلك نقول: إن أي مهنة كانت مقدسة وشرعية حينها لا يمكن أن يمنعها المسيحيون اليوم."[١٠]

وعلى غرار كنيسة روما الكاثوليكية علم كلفن أن الكنيسة والحكومة المدنية هما توأمان في ملكوت الله. لذلك كان واجبًا على الدولة أن تؤسس الإيمان الصحيح وتحمى الكنيسة وتجبر المواطنين على أن تتطابق حياتهم مع الشريعة الأخلاقية للعهد القديم. ينعكس هذا الرأي بكل وضوح في اعتراف الإيمان السويسري الثاني (اعتراف هلفتيك الثاني) عام ١٥٦٦:

"نعلم بكل تأكيد أن الاهتمام بالدين إنما هو من صلاحيات الحاكم المقدس. ليرفع كلمة الله في يده وليتأكد بأن لا شيء يُعلم ضدها. وليحكم الشعب الذي ائتمنه الله عليه، بقوانين صالحة موضوعة على أساس كلمة الله، وليعمل على أن يسير الشعب في انضباط وطاعة واحترام للواجب. وليمارس القضاء بأن يقضي للناس بالاستقامة ولا يقبل الرشوة ولا يحابي

لأحد. ليقم بحماية الأرامل والأيتام والحزانى، وليعاقب وينفى المجرمين والمحتالين والبرابرة لأنه لا يحمل السيف عبثًا (رومية ١٣: ٤).

وليرفع سيف الله هذا ضد كل فاعلي الشر والمحرضين واللصوص والقتلة والظالمين والمجدفين والكذابين وكل من أمره الله أن يعاقبهم أو حتى يحكم عليهم بالموت. ليقمع الهراطقة العنيدين (الذين هم هراطقة بالفعل) والذين لا يكفون عن التجديف على جلال الله ولا عن إزعاج بل وتدمير كنيسة الله.

وإن تطلب الأمر حماية أمان الشعب بشن الحرب، ليعلن الحرب باسم الله، بشرط أن يكون قد سعي للسلام أولاً بكل الطرق الممكنة، وأن تكون الحرب هي الوسيلة الوحيدة لإنقاذ شعبه. وعندما يقوم الحاكم بكل هذه الأمور بالإيمان، فهو إنما يخدم الله بهذه الأعمال وينال البركة من قبل الرب."[١١]

عندما سأل بعض المسيحيين كلفن عما إذا كان من الصائب حقًا أن يحمل المسيحي السيف بصفته حاكمًا رد قائلاً: "وأنا أسأل لو أن القيام بمهام حمل السيف أو القيام بمهام السلطة الزمنية كان متعارضًا مع دعوة المؤمنين فلماذا استخدم السيف القضاة في العهد القديم وخاصة الملوك الصالحون مثل داود وحزقيا ويوشيا بل وعدد قليل من الأنبياء مثل دانيال؟"[١٢]

بعبارة أخري كان كلفن يري أن شيئًا لم يتغير بقدوم المسيحية. كل شيء – ماعدا اللاهوت والطقوس الدينية – ظل على حاله كما كان في إسرائيل. على المسيحيين أن يتبعوا مثال يوشيا وحزقيال فيسعوا إلى تقلد منصب الحاكم حتى يحموا الدين الصحيح بكل قوة السلطة المدنية بما في ذلك السيف.

لكن يسوع قال إن تلاميذه لم يحاربوا كي يوفروا له الحماية، لأن مملكته "ليست من هذا العالم". لذلك عندما قال كلفن إن على المسيحي أن يحمل السيف حتى يحمي نفسه ويحمي كنيسته، فهو إنما كان يعترف أن المملكة التي يسعى لحمايتها هي من هذا العالم. صهيون الجديدة التي أرادها كانت مملكة من هذا العالم مثل كل الممالك الأرضية.

٣٣

راية الملكوت ترتفع من جديد

استطاع المصلحون السويسريون أن يدمروا شهادة الملكوت التي كانت للفلدانيين. إلا أنهم لم يستطيعوا أن يمنعوا مجموعات أخري من رفع راية الملكوت من جديد. كانت طباعة وتوزيع الكتاب المقدس في كل أوربا هي واحدة من بين أفضل النتائج التي ترتبت على حركة الإصلاح، حيث قام العديد من علماء الحركة بترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات الدارجة ووفرت آلات الطباعة هذه الترجمات للأشخاص العاديين.

الأوربيون الذين قرأوا الكتاب المقدس بأنفسهم – بعيدًا عن التأثير الأغسطيني للمصلحين – ابتدأوا يقبلون بشارة الملكوت. وهكذا ظهرت حركة جديدة عفوية من حركات الملكوت عبر كل أوربا الشمالية.

تفتحت هذه الحركة أولاً في مدينة زيورخ بسويسرا في الفترة التي كان زونجلي يعظ فيها في المدينة. لم تعمي أراء أغسطينوس بعضًا من أصدقاء زونجلي فاستطاعوا أن يروا بوضوح رسالة الملكوت في تعاليم يسوع، وأرادوا أن يستعيدوا المسيحية التي عاشها الرسل. إلا أن زونجلي لم يكن راغبًا في أن يتوسع في الإصلاح خارج الحدود التي سمح بها مجلس المدينة. لذلك بدأ مسيحيو الملكوت هؤلاء في الاجتماع مع بعضهم البعض في المنازل.

بالإضافة إلى رغبتهم في إحياء تعاليم ملكوت يسوع، نادي مسيحيو الملكوت الجدد بالحاجة إلى كنيسة مقدسة منضبطة وليس إلى كنيسة تابعة للدولة تضم كل فرد يعيش داخل الدولة. كما رفضوا عقيدة التعيين المسبق. لكن زونجلي أثبت أنه مثل كلفن من بعده قليل الاحتمال ويتعامل مع الأمور بقبضة من حديد، إذ سريعًا ما أصدرت السلطات المحلية بموافقة منه قوانين ضد مسيحيي الملكوت الجدد الذين أسمتهم "الأنابابتست" أو منكري المعمودية الأولى*. ينص أحد هذه القوانين على التالي:

"لكي يتم القضاء على جماعة الأنابابتست الخطيرة الشريرة المثيرة للشغب والمحرضة على الفتن، قررنا الآتي: إن تم الاشتباه في أي شخص بأنه ينتمي إلى المنادين بتجديد المعمودية، يتم تحذيره من قبل حاكم المدينة كي يغادر أراضيها ويكون هذا الشخص تحت القصاص بالعقوبة المحددة. على كل شخص أن يبلغ عمن يميلون إلى المنادين بتجديد العماد. ومن لا يلتزم بهذا القانون يكون معرضًا للعقاب طبقًا للحكم الذي يصدره الحاكم.

يحكم على معلمي تجديد المعمودية، والوعاظ الذين يقومون بالتعميد، وقادة الاجتماعات المخالفة للقواعد، بالموت غرقًا. ومن تم الإفراج عنهم من السجن بعض أن أقسموا بالكف عن القيام بمثل هذه الأمور ستقع عليهم نفس العقوبة. كما يتم طرد الأنابابتست الغرباء عن المدينة وإن عادوا يحكم عليهم بالموت غرقًا. لا يُسمح لأي شخص بالانسحاب من الكنيسة [كنيسة الدولة] ولا وبالتغيب عن عشاء الرب المقدس. وأي شخص يهرب من المدينة إلى مدينة أخري يُحكم عليه بالنفي أو يسلم إلى السلطات بناء على طلبها."[١]

* أُطلق عليهم هذا الاسم لأنهم بدلاً من ممارسة معمودية الأطفال المفروضة من قبل الدولة كانوا يمارسون التعميد الاختياري للمؤمنين أي أن الشخص هو الذي يطلب أن يعتمد بعد أن يقبل الإيمان.

سريعًا ما ألقي زونجلي، والسلطات المدنية معه، القبض على معلمي وقادة الأنابابتست أينما وجدوهم. وكانوا يلقون بهؤلاء المسيحيين في زنازين قارصة البرودة ويطعمونهم خبز وماء فقط. ولو رفض هؤلاء المسيحيون المسجونون التراجع عن "أخطائهم" كانوا يقيدون أيديهم خلف ظهورهم ويغرقونهم في النهر – معمودية الموت.[٢]

أما في ألمانيا والنمسا وهولندا فازدهرت جماعات أخري لمسيحيي الملكوت تحت قيادة أشخاص آخرين بالاستقلال عن حركة الأنابابتست في سويسرا. اكتشفت كل هذه الجماعات نفس بشارة الملكوت وسريعًا ما أصبحت على اتصال بعضها البعض. أطلق المصلحون والكاثوليك على كل مسيحيي الملكوت هؤلاء اسم الأنابابتست.

اعتقد كل قادة الخط الرئيسي لحركة الإصلاح أن لاهوت روما كان هو مشكلتها الأساسية. هذا لأن كل المصلحين علموا أن اللاهوت هو جوهر المسيحية. إلا أن الأنابابتست أصابوا عندما رأوا أن جوهر المسيحية ليس لاهوت بل علاقة. يجب أن نولد ثانية حتى نقدر أن ندخل ملكوت الله. ثم ننمو كغصن في كرمة يسوع. كان لروما بالفعل العديد من الممارسات والعقائد غير الكتابية التي كانت في حاجة إلى تصحيح. إلا أن إجراء مجرد إصلاحات لاهوتية ليس كافيًا لحل المشكلة الأساسية.

كانت المشكلة الأساسية هي أن كاثوليكية كنيسة روما تحولت إلى دين ميكانيكي كل شيء فيه يعمل بصورة أوتوماتيكية. لو كان الشخص متمسكًا بعقيدة الكنيسة ويتناول القربان المقدس ومات وهو أمين للكنيسة (وليس في خطية مهلكة) فقد خلص. ولو ارتكب الشخص خطية خطيرة، يمكنه بصورة ميكانيكية التكفير عنها وذلك بعمل الكفارة اللازمة والتي قد تكون: دفع صدقات، أو الحج إلى مكان مقدس، أو الاشتراك في أحد الحملات الصليبية، أو شراء صك

غفران، أو رؤية رفات القديسين. التغيير القلبي غير مطلوب وبالتالي لا تتغير علاقة الشخص بالمسيح.

أريد أن أوضح هنا أن كنيسة روما الكاثوليكية لم تعلم رسميًا أن المسيحية ليست سوى اتباع ميكانيكي لقائمة من الخطوات بل علمت أن محبة الله والتوبة الصادقة عن الخطية هي أمور أساسية. لكن المشكلة كانت (وما زالت) تكمن في وجود فجوة كبيرة بين ما كانت تقوله رسميًا وما كانت تمارسه على أرض الواقع وتعظ به في المجتمع الكاثوليكي. عمليًا على أرض الواقع كانت كاثوليكية روما دينًا أشبه بآلة كل ما يتحدث عنه هو نعمة رخيصة.

الاعتقاد الشائع هو أن حركة الإصلاح غيرت كل هذا. إلا أن كل ما فعله الإصلاح هو استبدال النعمة الرخيصة التي روجتها الكنيسة الكاثوليكية (القربان المقدس وصكوك الغفران وما إلى ذلك) بشكل أخر من أشكال النعمة الرخيصة المتمثل في الإيمان السهل: عليك فقط أن تؤمن أن يسوع المسيح مات من أجل خطاياك، وأن طاعتك لا تلعب أي دور في خلاصك، وأن حياتك الأبدية في السماء مضمونة. الحقيقية هي أن اللوثريين في ألمانيا لم يختلفوا عن الكاثوليك فيها إلا فيما يتعلق باللاهوت وشكل العبادة. بالطبع طالبت الكنائس المصلحة في سويسرا بحياة مسيحية أكثر صرامة لكنها عملت على فرض هذه الحياة من خلال السلطات المدنية. ومع ذلك كله كانت هذه الكنائس تعلم الشكل النهائي الميكانيكي للمسيحية: الله سبق وعين كل واحد منا بشكل ارتجالي قبل حتى أن يولد، لمصير معين.

الولادة الجديدة

لم يؤكد لوثر أو زونجلي أو كلفن كما لم تؤكد الكنيسة الكاثوليكية على مبدأ الولادة الجديدة. كانت الولادة الجديدة في كل تلك الأنظمة مجرد جزء من

العملية الميكانيكية الكلية. لكن الأمر بالنسبة للأنابابتست كان مختلفًا، حيث كان على الشخص أن يبدأ بالولادة الجديدة بما في ذلك التعهد الشخصي لملكوت المسيح. لم يكن الأمر يقتصر على مجرد الإيمان بيسوع كمخلص شخصي بل كان يجب الاعتراف به أيضًا كرب شخصي ليس فقط من الناحية اللاهوتية لكن أيضًا على صعيد الحياة الفعلية للشخص. يعبر أحد المنتمين للأنابابتست عن هذا قائلاً:

> ″ربما يقول البعض: ′نحن نؤمن أن المسيح هو ابن الله، وأن كلمته هي حق، وأنه اشترانا بدمه وبالحق. نؤمن أننا ولدنا ثانية بالمعمودية وقبلنا الروح القدس وعليه نكون نحن الكنيسة الحقيقية وجماعة المسيح.′ لكننا نرد قائلين: ′لو أن إيمانكم هو كما تصفونه، فلماذا لا تفعلون ما أمركم به في كلمته؟ وصية يسوع هي: توبوا واحفظوا وصاياي... أيها القارئ الأمين فكر معي في الأمر لو أن ما تصفه هنا هو ما حدث معك... فعليك أن تعترف، علاوة على ذلك، أن الولادة المذكورة آنفًا وقبول الروح القدس ليس لهما أي تأثير عليك ولم ينتجا فيك أي حكمة أو قوة أو ثمر بل هما في الواقع باطلان ولا حياة فيهما. عليك أن تعترف أنك لا تعيش بحسب الروح ولا بقوة الولادة الجديدة.″[٣]

يصف نفس الكاتب نوع الإيمان الذي تتطلبه بشارة الملكوت فيقول: ″الإيمان الإنجيلي الحقيقي لا يمكن أن يظل ساكنًا لكنه يذهب فيكسو العريان ويطعم الجائع ويعزي المحزون ويوفر ملجأ للمحروم. الإيمان الحقيقي يخدم من يلحقون به الأذى ويعصب الجروح. الإيمان الحقيقي يصبح كل شيء لكل الناس.″[٤] وكما يعبر قائد أخر للأنابابتست عن الأمر: ″لا يمكن للشخص أن يعرف المسيح معرفة حقيقية إلا إذا كان يتبعه في الحياة.″[٥]

يقول بولس: «لأَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ لَيْسَ بِكَلاَمٍ بَلْ بِقُوَّةٍ» (١كورنثوس ٤: ٢٠).

جوهر الملكوت ليس كلام – لاهوت – بل قوة. لم يكن بولس يتحدث في هذا النص عن القوة التي تصنع المعجزات، إذ أن المعجزات مثلها مثل الكلمات كلاهما جزء من الملكوت، لكنهما ليسا جوهر الملكوت. الكلمات والمعجزات في حد ذاتهما لا يثبتان شيء. كان يسوع يعلم ميلنا إلى إتباع المعجزات ولذلك سبق فحذرنا قائلاً: «كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: يَا رَبُّ يَا رَبُّ أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!» (متى ٧: ٢٢، ٢٣).

لو أن يسوع لم يعرف أبدًا صانعي المعجزات هؤلاء فهذا يعني أنهم لم يكونوا يومًا مغروسين في كرمته وأنهم عاشوا كل حياتهم المسيحية في عالم من خيال، يتنبأون فيه ويخرجون الشياطين باسم يسوع. اعتقد هؤلاء أنهم يملكون القوة، لكن أيًا كانت القوة التي لديهم فهي ليست من يسوع. ماذا كانت مشكلة هؤلاء؟ هل كانت أنهم وثقوا في أعمالهم؟ لا، يوضح يسوع أن مشكلتهم هي أنهم ″فعلوا الإثم.″ إن مملكته لها قوانين وعدم إطاعة القوانين هي ارتكاب للإثم.

هذه هي النقطة التي أكد عليها الأنابابتست لسامعيهم. لا يهم كم اللاهوت الذي أصبت في فهمه ولا يهم كم من الخطوات الشكلية اتخذت نحو الولادة الثانية. إن لم تكن تحيا بقوة الروح، فكل شيء لا قيمة له. إما أنك لم تكن من البداية مغروسًا في كرمة يسوع وإما أنك قُطعت من الكرمة. من ينمو في كرمة يسوع لا يفعل الإثم ولا يعيش في عدم طاعة لقوانين المسيح.

شعب الملكوت

وصف أحد كتاب الأنابابتست وضعهم في تلك الأيام قائلاً:

> ″في المعمودية يدفنون خطاياهم في موت الرب ويقومون معه إلى حياة جديدة. كما يختتنون قلوبهم بكلمة الرب، ويعتمدون بالروح القدس كي

يصبحوا أعضاء في جسد المسيح المقدس الذي بلا عيب وأعضاء مطيعين في كنيسته بحسب العشاء الرباني الصحيح وبحسب كلمة الرب. يلبسون المسيح مظهرين روحه وطبيعته وقوته في كل سلوكهم. يخافون الله بقلوبهم ولا يسعون وراء شيء بأفكارهم وكلماتهم وأعمالهم، سوي تمجيد الله، وخلاص أخوتهم الأحباء، ولا يعرفون الكراهية والانتقام لأنهم يحبون من يكرهونهم، ويحسنون إلى من يسيئون إليهم، ويصلون لمن يضطهدونهم.[٦]

هذا الشعب المجدَّد له ملك روحي يملك عليهم بصولجان فمه الكامل أي الروح القدس والكلمة. وهو يلبسهم رداء البر المصنوع من حرير أبيض نقى، وينعشهم بالماء الحي الذي من روحه القدوس، ويطعمهم خبز الحياة. هذا الملك اسمه يسوع المسيح. وهم أبناء السلام الذين يطبعون سيوفهم سككًا ورماحهم مناجل، ولم يعودوا يعرفون الحرب. وهم يعطون ما لقيصر لقيصر وما لله لله."[٧]

سريعًا ما وجد مسيحيو الملكوت الجدد بعضهم البعض، وكونوا جماعات محلية واتحادات عبر القارة الأوربية. وسريعًا ما انتشر الأنابابتست لدرجة أن الأمر بدا كما لو أنهم أصبحوا حركة أكبر من التيار الأساسي لحركة الإصلاح.[٨] لم يكن لدي الأنابابتست نظام للإرساليات. لكنهم جميعًا كانوا مرسلين مثل المسيحيين الأوائل، يتشاركون رسالة البشارة مع كل شخص يجدونه. ومرة أخري كانت بشارة الملكوت تقلب العالم رأسًا على عقب.

إلا أن رد العالم كان سريعًا إذ لم يكن لديه رغبة في أن ينقلب رأساُ على عقب. كان المصلحون يخشون انضمام الكثيرين لحركة الملكوت الجديدة تلك لأن هذا يعني أنه لن يكون لديهم ما يكفي من القوات لمحاربة الكنيسة الكاثوليكية أو الأتراك. كان كلاً من المصلحين والكاثوليك يريدون مجتمعًا مبنيًا داخل حدود

الهجين القسطنطيني. كان كلاهما يعتقد أنه إن لم تتحد الكنيسة والدولة معًا فسينهار المجتمع كله. ولذلك يجب أن يموت الأنابابتست.

تعرض مسيحيو الملكوت الجدد على يد كلاً من كنيسة روما الكاثوليكية والمصلحين لنفس أساليب التعذيب الوحشية التي صبها الرومان الوثنيون على المسيحيين الأوائل (بطرق تختلف عن إلقائهم للأسود). على سبيل المثال نفذت السلطات الألمانية الحكم التالي على قائد الأنابابتست مايكل ستلر (*Michael Sattler*):

> "صدر الحكم بأن يُسلم مايكل ستلر إلى منفذ الحكم الذي سيقوده إلى مكان تنفيذ الحكم وهناك سيقطع لسانه ثم يربطه إلى عربة ويمزق قطع لحم من جسده مرتين بملقط محمّى حتى الاحمرار. ثم بعد أن يساق إلى خارج بوابة المدينة، تمزق قطع لحم من جسده خمس مرات بنفس الطريقة وبعدها يُحرق جسده حتى يتحول إلى رماد."[٩]

ما هي الجرائم البشعة التي ارتكبها مايكل ستلر والتي استحق عنها مثل هذا العقاب الشنيع؟ كل ما فعله هو أنه نادي بمسيحية الملكوت وكلم الآخرين عنها. كان من بين الاتهامات التسعة التي وُجهت له أنه علم ضد القسم وكرز باللامقاومة. أتساءل هنا هل كانت هذه السلطات المسيحية عينها ستمزق قطع لحم من جسد المسيح بملقط محمى ثم تحرقه حيًا لأنه هو أيضًا كرز باللامقاومة وعلم تلاميذه ألا يحلفوا البتة!

كان الاضطهاد الذي تعرض له الأنابابتست أسوأ بكثير من ذلك الذي قاساه المسيحيون الأوائل على يد روما. هذا لأنه كان أكثر شمولاً وبلا هوادة. ومع ذلك وعلى الرغم من هذا الاضطهاد الشديد لم يتمكن المصلحون ولا الكاثوليكيون من القضاء على حركة الملكوت الجديدة تلك قضاء كامل، فما زالت بقية أمينة

منهم بيننا اليوم. في نفس الوقت كان للأنابابتست مواطن ضعفهم. على سبيل المثال، نتيجة للاضطهاد الرهيب الذي تعرضوا له على يد غيرهم من المدعوين مسيحيين، فقد الكثيرين منهم في النهاية حماسهم للشهادة للآخرين.

جماعات أخري منتمية للملكوت

كانت حركة الأنابابتست من أهم الحركات في تاريخ المسيحية، حيث استطاعت استعادة بشارة الملكوت في القرن السادس عشر كما استطاعت بقية منهم أن تحافظ على راية الملكوت مرفوعة لما يقرب من خمسة قرون.

إلا أن الأنابابتست لم يكونوا مسيحيي الملكوت الوحيدين في القرون الخمسة الماضية. على الرغم من أن كنائس الإصلاح كانت تطلق على مسيحية الملكوت "مسيحية الأعمال"، كان مسيحيو الملكوت يزدهرون كأفراد في تربة هذه الكنائس. كما كانوا يزدهرون كذلك في كنيسة روما الكاثوليكية. تتساوى كلٌ من الكنائس الكاثوليكية وكنائس الإصلاح في صعوبة ممارسة مسيحية الملكوت داخلها. في الواقع لم تدم أي حركة ملكوت خرجت من كنيسة مرتبطة بلاهوت الإصلاح.

الكويكرز

وصل بعض الأنابابتست إلى إنجلترا لكنهم لم يتمكنوا من تأسيس مقر دائم لأنفسهم هناك. لكن في عام ١٦٤٧ ظهرت حركة ملكوت قومية في إنجلترا بالاستقلال عن الأنابابتست. وككل حركات الملكوت ابتدأت هذه الحركة الجديدة بشخص غير متعلم يدعى جورج فوكس وهو ابن لنساج. استطاع فوكس من خلال قراءة الكتاب المقدس وبدون أي تدريب لاهوتي أن يكتشف بشارة الملكوت.

ابتدأ فوكس بكل حماس وفرح يكرز بمسيحية الملكوت في كل أنحاء إنجلترا. وكان شجاعًا جدًا في كرازته لدرجة أنه كان يقاطع العظة في كنيسة الدولة ويكرز هو للحاضرين. وفي أحد المرات التي فعل فيها ذلك قرر جمع غاضب ممن يرتادون الكنيسة أن يعدموه دون محاكمة. ولما نجا فوكس من الشنق أخذوا يضربونه بهراوات حتى فقد وعيه. وعندما استعاد وعيه أخيرًا وقف ونظر إلى الجمع وقال بصوت عال: "اضربوني ثانية إن أردتم. ها هي ذراعي وها رأسي وها خداي." إلا أن الجمع انفض عنه مذهولاً.[١٠]

أصبح لجورج فوكس الكثير من التلاميذ بسبب كرازته وقد أطلقوا على أنفسهم اسم جمعية الأصدقاء. لكن آخرون أطلقوا عليهم اسم كويكرز وهم معرفون أكثر بهذا الاسم. كرز الكويكرز بقيم الملكوت في كل مكان ذهبوا إليه في إنجلترا ثم في أمريكا فيما بعد. وعلى الرغم من أن السلطات الكنسية جلدتهم وسجنتهم إلا أنها لم تستطع أن تسكتهم. كما منعهم البيوريتان في العالم الجديد من وضع أقدامهم في ماساتشوستس مهددين إياهم بعقوبة الموت. ومع ذلك شهد الكويكرز في ماساتشوستس، فشنق البيوريتان بعضهم.

على عكس الأنابابتست والفلدانيين، شدد الكويكرز على الشهادة الداخلية للروح القدس أكثر من تشديدهم على تعاليم الكتاب. وانطلاقًا من إيمانهم بأنهم دخلوا عهدًا جديدًا للروح، علموا خطأً أن المعمودية وشركة العشاء الرباني لم يعودا ضروريان.[١١] وعلى مدار القرون قادهم تركيزهم على النور الداخلي للروح إلى فعالية أكثر على الصعيد الاجتماعي واعتماد أقل على الكتاب المقدس. الكويكرز اليوم هم جماعة متحررة جدًا تركز في الأساس على العمل الاجتماعي. بقية قليلة جدًا منهم ما زالت تتمسك بالبشارة الكتابية للملكوت.

الأخوة

بينما كانت حركة الكويكرز تزدهر في بريطانيا كانت هناك حركة روحية جديدة تكتسح ألمانيا وشمال أوربا وهي "الحركة التقوية". إذ كان المسيحيون الذين يحضرون الكنيسة الرسمية جوعى لحياة روحية حقيقية ابتدأوا يتقابلون في مجموعات صغيرة لدراسة الكتاب المقدس والصلاة. كان التقويون مثل الكويكرز يركزون على العمل الداخلي للروح القدس. وبالتالي رأوا مثل الكويكرز أن المعمودية وشركة الرب هما أمران ثانويان وغير أساسيان في الحياة المسيحية. لكنهم للأسف وعلى عكس الكويكرز لم ينادوا بالطاعة الحرفية لتعاليم ملكوت يسوع.

كان هناك شاب مسيحي يدعي ألكسندر ماك يعيش في منطقة بلاطين (*Palatinate*) في ألمانيا في أوائل القرن الثامن عشر. وقد أثرت فيه الحركة التقوية وأنهضته روحيًا. في ذلك الوقت كان أغلب أتباع الحركة التقوية ما يزالون داخل كنائس الدولة (اللوثرية أو المصلحة أو الكاثوليكية) وكان يتقابلون للصلاة في أوقات لا تتعارض مع اجتماعات الكنائس الرسمية. إلا أن ماك ورفقاؤه الروحيين رأوا أن الانفصال عن الكنائس الرسمية والعودة إلى المسيحية البدائية هو أمر ضروري. استطاع ماك ورفقاؤه رؤية بشارة الملكوت الواضحة من خلال قراءتهم للكتاب المقدس، فرفضوا القسم والحرب وتكديس الثروات والدعاوى القضائية وما إلى ذلك من أمور تتعارض مع تعاليم المسيح.[١٢]

دعا مسيحيو الملكوت الجدد هؤلاء أنفسهم باسم الأخوة وأصبحوا يعرفون باسم المعمدانيين الألمان أو دونكاردز (*Dunkards*) وقد نشروا بشارة الملكوت بحماس في كل المدن التي كانوا يعيشون بها. لكن اضطهاد السلطات لهم أجبرهم على التنقل من مدينة إلى أخري حتى استقروا في النهاية في

جيرمنتاون في بنسلفانيا. يصف بنجامين فرانكلين في سيرته الذاتية لقاؤه مع الدونكاردز على النحو التالي:

"اعتقد أن سلوكًا أكثر حصافة ينعكس في جماعة أخري تعيش بيننا وهي جماعة الدونكرز. كنت قد تقابلت مع أحد مؤسسيها وهو مايكل ويلفر بعد نشأتها بفترة قصيرة. واشتكى لي من تشويه سمعتهم بصورة شريرة من قبل المتعصبين لطوائف أخرى واتهامهم بمبادئ وممارسات بغيضة هي غريبة تمامًا عن تعاليمهم. أخبرته أن هذه هي الحال مع كل الطوائف الجديدة وأننا كي نضع حدًا لهذه الإساءة ربما يكون من الأفضل لهم أن ينشروا بنود إيمانهم وقواعد تعاليمهم. قال لي إنهم ناقشوا الأمر فيما بينهم لكنه رُفض للسبب التالي:

قال لي: 'عندما اجتمعنا معًا للمرة الأولي كجماعة سُر الله أن ينير عقولنا كي نري أن بعض الأمور التي ظنناها يومًا حقائق ما هي إلا أخطاء، وبعض الأمور التي ظنناها خطأً هي في الواقع حقائق أصيلة. ومن وقت إلى أخر كان الله يُسر أن ينيرنا أكثر فأكثر وكانت مبادئنا تتحسن وأخطائنا تتلاشى. ونحن الآن غير واثقين من أننا وصلنا إلى نهاية هذه العملية من التطور ومن أننا وصلنا إلى كمال المعرفة الروحية واللاهوتية. لذلك نخشى أننا إن نشرنا اعتراف إيماني نصبح مقيدين به وربما غير راغبين في استقبال المزيد من التحسينات. كما نخشى أن يظن من سيأتي بعدنا أنا ما فعلناه نحن أسلافهم ومؤسسي الجماعة هو شيء مقدس لا يصح التخلي عنه أبدًا.'

ربما يكون اعتدال وبساطة هذه الطائفة مثال استثنائي في تاريخ البشرية إذ تظن كل طائفة موجودة إنها تملك كل الحق."[١٣]

لقد كان موقف الدونكاردز المتحرر تجاه اللاهوت (فيما عدا ما يتعلق بالأساسيات) هو صفة مميزة لحركات الملكوت الجديدة. عندما يكتشف المؤمنون الملكوت للمرة الأولي يكون فرحهم بالكنز المخفي عظيم جدًا لدرجة أن الملكوت والملك يستحوذان على كل اهتمامهم، فتجدهم لا يشغلون بالهم كثيرًا بالقضايا اللاهوتية المعقدة.

الكنيسة المسيحية الرسولية

في سويسرا في القرن الثامن عشر بعد أن اختفي الأنابابتست فعليًا من هذا البلد، ابتدأ طالب لاهوت شاب يدعى صمويل فروليش (*Samuel Froehlich*) في تنظيم مجموعات مسيحية مؤسسة إلى حد كبير على التفسير الحرفي لكلمة الله. وبالطبع قاده هذا التفسير إلى الأساسيات المعروفة لبشارة الملكوت: اللامقاومة، اللاهوت البسيط، التعرف على الدور الذي تلعبه الطاعة في الخلاص، ورفض القسم والنزعة المادية. وككل مسيحيي الملكوت الجدد، شهد فروليش وأصدقائه المؤمنين بكل حماسة وانتشرت حركتهم سريعًا في كل أوربا. ما يزال مسيحيو الملكوت هؤلاء بيننا اليوم يعرفون في أوربا باسم الناصريين (*Nazarenes*) وفي أمريكا باسم الكنيسة المسيحية الرسولية.

براعم الملكوت

أغلب من يقرؤون الكتاب المقدس وهم محررون من أغلال المعرفة الملقنة، عادة ما ينتهون إلى معرفة بشارة الملكوت. لذلك ليس من المستغرب أن نجد كنائس جديدة في البيوت ومجموعات صغيرة تعلم بشارة الملكوت. في الواقع، أغلب الكنائس الرسمية التقليدية المعروفة اليوم كانت في بداياتها تنتهج اللامقاومة وتكرز بالكثير عن بشارة الملكوت. على سبيل المثال: كنيسة

المسيح، الكنيسة المسيحية، الموراڤيين وبعض الكنائس الخمسينية وكذلك بعض كنائس الميثودست الوسلية (أي التي أسسها جون ويسلي). ولكن عندما نمت هذه الحركات أسست معاهدًا لاهوتية وأصبح لها مكانتها المتميزة وفقدت الكثير من تعاليم الملكوت التي كانت لها.

قبل أن أنهي مناقشة حركات الملكوت المختلفة عبر التاريخ أريد أن أوضح أن هذه الحركات لم يكن لها نفس المعتقدات اللاهوتية الدقيقة. لقد كانوا جميعًا* متمسكين بقانون الإيمان المسيحي وببشارة الملكوت بما في ذلك تعاليم يسوع المسيح عن أسلوب الحياة. وهذا هو المهم بالنسبة ليسوع.

* فيما عدا حركة الكويكرز التي كانت تعاليمها عن المعمودية ضعيفة.

٣٤

الكرة الآن في ملعبنا

أشرت سابقًا إلى أن ما أشارككم إياه في هذا الكتاب ليس لاهوتًا شخصيًا مخترعًا وضعه ديفيد بيركوت لكنه الإيمان المسيحي التاريخي الذي علمته الكنيسة في القرون القليلة الأولي والذي يتضح جليًا في كتابات المسيحيين قبل قسطنطين*.

الإنجيليون الذين يعبدون مريم

لو أنك لا تتذكر إلا شيئًا واحدًا مما قرأته في هذا الكتاب فأرجو أن يكون هو حقيقة أن جوهر المسيحية ليس لاهوتيًا أو ميكانيكيًا آليًا وإنما علاقاتي (أي قائم على علاقة الإنسان بالله). هذا لا يعني أنه لا توجد عقائد لاهوتية ضرورية لأن هناك بالطبع عقائد ضرورية. إلا أننا عندما ندخل الملكوت ندخل في علاقة مستمرة مع ملكنا.

تعترف معظم الكنائس اليوم أننا كمسيحيين ندخل في علاقة مع يسوع. لكن العلاقة التي يصفونها هي ليست تلك التي يتحدث يسوع عنها. العلاقة التي يصفها اللاهوت الشعبوي الحديث هي علاقة مزيفة مع يسوع مزيف.

---

* أشجعك عزيزي القارئ على أن تختبر ذلك بنفسك. كتابات المسيحيين قبل نيقية متوفرة ضمن هذه المجموعة وكتابات آباء ما بعد نيقية متوفرة كذلك لدى الباعة بأسعار في متناول الجميع. كما يمكن أن تقرأ هذه الكتابات مجانًا على الإنترنت. كل ما عليك فعله هو البحث عن "آباء ما بعد نيقية."

عبادة مريم هي واحدة من أكبر خطايا كنيسة روما الكاثوليكية. مريم بحسب الإيمان الكاثوليكي والإيمان الأرثوذكسي الشرقي شخصية محبوبة جدًا هذا لأنها لا تغضب أبدًا ولا تعاقب الخطية وليس عندها وصايا لتعطيها ونعمتها تغطي كل خطية وكل ما تطلبه في المقابل هو التكريس والصلوات. يتخيل الكاثوليك المخلصون أن لهم علاقة مع مريم التي صنعها خيالهم هذه.

وعلى الرغم من أن المسيحيين المؤمنين بالكتاب المقدس ينتقدون الكاثوليك لعبادتهم مريم، إلا أنهم هم أيضًا يعبدون مريم. ماذا؟ يعبدون مريم؟ نعم يفعلون. لكنهم يطلقون عليها اسم يسوع لا مريم. يسوع بحسب الإيمان السهل الشعبوي هو مجرد نسخة ثانية من مريم في الإيمان الكاثوليكي، فهو لا يغضب أبدًا ولا يعاقب الخطية وليس لديه وصايا يعطينا إياها وكله نعمة ولا يحب شيء أكثر من أن يُسبح ويُعبد. العلاقة مع يسوع المزيف هذا ليست حقيقية مثلها مثل علاقة الكاثوليك المتخيلة مع مريم.

الله سيختبرنا

معرفة أن الله سيختبرنا هو جزء أساسي من لاهوت الملكوت. سيُجيز الله إيماننا في امتحان لنري إن كنا نحب يسوع الحقيقي حقًا. لهذا يخبرنا يعقوب: «اِحْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، عَالِمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا» (يعقوب ١: ٢، ٣). وكتب بولس: «بَلْ كَمَا اسْتُحْسِنَّا مِنَ اللهِ أَنْ نُؤْتَمَنَ عَلَى الإِنْجِيلِ هكَذَا نَتَكَلَّمُ، لاَ كَأَنَّنَا نُرْضِي النَّاسَ بَلِ اللهَ الَّذِي يَخْتَبِرُ قُلُوبَنَا» (١تسالونيكي ٢: ٤).

امتحان الإيمان ليس شيئًا جديدًا أتي مع الملكوت. على سبيل المثال، كانت العديد من التعليمات التي أعطاها الله للإسرائيليين هي بمثابة امتحانات. أمرهم الله ألا يخزنوا المن حتى الصباح التالي (فيما عدا قبل السبت) لكن

بعضهم حاول فعل هذا. وأمرهم أن يخزنوا المن قبل السبت وبعضهم لم يفعل (خروج ١٦: ١٩-٣٠). أمر الله شعب إسرائيل أن يدمروا كل شيء في أريحا لكن عخان احتفظ ببعض الذهب لنفسه.

احترسوا من "إبطال" الوصايا

واحدة من الطرق التي يمتحن بها الله إيماننا هي أن يعطينا وصية صريحة ثم يسمح لشخص ما أن يناقضها فيما بعد. نجد مثال على ذلك في القصة المدونة في سفر الملوك عن نبي يهوذا الذي أرسله الله لمواجهة يربعام. عرض النبي حياته للخطر كي يوصل رسالة الله بشجاعة إلى يربعام كما أوصاه الله أن يفعل. بل وصنع الله معجزات من خلاله.

عندما عرف الملك يربعام أن هذا النبي هو نبي حقيقي دعاه كي يجدد قواه في قصر الملك قبل أن يعود إلى بيته. لكن النبي أجابه: «لَوْ أَعْطَيْتَنِي نِصْفَ بَيْتِكَ لاَ أَدْخُلُ مَعَكَ وَلاَ آكُلُ خُبْزًا وَلاَ أَشْرَبُ مَاءً فِي هَذَا الْمَوْضِعِ. لأَنِّي هَكَذَا أُوصِيتُ بِكَلاَمِ الرَّبِّ: لاَ تَأْكُلْ خُبْزًا وَلاَ تَشْرَبْ مَاءً وَلاَ تَرْجِعْ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي ذَهَبْتَ فِيهِ» (١ملوك ١٣: ٨، ٩). إلى هنا كانت الأمور تسير على ما يرام. نبي يهوذا نجح في كل امتحانات الله له.

لكن بينما النبي الذي جاء من يهوذا في طريق عودته لحق به نبي أخر من بيت أيل وقال له: «أَنَا أَيْضًا نَبِيٌّ مِثْلُكَ، وَقَدْ كَلَّمَنِي مَلاَكٌ بِكَلاَمِ الرَّبِّ قَائِلاً: ارْجِعْ بِهِ مَعَكَ إِلَى بَيْتِكَ فَيَأْكُلَ خُبْزًا وَيَشْرَبَ مَاءً]- كَذَبَ عَلَيْهِ» (١ملوك ١٣: ١٨). أعطى هذا الكلام بعدًا أخر للامتحان. من الواضح أن الله غير تعليماته. وعليه دخل النبي الذي جاء من يهوذا إلى بيت النبي الذي من بيت أيل وأكل معه. فماذا كانت النتيجة؟ خرج عليه أسد وقتله وهو عائد إلى يهوذا.

هذه قصة حزينة لكنها توضح ما قاله بولس بعدها بقرون: «وَلَكِنْ إِنْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ "أَنَاثِيمَا"» (غلاطية ١: ٨). عندما يعطينا الله وصية واضحة فهو لن يبطلها فيما بعد. إبطال الوصية سيضع خدام الله في موقف مستحيل إذ سيكون عليهم أن يقرروا إن كان هذا الإبطال من قبل الله أم لا.

منذ عهد موسى كان هناك موقف واحد فقط غير فيه الله بعضًا من وصاياه السابقة وكان ذلك مع إتيان الملكوت. لكن في هذه المناسبة المتفردة لم يرسل الله نبيًا أو حتى ملاكًا ليعلن التغيير بل أرسل ابنه الوحيد الذي صنع من المعجزات ما يكفي لإقناع أي شخص ينزع إلى الشك.

كان قدوم المسيح هو المرحلة الأخيرة في خطة الله للبشرية. لا يملك أي بشر أو ملاك القدرة على إبطال ما علم به يسوع، والآب لن يناقض ابنه أبدًا. لذلك حتى يأتي يسوع ثانية ويخبرنا بنفسه بشيء مختلف عما علم به ستظل وصاياه قائمة كما هي. استشهد هنا ثانية بقول الكتاب: «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ» (عبرانيين ١٣: ٨).

تعود مسألة مناقضة وصايا الله الصريحة تلك إلى جنة عدن. قال الله لأدم بكل وضوح: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ» لكن الحية أخبرت حواء: «لَنْ تَمُوتَا! بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ» (تكوين ٣: ٤، ٥).

هكذا قال الله شيئًا ثم أتت الحية وقالت شيئًا أخر. ربما يقول البعض: "يا له من امتحان سهل!" لكن أبوينا الأولين -ويا للعجب - فشلوا فيه. لقد صدقت حواء الحية وتبعها آدم بدلاً من أن يقف في وجه زوجته عندما أخطأت. لكن هل

نختلف نحن المسيحيون؟ إننا نقرأ وصايا يسوع الواضحة الصريحة ومع ذلك عندما يأتي واعظ أو مفسر ويناقض يسوع بصورة مباشرة نختار أن نصدق الإنسان لا يسوع.

أين نقف أنا وأنت؟

ناقشت الكثير من التاريخ المسيحي على مدار هذا الكتاب. لكن كل تاريخ العالم لن ينفعنا بشيء إن لم نتعلم منه. ينتقد ملايين المسيحيين كنيسة روما الكاثوليكية بسبب أخطائها. لكن نفس هؤلاء المسيحيين يقعون في تلك الأخطاء عينها، إذ أنهم مثل الكاثوليك يقبلون الهجين القسطنطيني ويكتسبون نظرتهم للعالم من خلال نظارة الهجين الملونة.

إنه لأمر مطمئن أن نعرف أن مسيحيي الملكوت عبر القرون رفضوا الهجين ورفضوا أن يلعبوا طبقًا لقواعده. إلا أن وقتهم في الملعب انتهي والكرة الآن في ملعبنا نحن. لو أن كل مسيحي على الأرض تجاهل أو ألغى تعاليم المسيح فهذا لا يبرر أبدًا عدم طاعتي أو عدم طاعتك لتعاليمه. عندما يتحدث الرب لنا مباشرة في الكتاب المقدس فكل ما يقوله الآخرون هو بلا معنى. وكما اعتاد المبشر الراحل ليونارد رافنهل (*Leonard Ravenhill*) أن يقول: "يسوع إما أن يكون الحق المطلق أو يتحول إلى حق مهجور." لا يوجد موقف وسط. إما هذا أو ذاك.

أعلم أن هذا الكتاب ربما أشعرك بالضيق بل وربما أعثرك. وربما يكون رد فعلك الطبيعي هو أن تبحث لنفسك عن كتاب أخر يناقض ما قلته هنا عن بشارة الملكوت. وهذا لن يكون أمر صعب، إذ أن الكتاب الموجود إلى جانب كتابي في مكتبتك المحلية يقول عكس ما أقوله هنا.

لكن بدلاً من ذلك أشجعك على قراءة تعاليم يسوع بنفسك. ولا أقصد هنا نصوصًا مختارة من تعاليم يسوع بل مجموع ما علمه. ولتري بنفسك إن كنت قد قدمت تفسيرًا خاطئًا لما كرز به. لو كانت الإجابة بنعم فعليك أن تستمع له وليس لي. إلا أنني لم أقدم تفسيرات خاطئة وأرجو منك ألا تقذف بالكتاب بعيدًا وتنسي ما قاله يسوع. ربما تكون قد دخلت إلى العرس لكن دون أن تتبني بشارة الملكوت. لكنك لن تبقى داخل العرس إلا حين تقبل هذه البشارة.

أو على العكس من ذلك ربما يكون الكتاب قد وجد صداه في قلبك. ربما تكون أنت أيضًا متحمسًا للملكوت. هل ملكوت الله بالنسبة لك هو لؤلؤة غالية الثمن؟ هل الملكوت سبب فرح بالنسبة لك لدرجة أنك على استعداد لترك كل شيء في مقابل أن تحصل عليه؟ إن كان كذلك فأطلب إليك أن تنضم لي ولكل مسيحيي الملكوت في العصر الحديث حتى نقوم بما علينا ونقلب العالم رأسًا على عقب.

المراجع

مراجع رئيسية

Barry, Colman J., ed. Readings in Church History. Westminster, Maryland: Christian Classics, Inc., 1985 .

Calvin, John. Treatises Against the Anabaptists and Against the Libertines. Translated by Benjamin Wirt Farley. Grand Rapids: Baker Book House, 1982 .

Calvin, John. Institutes of the Christian Religion. 2 vols. Translated by Henry Beveridge. Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing Company, 1983 .

Eusebius. Ecclesiastical History. Translated by Paul L. Maier. Grand Rapids: Kregel Publications, 1999 .

Franklin, Benjamin. The Autobiography and Other Writings. New York: Penguin Books USA Inc., 1783 .

Gee, Henry, and Hardy, John William, eds. Documents Illustrative of English Church History. London: MacMillan and Co., Ltd., 1910 .

Krey, August C., ed. The First Crusade: The Accounts of Eyewitnesses and Participants. Princeton: 1921 .

Leith, John H., ed. Creeds of the Churches. Atlanta, Georgia: John Knox Press, 1973 .

Luther, Martin. The Bondage of the Will. Translated by Henry Cole. Grand Rapids: Baker Book House, 1976 .

Luther, Martin. Works of Martin Luther—The Philadelphia Edition. 6 vols. Translated by C. M. Jacobs. Grand Rapids: Baker Book House, 1982 .

Marcellinus, Ammianus. The Later Roman Empire. Translated by Walter Hamilton. New York: Penguin Books, 1986 .

Randi, James. The Faith Healers. Buffalo: Prometheus Books, 1989 .

Roberts, Alexander and Donaldson, James, eds. The Ante-Nicene Fathers. 10 vols. Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing Company, 1985 .

Schaff, Philip, ed. The Nicene and Post-Nicene Fathers, First Series. 10 vols. Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing Company, 1983 .

Schaff, Philip and Wace, Henry, eds. The Nicene and Post-Nicene Fathers, Second Series. 10 vols. Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publish¬ing Company, 1982 .

Simons, Menno. The Complete Writings of Menno Simons. Translated by

J. C. Wenger. Scottdale, Pennsylvania: Herald Press. 1956 .

مراجع ثانوية

Bainton, Roland H. Christian Attitudes Toward War and Peace. Nashville: Abingdon Press, 1960 .

Bainton, Roland H. The Reformation of the Sixteenth Century. Boston: Beacon Press, 1952 .

Cairns, Earle E. Christianity Through the Centuries. Grand Rapids: Zondervan Publishing House, 1954 .

Chadwick, Henry. The Early Church. New York: Penguin Books, 1967 .

Chamberlin, E. R. The Bad Popes. New York: Dorset Press, 1969 .

Christie-Murray, David. A History of Heresy. New York: Oxford University Press, 1976 .

Dickens, A. G. The English Reformation. New York: Schocken Books, 1952 .

Dowley, Tim, ed. Eerdman's Handbook to the History of Christianity. Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing Company, 1977 .

Driver, John. How Christians Made Peace with War. Scottdale, Pennsylvania: Herald Press, 1988 .

Edwards, David. Christian England. Vol. 2. Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing Company, 1983 .

Eller, Vernard. Christian Anarchy. Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing Company, 1987 .

Ellul, Jacques. The Subversion of Christianity. Translated by Geoffrey

W. Bromiley. Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing Company, 1986. Erbstösser, Martin. Heretics in the Middle Ages. Leipzig: Druckerei Fortrschritt Erfurt, 1984. Estep, William. The Anabaptist Story. Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing Company, 1996. Gibbon, Edward. The Decline and Fall of the Roman Empire. New York: Penguin Books, 1952 .

González, Justo. Faith & Wealth. New York: Harpers Collins Publishers, 1990 .

González, Justo. A History of Christian Thought. 3 vols. Nashville: Abingdon Press, 1970 .

Grimm, Harold J. The Reformation Era 1500-1650. New York: The Macmillan Company, 1965 .

Hershberger, Guy F. The Recovery of the Anabaptist Vision. Scottdale, Pennsylvania: Herald Press, 1957 .

Kraybill, Donald B. The Upside-Down Kingdom. Scottdale, Pennsylva¬nia: Herald Press, 1978 .

Lucas, Henry S. The Renaissance and the Reformation. New York: Harper & Row, 1960 .

Schaff, Philip. History of the Christian Church. 8 vols. Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing Company, 1910 .

Shannon, Albert. The Medieval Inquisition. Collegeville, Minnesota: The Liturgical Press, 1984 .

Strype, J. Ecclesiastical Memorials. London: 1822 .

Thomson, John A. F. The Later Lollards 1414-1520. London: Oxford University Press, 1965 .

Hoehner, H. W. "Maccabees." The International Standard Bible Encyclopedia. Ed. Geoffrey W. Bromiley. Vol. 3. Grand Rapids: Eerdmans Publishing Co., 1986 .

Tolstoy, Leo. The Kingdom of God Is Within You. Lincoln, Nebraska: University of Nebraska Press, 1894 .

Tourn, Giorgio, et al. You Are My Witnesses. Torino, Italy: Claudiana Editrice, 1989 .

Verduin, Leonard. The Anatomy of a Hybrid. Sarasota, Florida: Christian Hymnary Publishers, 1976 .

Verduin, Leonard. The Reformers and Their Stepchildren. Sarasota, Florida: Christian Hymnary Publishers, 1964 .

Willoughby, William C. Counting the Cost. Elgin, Illinois: The Brethren Press, 1979.

الهوامش

١. معيار جديد للصدق

1 *Raymond d'Aguiliers in August C. Krey, The First Crusade: The Accounts of Eyewitnesses and Participants (Princeton: 1921) 250 -256.*

2 *J. Arthur McFall, "The Fall of Jerusalem," Military History Magazine (June, 1999)1-6 .*

3 *Krey 252 .*

4 *Krey 253 .*

٣. مملكة من نوع مختلف

1 *Tertullian, Against Marcion, Book IV, Ch. 26; ANF, Vol. III, 409 .*

٤. هل قطعت عهد الملكوت؟

1 *From the Bureau of Citizenship and Immigration Services, at www.immigration.gov/graphics/aboutus/history/teacher/oath.htm .*

2" *Florida During World War II, http://www.floridamemory.com/OnlineClassroom/FloridaWWII/history.cfm.*

3 *Webster's New World College Dictionary, Third Edition (New York: Simon & Schuster, Inc., 1997) 765*

4 *Edward More, "The Solid Rock".*

5 *Frank Koch, Proceedings, quoted by Stephen Covey in The 7 Habits of Highly Effective People (New York: Simon & Schuster, 1989) 33 .*

٥. تغيير نظرتنا للمال

1 *Clement of Alexandria Who Is the Rich Man Who Shall Be Saved? 14; ANF, Vol. II, 595 .*

2 *Infoplease: "Economic Statistics by Country, 2001," http://www.infoplease.com/ipa/A0874911.html .*

3 *Source: Bureau of Census, http://factfinder.census.gov/servlet/BasicFactsServlet .*

4 *Infoplease*

5 *Infoplease*

6 *Infoplease*

7 *Infoplease*

٦. معيار جديد للصدق

1 *Mike Hertenstein and Jon Trott, "Selling Satan: The Tragic History of Mike Warnke," Cornerstone, Vol. 21, Issue 98* .(١٩٩٢)

2" *The Cornerstone Series on Mike Warnke," http://www.cornerstonemag.com/features/iss098/warnke_index.htm .*

3" *Cornerstone Series."*

4 *Bob & Gretchen Passantino and Jon Trott, "Satan's Sideshow: The True Lauren Stratford Story," http://www.cornerstonemag.com/features/iss090/sideshow.htm .*

5 *James Randi, The Faith Healers (Buffalo: Prometheus Books, 1989)105,106,150 .*

6 *Randi 146-153 .*

٧. قوانين المملكة بشأن الزواج والطلاق

1 *Testimony of Israel Abrahams before the London Divorce Commission, November 21, 1910, quoted in "Divorce in the Old Testament," International Bible Encyclopedia (online) http: //www.studylight.org .*

2" *Divorce Facts," at http: //wheres-daddy.com.*

3" *Divorces: 1858-2000" at http: //www.statistics.gov.uk .*

4 *Margaret F. Brinig, "These Boots Are Made for Walking: Why Most Divorce Filers Are Women," American Law and Economics Review 2-1 (2000) 126-129 .*

5 *Source: Barna Research Group, quoted by B. A. Robinson in "U. S. Divorce Rates for Various Faith Groups," March, 2002, at (http: //www.religioustolerance.org/chr_dira.htm) .*

6 *Barna Research Group .*

7 *Barna Research Group .*

8 *Source: National Center for Health Statistics. Quoted in "U.S. Divorce Statistics," Divorce Magazine.com, at http: //www.divorcemag.com/ statistics/statsUS2.shtml .*

9 *National Center for Health Statistics .*

10 *Barna Research Group .*

11 *David Knox and Caroline Schacht, Marriage and the Family: A Brief Introduction, (Belmont, California: Wadsworth Publishing Company, 1999). Quoted in "Asian-American Couples," at http: //www.uwyo.edu .*

12*Source: Institute for Divorce Reform, quoted in Divorce Magazine.com*

13*" Divorce Rates of All Countries, Compared to the U.S.," quoted at http: //www.divorcereform.org/nonus.html .*

٨. أحب أعدائي؟!

1 *Adin Ballou, quoted by Leo Tolstoy in The Kingdom of God Is Within You (Lincoln, Nebraska: University of Nebraska Press) 10 .*

٩. لكن ماذا لو...؟

1 *From author's interview with the Weaver family and from "Mountain Man Arrested," The Sentinel (Carlisle, PA: May 25, 1988) 1,2 .*

2 *Arthur Kellermann, MD, New England Journal of Medicine, 1998, as cited at http: //goodsforguns.org .*

3 *Origen Against Celsus, Bk. II, Ch. 30; ANF, Vol. IV, 444 .*

4 *Arnobius Against the Gentiles, Bk. I, Par. 6; ANF Vol. VI, 415 .*

5 *Origen Against Celsus, Bk. VIII, Ch. 73; ANF, Vol. IV, 667, 668*

6 *Ballou, "How Many Does It Take," available at http: //www.adinballou.org/HowMany.shtml*

١٠. لكن، ألا يقول الكتاب المقدس ...؟

1 *W. E. Vine, Expository Dictionary of New Testament Words (Grand Rapids: Zondervan Publishing House, 1940) 188 .*

2 *Tertullian On Idolatry, Ch. 19; ANF Vol. III, 73 .*

١٢. الحياة في ظل مملكتين

1 *Tertullian On Idolatry Ch. 15; ANF Vol. III, 70.*

2*" Survey: U. S. Pays Soldiers Less Than $16K," at http://www2.hrnext.com/Article.cfm/Nav/5.0*

١٣. هل أنا من هذا العالم؟

1 *Dave Moreland, "Dave Moreland's Bozo Criminal of the Day," at http://www.kooi.com/bozo/jan99.htm .*

١٤. هل هذا يجعل منا نشطاء سلام وعدل؟

1" *Capital Punishment Statistics" at http://www.ojusdoj.gov*

2 *Statistics furnished by the Alan Guttmacher Institute and reported at http://www.nrlc.org/abortion/aboramt.html*

١٥. هل صنع أحدهم هكذا على أرض الواقع؟

1 *H. W.Hoehner, "Maccabees," The International Standard Bible Encyclopedia, Vol. 3 (Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing Company, 1986) 196-199*

2 *R. H. Smith, "Pella," The International Standard Bible Encyclopedia .*

١٦. لكن هل هذه هي المسيحية التاريخية؟

1 *Hermas The Shepherd, Book III, Ch. 1; ANF, Vol. II, 31 .*

2 *Tatian To The Greeks, Ch. 11; ANF; Vol. II, 69 .*

3 *Clement of Alexandria The Instructor, Book III, Ch. 8; ANF, Vol. II, 281 .*

4 *Tertullian, Apology, Ch. 38; ANF, Vol. III, 45,46*

5 *Tertullian De Corona, Ch. 13; ANF, Vol. II, 101*

6 *Origen Against Celsus, Book VIII, Ch. 75; ANF, Vol. IV, 668*

7 *Cyprian On Mortality, Ch. 26; ANF, Vol. V, 475 .*

8 *Clement of Alexandria, as quoted in Sermon 55 of Maximus. ANF Vol. II, 581 .*

9 *Tertullian Of Patience, Ch. 10; ANF, Vol. III, 713 .*

10 *Tertullian Against Marcion, Ch. 39; ANF, Vol. III, 415 .*

11 *Lactantius The Divine Institutes, Bk V, Ch. 21; ANF, Vol. VII, 158 .*

12 *Lactantius Ch. 24; ANF, Vol. VII, 160 .*

13 *Lactantius Ch. 18; ANF, Vol. VII,184 .*

14 *Athenagoras Plea for the Christians, Ch. 1; ANF, Vol. II, 129 .*

15 *Hippolytus (Gregory Dix and Henry Chadwick, trans.) The Apostolic Tradition (Ridgefield, CT: Morehouse Publishing, 1992) 26 .*

16 *Canon XII of Nicaea; Philip Schaff, ed. The Nicene and Post-Nicene Fathers, First Series. Vol. 10 (Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing Company, 1983) 27*

17" *Epistle of Marcus Aurelius to the Senate," ANF, Vol. I, 187 .*

18 *Origen Against Celsus, Bk. V, Ch. 37; ANF, Vol. IV, 560 .*

19 *Lactantius, Bk. 6, Ch. 17; ANF, Vol. 7, 182, 183 .*

١٧. طريق يسوع للخلاص

1 *Webster's New World College Dictionary, Third Edition (New York: Simon & Schuster, Inc., 1997) 1138 .*

2 *John H. Leith, ed., Creeds of the Churches (Atlanta: John Knox Press, 1973) 24,25 .*

٢١. ماذا حدث لبشارة الملكوت؟

1 *Eusebius, Ecclesiastical History, Bk. VIII, Ch. 17.*

2 *Eusebius, Ecclesiastical History, Bk. X, Ch. 5 .*

3 *Eusebius, The Life of Constantine, Bk. I, Chs. 41 & 42. Philip Schaff and Henry Wace, eds., The Nicene and Post-Nicene Fathers, Second Series, 10 vols., Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing Company, 1982, vol. 1, 494 .*

4 *Eusebius, Constantine, Bk. II, Chaps. 44 - 46 .*

5 *Lactantius, Bk. V, Ch. 24; ANF, Vol. VII, 160*

٢٢. ملكوت اللاهوت

1 *Socrates, Ecclesiastical History, Bk. I, Ch. 9. The Nicene and Post-Nicene Fathers, Second Series, Vol. II, 14 .*

2 *Edward Gibbon, The Decline and Fall of the Roman Empire, (New York, Penguin Books, 1952) 386 .*

3*" The Decree of the Holy, Great, Ecumenical Synod, the Second of Nicaea," Philip Schaff, and Henry Wace, eds., The Nicene and Post-Nicene Fathers, Second Series, 10 vols. (Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing Company, 1982) vol. XIV, 550, 551 .*

4 *Hilary of Pointers, quoted by Gibbon, 397.*

5 *Ammianus Marcellinus, The Later Roman Empire (New York, Penguin Books, 1986) 239.*

6 *Colman J. Barry, ed., Readings in Church History (Westminster, Maryland: Christian Classics, Inc., 1985) 522 .*

٢٣. هل كان الله يغير قواعده؟

1 *Eusebius, Ecclesiastical History, translated by Paul L. Maier (Grand Rapids: Kregel Publications, 1999) 231 .*

1 *Eusebius, The Life of Constantine, Bk. I, Ch. 44. Schaff, 494 .*

٢٤. العصر الذهبي الذي لم يأتِ قط

1 *Philip Schaff, History of the Christian Church. 8 vols. (Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing Company, 1910) vol. III, 33-35.*

2 *Schaff 107-125* .

3 *Gibbon 252* .

4 *Gibbon 380* .

5 *Eusebius, Constantine, Bk. II, Ch. 3; Schaff, 500* .

6 *Eusebius, Constantine, Chaps. 7-9* .

7 *Eusebius, Constantine, Chaps. 24-29* .

8 *Gibbon 258* .

9 *Gibbon 380* .

10 *Gibbon 382* .

11 *Gibbon 470-472* .

12 *Gibbon 476* .

13 *Gibbon 477.*

14 *Gibbon 478*

15 *Gibbon 478.*

16 *Gibbon 509.*

17 *Lynn H. Nelson, "The Later Roman Empire," http://www.ku.edu/kansas/medieval/108/lectures* .

18 *Gibbon 562-619. Also see Vincent Bridges, "Arthur and the Fall of Rome," http://www.sangraal.com/library/arthur1.htm* .

٢٦. أغسطينوس - المدافع عن الهجين

1 *Augustine, Reply to Faustus the Manichaean, bk. 22, ch.74. Philip Schaff and Henry Wace, eds., The Nicene and Post-Nicene Fathers, First Series, vol. 4 (Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing Company, 1982) 301* .

2 *Augustine, ch.75; Schaff, Fathers, vol. 4, 301* .

3 *Augustine, ch.79; Schaff, Fathers, vol. 4, 304* .

4 *Augustine, The Correction of the Donatists, ch.7, par. 23; Schaff, Fathers, vol. 4, 642* .

5 *Roland H. Bainton, Christian Attitudes Toward War and Peace (Nashville: Abingdon Press, 1960) 33-43* .

6 *Bainton, 96-98. Augustine, Faustus, ch.75; Schaff, Fathers, vol. 4, 301* .

7 *Augustine, Faustus, ch. 75; Schaff, Fathers, vol. 4, 301 .*

8 *Leo Tolstoy, The Kingdom of God Is Within You (Lincoln, Nebraska: University of Nebraska Press, 1894) 306 .*

9 *Tolstoy .*

10 *Article 92(1)(c) Uniform Code of Military Justice .*

11 *Augustine, On the Predestination of the Saints, chaps. 16-19. Schaff, Fathers, Vol. V, 506-508 .*

٢٧. تزوير باسم المسيح

1 *Colman J. Barry, ed., Readings in Church History, 235-237 .*

2 *E. R. Chamberlin, The Bad Popes (New York: Dorset Press, 1969) 43 .*

3 *Chamberlin 60 .*

4 *Barry 522 .*

5 *Barry 521, 522 .*

٢٨. الملكوت السري

1 *Tim Dowley, ed., Eerdmans' Handbook to the History of Christianity (Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing Company, 1977) 202, 203 .*

2 *Martin Erbstösser, Heretics in the Middle Ages (Leipzig: Druckerei Fortrschritt Erfurt, 1984) 80, 81 .*

3 *Erbstösser 83 .*

4 *Erbstösser 85*

٢٩. الفلدانيون

1 *Giorgio Tourn, et al, You Are My Witnesses (Torino, Italy: Claudiana Editrice, 1989) 14 .*

2 *Tourn 15.*

3 *Tourn 16 .*

4 *Tourn 20.*

5 *Tourn 17 .*

6 *Tourn 18 .*

7 *Tourn 19 .*

8 *Tourn 19.*

9 *Tourn 20 .*

10 *Tourn 36 .*

11 *Tourn 37 .*

12 *Erbstösser 202 .*

13 *Tourn 54 .*

14 *Tourn 51 .*

15 *Judith Collins, "Heritage of the Waldensians: A Sketch," at http://www.wrs.edu/journals/jour896/waldensians.html .*

16 *J. A. Wylie, The History of Protestantism, 1878, Vol. II, page 485, quoted in Collins .*

٣٠- التيار البديل

1 *Henry Gee and John William Hardy, eds, "Wycliffe Propositions Condemned at London," Documents Illustrative of English Church History (London: MacMillan and Co., Ltd., 1910) 108, 109 .*

2 *" Council of Constance," Session 15 - 6 July 1415, at http://www.dailycatholic.org/history/16ecume3.htm .*

3 *Gee and Hardy 110 .*

4 *Gee and Hardy 109, Conclusion 10 .*

5 *Gee and Hardy Conclusion 16 .*

6 *Gee and Hardy 128-131 .*

7 *John A. F. Thomson, The Later Lollards 1414-1520 (London: Oxford University Press, 1965) 247 .*

8 *Henry Gee and John William Hardy, eds, "The Lollard Conclusions," Documents Illustrative of English Church History (London: MacMillan and Co., Ltd., 1910) 128, Conclusion 6 .*

9 *Gee and Hardy 131, Conclusion 10 .*

10 *Thomson 244-21 .*

11 *J. Strype, Ecclesiastical Memorials, Part II (London, 1822) 54, 55 .*

٣١. الفلدانيون يتقابلون مع المصلحين السويسريين

1 *Henry S. Lucas, The Renaissance and the Reformation (New York: Harper & Row, 1960) 519 .*

2 *Lucas 520 .*

3 *Harold J. Grimm, The Reformation Era 1500-1650 (New York: The Macmillan*

Company, 1965) 188 .

4 *Lucas 526* .

5 *Grimm, 321-324* .

6 *Tourn 66* .

7 *Tourn 66,67* .

8 *Tourn 66,67* .

9 *Tourn 66-69* .

10 *Tourn 72*.

11 *Tourn 72* .

12 *Tourn 69* .

٣٢. صهيون الجديدة في جنيف

1 *Grimm 338* .

2 *Grimm 325* .

3 *Grimm 342* .

4 *Rahull Nand, "John Calvin: Not So Tyrannical" at http://oprfhs.org/division/history/interpretations/2000interp/.doc* .

5" *The Murder of Michael Servetus" at http://www.bcbsr.com/topics/servetus.html* .

6 *John F. Fulton, Michael Servetus Humanist and Martyr (Herbert Reichner, 1953) 35* .

7 *Philip Schaff, History of the Christian Church, vol. VIII (Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing Company, 1910) 768* .

8 *Walter Nigg, The Heretics (Alfred A. Knopf, Inc., 1962) 328* .

9" *The Murder of Michael Servetus "*.

10 *John Calvin, "On the Magistrate" in Treatises against the Anabaptists and against the Libertines (Grand Rapids: Baker Bk. House, 1982) 77,78* .

11" *Second Helvetic Confession," Ch. XXX, reproduced in John H. Leith, ed., Creeds of the Churches (Atlanta: John Knox Press, 1973) 190,191* .

12 *Calvin 77* .

٣٣. راية الملكوت ترتفع من جديد

1 *Sammlung Simler, quoted in "A History of the Baptists," http://www.pbministries.org/History/John%20T.%20Christian/vol1/h istory_10.htm* .

2 *Simler* .

3 *Menno Simons, The Complete Writings of Menno Simons. Trans. J. C. Wenger: Reply to False Accusations (Scottdale: Herald Press, 1956) 96* .

4 *Menno Simons, as quoted by John D. Roth, "The Mennonites' Dirty Little Secret," Christianity Today, October 7, 1996, 44* .

5 *Hans Denk, quoted in "What Is Anabaptism?," http://www.anabaptistnetwork.com/WhatIsAnabaptism.htm* .

6 *Simons 93* .

7 *Simons 94*

8 *Roland Bainton, The Reformation of the Sixteenth Century (Boston: Beacon Press, 1952) 101* .

9 *Thieleman J. van Braght, Martyrs Mirror (Scottdale, Pa: Herald Press, 1950) 418* .

10 *Norman Penney, ed., The Journal of George Fox (London: J.M. Dent & Sons, 1924) http://www.geocities.com/quakerpages/fox17.htm* .

11 *David Edwards, Christian England. Vol. 2. (Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing Company, 1983) 341* .

12 *William C. Willoughby, Counting the Cost (Elgin, Illinois: The Brethren Press, 1979) 45,46* .

13 *Benjamin Franklin, The Autobiography and Other Writings (New York: Penguin Books USA Inc., 1783) 129* .

المملكة التي فتنت المسكونة

إذا سأل أحدهم: ماذا كانت الفكرة الرئيسية في عظات يسوع، فما هي إجابتنا؟ احتياج الإنسان للخلاص؟ محبة الله للبشر؟ ضرورة الولادة الثانية؟ لقد تحدث يسوع بالفعل عن كل هذه الأمور التي هي جميعًا حقائق أساسية، إلا أنها ليست محور رسالته. ملكوت الله كان هو محور رسالة يسوع. كان يسوع أينما يذهب يتحدث عن ملكوت الله.

ومن الغريب أن رسالة ملكوت الله كادت تغيب اليوم تمامًا عن البشارة التي يعظ بها الكثيرون. والنتيجة أن معظم المسيحيين لا يدركون أن ملكوت الله هو حقيقة حاضرة على الأرض، بل إن معظمهم لا يعرفون ما هو ملكوت الله. وبالتبعية هذا يعني أنهم لم يقطعوا أبدًا عهد الملكوت.

في "المملكة التي فتنت المسكونة" يأخذ "ديفيد بيركوت" القارئ رجوعًا إلى تعليم يسوع عن الملكوت، التعليم الذي نُسي طويلاً. وهو يصف مبادئ الملكوت المختلفة جذريًا عن غيرها والتي أنشأت قيَمًا مغايرة لما حولها. لا مجال في ملكوت المسيح للمسيحية السطحية، لأنها مملكة، تاريخيًا، قلبت المسكونة رأسًا على عقب.

"المملكة التي فتنت المسكونة" سيضع التحدي الحقيقي أمام محور مسيحيتك.